

مركز دراسات الوحدة العربية

سلسلة اطروحات الدكتوراه (١٥)

البعد الديني في السياسة الامريكية تجاه الصراع العربي - الصهيوني

(دراسة في الحركة المسيحية الاصولية الامريكية)

الدكتور يوسف الحسن

«الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة
عن اتجاهات يتبناها مركز دراسات الوحدة العربية»

مركز دراسات الوحدة العربية

بناية «سادات تاور» ـ شارع ليون ـ ص.ب: ٦٠٠١ ـ ١١٣ بيروت ـ لبنان
تلفون: ٨٠١٥٨٢ ـ ٨٠١٥٨٧ ـ ٨٦٩١٦٤ ـ برقياً: «مرعربي»
تلكس: ٢٣١١٤ مارابي

الطبعة الأولى
بيروت: شباط/ فبراير ١٩٩٠

المحتويات

كلمة شكر وتقدير

أود ابتداءً أن أتقدم بكلمة عرفان وتقدير من كل من أسدوا إليّ مساعدة لوصول هذه الدراسة إلى القارىء، وأقدم شكراً خاصاً إلى أستاذي الدكتور ابراهيم درويش الذي تفضّل بالإشراف على هذه الدراسة أثناء انجازها كرسالة لدكتوراه الفلسفة في العلوم السياسية، فقد أعطى من وقته وجهده وصبره الكثير، وإلى أستاذي الدكتور محمد عصفور وأستاذي الدكتور أحمد كمال أبو المجد، عضوي لجنة مناقشة الرسالة، لما استفدته من ملاحظاتهما القيّمة في إخراج هذا الكتاب، وكذلك إلى الأستاذة الدكتورة ودودة بدران المشرفة المساعدة على الرسالة لما بذلته من رعاية وتوجيه لهذا العمل.

كما أنني أتوجه بوافر الشكر والامتنان إلى الأخ والصديق الدكتور أحمد صدقي الدجاني، فقد كان لملاحظاته وتوجيهاته أطيب الأثر وأنفعه، وكذلك إلى الأستاذ الدكتور عبد المنعم المشاط الذي أسدى إليّ أفضل النصائح والارشادات في المراحل الأولى لإعداد الرسالة.

ولا يفوتني أن أتوجه بخالص شكري إلى الدكتور إلمر بيرغر والقس دونالد واغنر والدكتور حسن حداد وإلى الكثيرين من الأصدقاء في الجمعيات والمنظمات العربية الأمريكية ومكاتب جامعة الدول العربية في الولايات المتحدة الأمريكية وإلى زملاء أعزاء من أعضاء السلك الدبلوماسي العربي في واشنطن، لما قدموه من تشجيع ومساعدة طوال فترة اعداد الرسالة.

وبالامتنان والتقدير أخص الأخ والصديق الدكتور خير الدين حسيب، مدير عام مركز دراسات الوحدة العربية، الذي تحمس لهذا الكتاب وأسدى لي بالنصح والاقتراحات القيمة.

وفي الختام، أجد لزاماً عليّ أن أنوه بتشجيع زوجتي الدائم لي، وبصبر أبنائي رشا وربى وأحمد وليلى الذين تقبلوا انشغالي عنهم بعض الوقت، وإنني لعلى ثقة بأنهم وجيلهم سيزدادون وعياً ومعرفة بالعدو في المستقبل، وسيتأكدون ـ إدراكاً وحركة ـ أن الصهيونية اليهودية وغير اليهودية مصيرها الإفلاس والسقوط، لأنها تسير في عكس مسار التاريخ. وسيعرفون حينما يكبرون أن صبرهم وتحمّلهم لانشغال والدهم كان له ما يبرره.

مُقَدِّمَة

يبحث هذا الكتاب في البعد الديني لسياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه العرب بشكل عام، والصراع العربي ـ الصهيوني بشكل خاص. وذلك من خلال عرض وتحليل للاتجاهات الصهيونية في الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية، التي تشكّل عنصراً أساسياً في توفير بيئة ملائمة للنفوذ الصهيوني اليهودي، وترسيخ مجموعة من الآراء المتحاملة على العرب في شعور الرأي العام الأمريكي وثقافته، وفي سياسات الولايات المتحدة الأمريكية «الشرق أوسطية»، الأمر الذي أدّى بشكل مباشر أو غير مباشر إلى الانحياز إلى اسرائيل وحركتها الصهيونية.

ويهدف الكتاب إلى كشف علاقة الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية المعاصرة بقضية فلسطين وإثارة الاهتمام بهذه العلاقة وتقديم معالجة مفصلة لهذا الجانب غير اليهودي من الصهيونية، وهو جانب لم يُعط بعد حقه من التأصيل والبحث في الدراسات العربية والأجنبية للحركة الصهيونية، وظل في حدود ضيقة لا يرد إلا في هوامش الكتب أو في إطار وصف مختصر لدوافع مسيحيين أصوليين متعصبين، يؤيدون أهداف الصهيونية.

ويضع هذا الكتاب هدفاً له توثيق هذه الحلقة المفقودة في دراسات الحركة الصهيونية، وتحليل البيئة الثقافية والدينية والسياسية التي تحمست للمشروع الصهيوني ودعمته، مقدماً تفسيراً مغايراً للتفسير الذي يعزو نجاح هذا المشروع في إقامة الدولة اليهودية ودعمها إلى عامل واحد هو الفكر الصهيوني وحركته المنظمة النشطة وجماعات الضغط الصهيونية (اللوبي الاسرائيلي) في الولايات المتحدة الأمريكية.

وقد بُني البحث في هذا الكتاب على فرضية أساسية تعتبر أن الحركة المسيحية

الأصولية المعاصرة في الولايات المتحدة الأمريكية هي أحد الأعمدة الأساسية المتبنية للمشروع الصهيوني والداعمة له، وأنها من أهم مصادر التأييد الدائم والدعم السياسي والمعنوي والاعلامي والمادي الموصول لإسرائيل وسياساتها التهويدية والتوسعية والاستيطانية.

ويرتبط بتلك الفرضية ما تثيره المسيحية الأصولية ومؤسساتها ومنظماتها وقادتها من أطروحات سياسية وعقائدية وممارسات ضغط وتأثير في المجتمع الأمريكي، وفي السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الصراع العربي ـ الصهيوني.

وقد اعتمدت في هذا الكتاب منهج التحليل التاريخي المقارن، فتتبعت جذور الحركة المسيحية الأصولية في المجتمعين الأوروبي الغربي والأمريكي.

واستخدمت في بعض الأحيان منهج التحليل الكمّي لفهم أبعاد الاتجاهات الصهيونية في الحركة المسيحية الأصولية ودوافعها وتأثيرها، ولتوضيح كيف شكلت هذه الاتجاهات جملة من القوى الضاغطة والمؤثرة في فكر النظام السياسي والمجتمع المدني المؤسسي وممارساتها، لتصبح العلاقة الأمريكية الاسرائيلية علاقة خاصة ومميزة. وقد تابعت بشكل مباشر نشاط الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية أثناء قيامي بعملي الدبلوماسي في الولايات المتحدة الأمريكية في الفترة ما بين عامي ١٩٧٨ و١٩٨٦، وتتبعت حركتها ومؤتمراتها ونشاط إعلامها وكنائسها التلفزيونية (المرئية)، ورصدت معظم برامجها واطلعت على وثائقها ونشراتها وأدبياتها.

ولعله من المفيد في هذه المقدمة تحديد عدد من المفاهيم والاصطلاحات الأساسية التي وردت في الكتاب، على اعتبار أن تعريف المفهوم ليس مجرد ضرورة يقتضيها البحث في مسائل الفكر عامة، بل أيضاً ضرورة للحيلولة دون نشوء سوء تفسير لبعض الاصطلاحات الدينية والفكرية المستعملة.

وقد اجتهدت في هذا التحديد وأنا أواجه صعوبة في تفسير الاصطلاحات اللاهوتية.

فالأصولية (Fundamentalism) تُطلق على الاتجاهات الدينية المتشددة في مسائل العقيدة والأخلاق، والمؤمنة بالعصمة الحرفية للكتاب المقدس، سواء العهد القديم أو العهد الجديد (Old & New Testament)، والمقتنعة بأنه يتضمّن توجيهات لمجمل الحياة بما في ذلك الشؤون السياسية، وبخاصة النبوءات التي تشير إلى أحداث مستقبلية تقود إلى «استعادة اسرائيل والعودة الثانية للمسيح Second Coming of) Christ)».

ويركز الأصوليون في فهمهم للعهد القديم على موضوع مركزي منتشر في كل كتبه ابتداء من التوراة، أو أسفار موسى الخمسة، والكتب التاريخية إلى الكتب النبوية. وهذا الموضوع المحوري هو «اسرائيل» وشعبها المختار من قبل الله كعنصر مقدس والدفاع عنه ضد الذين يحيقون به وطلب اغاثة الرب له[١]. بالإضافة إلى ملكية هذا الشعب الأبدية للأرض الموعودة المقدسة، وهي فلسطين. وقد تمسّك هؤلاء بالنصوص الحرفية للكتاب المقدس، وسيّسوا رؤيتهم الدينية معتبرين أن اسرائيل الواردة في العهد القديم، هي اسرائيل المعاصرة في فلسطين، وأن ميلاد اسرائيل في عام ١٩٤٨ في فلسطين، هو تأكيد لصلاحية النبوءات التوراتية وعلامة على اقتراب العودة الثانية للمسيح[٢]. ويرتكز هذا الإيمان، الذي أفرزته عملية الربط التاريخي واللاهوتي بين اسرائيل الواردة في التوراة واسرائيل المعاصرة، على المعتقدات التالية[٣]:

١ ـ معتقدات بأمور وأحداث جرت في الماضي وأهمها:

أ ـ اختيار الله اليهود كشعب مفضّل ومختار.

ب ـ اختيار فلسطين كمكان لمعبد الله وموقع لمملكة اسرائيل.

ج ـ معاقبة الله اليهود لمخالفتهم تعاليمه.

د ـ ومع ذلك فإن الله لن يخلف وعده لشعبه المختار.

هـ ـ أرسل الله السيد المسيح لإنقاذ العالم وقد رفضه اليهود في ذلك الوقت.

٢ ـ معتقدات بأمور ستحدث وأهمها:

أ ـ إن خطة الله تتضمن العودة الثانية للمسيح للتبشير بمملكة الله.

ب ـ إن ذلك مشروط باستعادة اسرائيل كشعب مختار لأرضها الموعودة، من أجل تمهيد المكان للمجيء الثاني للمسيح.

---

(١) موريس بوكاي، **القرآن الكريم والتوراة والانجيل والعلم**، ترجمة دار المعارف (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٢)، ص ٣٣.

(٢) Hal Lindsey, *The Late Great Planet Earth* (New York: Bantam Books, 1970), pp. 32-47.

(٣) تناولت المؤلفات الآتية هذا الموضوع بمزيد من التفصيل وهي:

Hudson Winthrop, *Religion in America* (New York: Charles Scribner, 1973); Louis Casper, *The Fundamentalist Movement* (New York: Hague|Mouton and Co., 1963); Ernest R. Sandeen *The Origins of Fundamentalism* (Philadelphia: Fortress Press, 1968); Sydney E. Ahlstrom, *A Religious History of the American People* (New York: Image Books, 1975), and George Hollar, *A History of Fundamentalism in America* ([S.C.]: Bob Jones University Press, 1973).

ج ـ إن إنشاء اسرائيل في فلسطين عام ١٩٤٨ ووجود القدس كاملة تحت الحكم الاسرائيلي لأول مرة منذ أكثر من ألفي عام، هما أبرز الاشارات الدالة على أن العودة الثانية للمسيح على وشك الحدوث.

د ـ اعتبار كل الأشخاص والمجموعات والدول التي تعارض أو تناهض دولة اسرائيل أعداء الله لأنهم يعوقون النبوءات التوراتية[٤].

أما الانجيليون فهم المؤمنون بعصمة التوراة وقبول المسيح منقذاً، وبقدومه الثاني. ومعتقداتهم لا تختلف كثيراً عما يعتقده الأصوليون. كما لا يوجد فروق بينهم تجاه اسرائيل ودورها المبشر بالقدوم الثاني للمسيح، وبالتالي ضرورة دعمها والدفاع عنها بكل الوسائل، واعتبار مباركتها من رضى الله «الذي يلعن معارضيها ومنتقديها»[٥].

ويرى الانجيليون مثلهم كمثل الأصوليين أن تجميع اليهود في فلسطين وإقامة اسرائيل هو «أعظم حدث في التاريخ الحديث، ودليل على أن نبوءات التوراة صارت حقيقة»[٦]. ويقدَّر عدد الانجيليين الأمريكيين بأكثر من ٤٠ مليوناً من البالغين الراشدين من بينهم حوالى ٣٠ مليون أصولي ينتشرون في معظم الطوائف البروتستانتية وكذلك بين بعض الكاثوليك[٧].

أما الصهيونية المسيحية فهي مجموعة المعتقدات الصهيونية المنتشرة بين مسيحيين وبخاصة بين قيادات وأتباع كنائس بروتستانتية، والتي تهدف إلى تأييد قيام دولة يهودية في فلسطين بوصفها حقاً تاريخياً ودينياً لليهود، ودعمها بشكل مباشر وغير مباشر باعتبار أن عودة اليهود إلى الأرض الموعودة ـ فلسطين ـ هي برهان على صدق التوراة، وعلى اكتمال الزمان وعودة المسيح ثانية. وحجر الزاوية في الدعم الشديد لهؤلاء المسيحيين لإسرائيل هو الصلة بين «دولة اسرائيل» المعاصرة واسرائيل التوراة. لذلك أطلق على هذه الاتجاهات الصهيونية في الحركة المسيحية الأصولية اسم الصهيونية المسيحية.

وأما الصهيونية فقد انقسم الباحثون طويلاً حول طبيعتها وتعريفها، فمنهم من قال إنها حركة علمانية قومية وكجزء من التيارات القومية العامة التي نشأت في أوروبا في القرون الثلاثة الأخيرة، وأنها استخدمت الدين اليهودي كمجرد أداة لتحقيق

(٤) Lindsey, Ibid., p. 162.

(٥) Jerry Falwell, *Listen America* (New York: Doubleday, 1980), p. 71.

(٦) Routh W. Mouly, «Israel: Darling of the Religious Right,» *Humanist Magazine* (May 1982).

(٧) *Commentary* (March 1981), p. 25.

أهدافها، كما استخدمت وسائل شتى لإثارة الاهتمام بالخصائص والتقاليد الثقافية اليهودية. ولعل المفكر الفرنسي اليهودي مكسيم رودنسون هو أكثر المفكرين الغربيين تشديداً على الطابع العلماني للصهيونية.

ومنهم من اعتبر الصهيونية مذهباً دينياً، ودعوى سياسية بناها الإيمان بما تردده التوراة من أن الله قد استخلف اليهود في الأرض وأورثهم فلسطين، وليس على اليهود المعاصرين سوى اقامة مملكتهم مجدداً في فلسطين.

بيد أن هذا الكتاب لا يتعرض إلى طبيعة الصهيونية كفكرة ودعوة وحركة يهودية، وإنما يبحث في طبيعتها في الفكر المسيحي الغربي وجذورها في التاريخ الأوروبي، وبعده التاريخ الأمريكي، وصولاً إلى التركيز على كونها وجهاً من وجوه الفكر والدعوة والحركة المسيحية الأصولية في كنائس أمريكية معاصرة، حيث يسود الاعتقاد، مثلما ساد في الماضي، بأن حكم المسيح على الأرض لألف سنة ستسبقه استعادة اليهود لفلسطين.

فالصهيونية في هذا الكتاب تنحصر في مجموعة المعتقدات التي كانت تهدف إلى تحقيق برنامج أول مؤتمر صهيوني سياسي عقد في بال، في سويسرا عام ١٨٩٧، والذي اعتبر البرنامج السياسي للحركة الصهيونية السياسية في القرن العشرين. وقد أكد على هذا البرنامج المؤتمر الصهيوني الذي عقد في القدس عام ١٩٦٨ وحدِّدت فيه أهداف الصهيونية، ومن أبرزها تجميع الشعب اليهودي في وطنه التاريخي ـ أرض اسرائيل وتقوية «دولة اسرائيل» باعتبارها المركز في الحياة اليهودية.

ولعل اعلان بال الصادر عن قيادات الصهيونية المسيحية في مؤتمرها المنعقد في هذه المدينة السويسرية في الفترة من ٢٧ ـ ٢٩ آب/ اغسطس ١٩٨٥ هو أفضل توضيح لمفهوم الصهيونية المسيحية وطبيعتها وبرنامجها طبقاً لأهداف هذا الكتاب.

ففي مقدمة اعلان بال أعلن المسيحيون الصهيونيون ما يلي: «نحن الوفود المجتمعين هنا، من دول مختلفة، وممثلي كنائس متنوعة، في نفس هذه القاعة الصغيرة والتي اجتمع فيها منذ ٨٨ عاماً مضت الدكتور تيودور هرتزل ومعه وفود المؤتمر الصهيوني الأول والذي وضع اللبنة الأولى لإعادة ميلاد دولة اسرائيل، جئنا معاً للصلاة ولإرضاء الرب، ولكي نعبّر عن ديننا الكبير وشغفنا العظيم بإسرائيل (الشعب والأرض والعقيدة) ولكي نعبّر عن التضامن معها، وأننا ندرك اليوم وبعد المعاناة المريرة التي تعرّض لها اليهود، أنهم ما زالوا يواجهون قوى حاقدة ومدمرة مثل تلك التي تعرضوا لها في الماضي.

وإننا كمسيحيين ندرك أن الكنيسة أيضاً لم تنصف اليهود طوال تاريخ معاناتهم واضطهادهم. إننا نتوحد اليوم في أوروبا بعد مرور أربعين عاماً على الاضطهاد لليهود ـ الهولوكست ـ لكي نعبّر عن تأييدنا لإسرائيل، ونتحدث عن الدولة التي تم اعداد ميلادها هنا في بال، إننا نقول «أبداً. . . ولا

رجعة» للقوى التي يمكن أن تتسبب في استرجاع أو تكرار هولوكست جديدة ضد الشعب اليهودي».

كما ورد في مبادىء الاعلان أيضاً: «إننا نهنىء دولة اسرائيل ومواطنيها على الانجازات العديدة التي تحققت في فترة وجيزة تقلّ عن أربعة عقود، إننا نحضكم على أن تكونوا أقوياء في الله وعلى أن تستلهموا قدرته في مواجهة ما يعترضكم من عقبات، وإننا نناشدكم بحب أن تحاولوا تحقيق العديد مما تصبون إليه، وعليكم أن تدركوا أن يد الله وحدها هي التي ساعدتكم على استعادة الأرض وجمعتكم من منفاكم طبقاً للنبوءات التي وردت في النصوص المقدسة. وأخيراً فإننا ندعو كافة اليهود في جميع أنحاء المعمورة بالهجرة إلى اسرائيل، كما ندعو كل مسيحي أن يشجع ويدعم أصدقاءه اليهود في كل خطواتهم الحرة التي يستلهمونها من الله»[٨].

ولم يرد في قرارات المؤتمر شيء يذكر عن المسيحية أو الأماكن المقدسة المسيحية في فلسطين أو المسيحيين فيها.

وقد قسم هذا الكتاب إلى خمسة فصول وخاتمة.

أما الفصل الأول فقد تناول البحث في جذور الصهيونية في المسيحية الأصولية الأوروبية منذ القرن السادس عشر، ويحلل كيف اختلطت المعتقدات الدينية وتزاوجت بالأهداف السياسية والاستراتيجية ومهدت المناخ الملائم لولادة الحركة الصهيونية السياسية للجماعات اليهودية.

ويتناول الفصل الثاني البحث في التأصيل التاريخي للاتجاهات الصهيونية في المسيحية الأصولية الأمريكية، ويناقش أهم المنظمات الصهيونية المسيحية الأمريكية في النصف الأول من القرن العشرين، ويحلل مواقفها تجاه الصراع العربي - الصهيوني، وقد شمل هذا الفصل ثلاثة مباحث.

أما الفصل الثالث فيناقش الحركة المسيحية الأصولية في الفترة ما بين عامي ١٩٦٧ و١٩٨٦ ويحلل أهمية الكنيسة في المجتمع الأمريكي ودورها وعلاقتها بالدولة دستورياً. كما يتناول هذا الفصل في مباحثه الثلاثة تحليلاً للعوامل التي تقف وراء نهوض الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية وبخاصة تأثير حرب حزيران/ يونيو ١٩٦٧ في إحياء فكر الحركة وتنشيط صهيونيتها وازدياد تأثيرها في السياسة الخارجية.

ويتناول الفصل الرابع البحث في مؤسسات الحركة المسيحية الأصولية ومنظماتها وتحالفاتها وجماعات ضغطها، كما يناقش الظاهرة الجديدة المسماة «الكنيسة المرئية»، ويحلل أهم منظماتها وأبرز قادتها وأكثر برامجها انتشاراً وتأثيراً، اضافة إلى علاقاتها

---

(٨) Declaration of the International Christian Zionist Leadership Conference, Basel (Switzerland), 27-29 August, 1985.

السياسية والاعلامية والمالية، وامتداداتها إلى خارج الحدود الأمريكية.

أما الفصل الخامس فيناقش في مبحثين قضية الخلافات والاختلافات القائمة بين الحركة المسيحية الأصولية وبين الحركة الصهيونية اليهودية واسرائيل، كما يتناول المشاهد المتوقعة لمستقبل الحركة المسيحية الأصولية في المجتمع الأمريكي.

وفي الخاتمة يتم عرض أهم نتائج الدراسة، يليها مبحث خاص يشمل مشروع خطة عمل مفصلة لمواجهة الحركة الصهيونية المسيحية الأمريكية المعاصرة.

لقد سعى هذا الكتاب جاهداً إلى رصد وتحليل الاتجاهات الصهيونية في الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية المعاصرة وكشف قوة تأثيرها في صنع وتشكيل السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الصراع العربي - الصهيوني، وفي توفير المناخ الملائم لنزعة أمريكية عامة متحيزة لاسرائيل، كما سعى إلى كشف الغطاء عن المدى الواسع في استعمال الرموز الخطابية التوراتية في العمل السياسي الأمريكي، نتيجة تأثير الكنيسة في المجتمع المدني وبخاصة في ثقافته العامة، بحيث صوّر الصراع العربي - الصهيوني في الخيال العام الأمريكي على أنه امتداد للصراع التوراتي بين اليهود وغير اليهود. وعلى أن العلاقة الأمريكية - الاسرائيلية هي علاقة خاصة قائمة على فهم توراتي تراثي مشترك. من هنا يمكن أن نفسر استعمال الخطاب السياسي الأمريكي اصطلاح «الالتزام الأخلاقي والأدبي» بدعم اسرائيل، وهو الاصطلاح الذي لم تستعمله الولايات المتحدة الأمريكية مع أية دولة صديقة أخرى غير اسرائيل.

وأخيراً، إن كان لي ما أتمناه في هذا المجال، فهو أن ينبّه هذا الكتاب قيادات الفكر والعمل العام في وطننا العربي وعالمنا الاسلامي إلى خطورة هذه الحركة المسيحية الأصولية، وأن يثير اهتمام الباحثين ووعيهم بها وبعلاقاتهم بالصراع العربي - الصهيوني.

وأن يكون عوناً لنا في رؤيتنا المستقبلية وفي تعبئة أمتنا لمواصلة الصراع وتهيئة متطلباته.

د. يوسف الحسن
أبو ظبي، في صيف ١٩٨٩

الفَصْل الأول

جُذورُ الصّهْيُونيّةِ في المسِيحيّة الأصُوليّةِ الأورُوبيّة

شهدت أوروبا خلال القرون الوسطى وبخاصة في القرنين الثالث عشر والرابع عشر سلسلة دامية من الأحداث والصراعات والاضطهاد ضد اليهود. فقد طُرد اليهود من انكلترا في نهاية القرن الثالث عشر، ومن فرنسا في نهاية القرن الرابع عشر، ومن اسبانيا في نهاية القرن الخامس عشر. وعانى اليهود على مدى هذه القرون أشكالاً مختلفة من العزل والتمييز والقتل والمحظورات والقيود في الحركة والفكر لأسباب متعددة، من بينها الوظائف الاقتصادية للجماعة اليهودية، إذ شهدت هذه القرون تطوراً كبيراً في النشاط الربوي اليهودي الذي ساهم في المضاربات الاقتصادية والسياسية لمجتمعات الاقطاع الأوروبي[1].

كانت هذه الوظيفة الربوية أول من دفع ثمن الأزمات الاقتصادية والحروب الداخلية والخارجية وموجات السخط والاضطراب الاجتماعي خصوصاً لكونها مصدر دعم قوي للملوك في صراعهم ضد النبلاء[2]. وتؤكد المؤرخة اليهودية باربارة تشمان (Barbara Tuchman) أن جذور الكراهية لليهود في أوروبا، وُجدت خلال فترات الحروب الصليبية لأسباب دينية واقتصادية. فاليهود، في نظر مسيحيي أوروبا، هم أعداء المسيح وقتلته. وهاجمتهم الجماهير الشعبية وبخاصة في انكلترا وأعملت فيهم

---

(١) نصر شمالي، **إفلاس النظرية الصهيونية** (بيروت: منشورات فلسطين المحتلة، ١٩٨١)، ص ٦٧.

(٢) تناول المؤرخ اليهودي آرثر كوستلر في كتابه:

Arthur Koestler, *The Thirteenth Tribe: The Khazar Empire and its Heritage* (New York: Random House, 1970), pp. 57-65,

العرض لوظائف اليهود الاقتصادية الربوية، والتي كانت ضمن أسباب الكره والاضطهاد والتنكيل باليهود في العصور الوسطى.

ذبحاً وتنكيلاً. ومن نجا منهم قام بذبح زوجته وأطفاله ثم قتل نفسه بيديه، كما كانت هذه الجماهير تصادر ممتلكاتهم وأموالهم[٣].

في تلك الفترة، لم تكن فلسطين تُذكر إلا على أنها أرض المسيح المقدسة. وظلت كذلك طوال مئات السنين القليلة التالية، إلى درجة أن الرجل الانكليزي كان يقول: «حينما أموت، ستجد فلسطين ساكنة في قلبي»[٤].

واستمرت فلسطين، كأرض مقدسة، تحتل مكاناً بارزاً في خيال أوروبا المسيحية وطموحاتها، سواء لأسباب اقتصادية أو سياسية أو دينية. ونتج عن الكره المسيحي لليهود وعن مسلك اليهود أنفسهم تبلور ما سُمّي فيما بعد نظام الغيتو (Ghetto)، أي اعتزال اليهود وفصلهم عمن يحيطهم من المسيحيين[٥].

ويذكر لنا تاريخ انكلترا أن ملكها إدوارد قام عام ١٢٩١ بطرد اليهود منها، وهو العام الذي انتهت فيه الحروب الصليبية، وتم طرد آخر المشاركين من الوطن العربي[٦].

لم تكن أوروبا الغربية تنظر إلى اليهود قبل حركة الاصلاح الديني فيها على أنهم شعب الله المختار. كما لم تكن تقول إن فلسطين هي أرضهم التي وعدهم الله بها، ولم تكن هناك أية فكرة تدور حول اسرائيل أكثر من كونها «اسماً لدين سماوي وليست كياناً وطنياً»[٧].

ويُلفت النظر إلى أن فرنسا كانت، على حد تعبير كوستلر، نظيفة تماماً من اليهود قبل نهاية القرن الرابع عشر شأنها شأن انكلترا[٨].

بانتهاء العصور الوسطى في الفترة التي تمتد على مدى خمسين عاماً قبل وبعد عام ١٥٠٠[٩]، شهد التاريخ عدة أحداث فاصلة مثل فتح القسطنطينية عام ١٤٥٣، واختراع الطباعة عام ١٤٥٤، واكتشاف أمريكا عام ١٤٩٢. وفي هذا العام الأخير

---

(٣) Barbara W. Tuchman, *Bible and Sword: England and Palestine from the Bronze Age to Balfour* (New York: New York University Press, 1956), p. 58.

(٤) المصدر نفسه، ص ٥٩.

(٥) Regina S. Sharif, *Non-Jewish Zionism: Its Roots in Western History* (London: Zed Press, 1983), p. 11.

(٦) Tuchman, *Bible and Sword: England and Palestine from the Bronze Age to Balfour*, p. 79.

(٧) Sharif, Ibid., p. 12.

(٨) Koestler, *The Thirteenth Tribe: The Khazar Empire and its Heritage*, p. 166.

(٩) Tuchman, *Bible and Sword: England and Palestine from the Bronze Age to Balfour*, p. 83.

نفسه سقط الحكم العربي في الأندلس، وتبعه طرد اليهود من اسبانيا وهجرتهم إلى فرنسا وهولندا وانكلترا وغيرها، حيث أخذوا في تشكيل طبقة اقتصادية ماهرة وثرية وبخاصة في مجال التجارة الخارجية، مما أغرى انكلترا ودول أخرى على الاستعانة باليهود للاستفادة من شبكة علاقاتهم التجارية الممتدة عبر أوروبا فيما بعد[١٠].

ومع صعود البرجوازية الأوروبية وبروز دورها القيادي في المجتمع وبدء الاكتشافات الكبرى من طرق بحرية وثروات خام، صارت أوروبا أكثر قدرة على استيعاب الوظائف اليهودية الاقتصادية واستخدامها في ميدان الصراع بين العواصم الأوروبية، لتعزيز المواقع الجغرافية والسياسية، اضافة إلى تحقيق التفوق التجاري والبحري خارج حدود القارة الأوروبية.

وإذا ما تابعنا هذا السياق التاريخي، فإن تاريخ العلاقات المسيحية اليهودية يكون قد بدأ مرحلة جديدة مع هذه التغيرات الأساسية في المجتمعات الأوروبية، وبخاصة مع بروز حركة الاصلاح الديني البروتستانتي في القرن السادس عشر، حين تداخلت في هذه الحركة أساطير صهيونية، وتسربت إليها عبر التفسيرات الحرفية للتوراة، وساعد على تناميها دوافع سياسية واقتصادية واجتماعية عديدة.

وجاءت البروتستانتية لتسمح لأتباعها بحقهم المتساوي في فهم الكتب المقدسة، وعارضت الكنائس الأخرى التي تعتبر فهم هذه الكتب وقفاً على رجال الكنيسة[١١]. والبروتستانتية تعني لغوياً الاحتجاج والاعتراض (Protestation) وتدعو إلى حرية القول والرأي. ومن هنا يمكن تفسير العدد الكبير من الفرق والمذاهب المنبثقة عن حركة الاصلاح الديني البروتستانتي[١٢].

ويبدو أن البروتستانتية ما كانت لتنمو من دون معرفة كتاب العهد القديم (Old Testament)، وهو الكتاب المقدس لدى اليهود والمسيحيين على حد سواء. وهو في مجمله يضم الشعر والنثر والحكم والأمثال والقصص والأساطير والغزل والرثاء... الخ. وقد لحقه الكثير من التعديلات والاضافات طوال الأجيال. وتعددت فيه النصوص والترجمات والتصحيحات، وهو تراث شعبي لا سند له إلاّ الذاكرة. فكانت مساهمات البشر فيه كثيرة على مدى تسعة قرون وبلغات مختلفة[١٣]. وعموماً، فإن

---

(١٠) شمالي، **إفلاس النظرية الصهيونية**، ص ٨١.

(١١) أحمد شلبي، **مقارنة الأديان** (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٤)، ص ٢٤١.

(١٢) مصطفى جحا، «البروتستانتية الشرقية تصحح ما أفسدته البروتستانتية الغربية،» **النهار العربي والدولي** (٢٦ كانون الثاني/ يناير ١٩٨٦).

(١٣) موريس بوكاي، **القرآن الكريم والتوراة والانجيل والعلم**، ترجمة دار المعارف (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٢)، ص ٢٢.

العهد القديم هو تاريخ اليهود، ولم يكتسب شكله النهائي إلا في القرن الأول بعد الميلاد ـ ميلاد السيد المسيح، عليه السلام. وقد اعتمدت المسيحية التوراة العبرية، لكنها أدخلت عليها بعض الاضافات والحذف[١٤]. وحينما أمر الملك هنري الثامن، ملك انكلترا عام ١٥٣٨ بترجمة التوراة للغة الانكليزية ونشرها واتاحتها للقراءة من قبل العامة، كان بذلك يضع اليهودية ـ تاريخاً وعادات وقوانين ـ لتكون جزءاً من الثقافة الانكليزية، ولتصبح ذات تأثير هائل في هذه الثقافة على مدى القرون الثلاثة التالية[١٥].

تؤكد المؤرخة اليهودية تشمان أنه من دون هذا التراث التوراتي، فإنه كان من المشكوك فيه صدور وعد بلفور باسم الحكومة الانكليزية عام ١٩١٧، أو انتدابها على فلسطين، رغم وجود العوامل الاستراتيجية التي برزت على المسرح فيا بعد[١٦]. وصار يطلق على التوراة المترجمة «التوراة الوطنية لانكلترا». وكان لها من التأثير على روح الحياة الانكليزية أكثر من أي كتاب آخر. وصارت قصص التاريخ اليهودي المادة الرئيسية في الثقافة الانكليزية والمعرفة التاريخية للانكليز. كما لوحظ أنه كلما ركزت البروتستانتية على الأصول «الفلسطينية» للمسيحية عملت على تقليص دعاوى وطموحات الكنيسة الكاثوليكية في روما[١٧].

وهكذا أخذت انكلترا تتعرف على تاريخ اليهود من خلال هذه التوراة وأسفارها[١٨]، التي تحوي أساطير وأشعاراً وأمثالاً ونبوءات وقصص أنبياء بني اسرائيل وملوكهم وأسباطهم وتعاليمهم وطقوسهم الاجتماعية والمدنية والدينية ونفيهم وخروجهم من مصر وفلسطين وحروبهم وأغانيهم ومراثيهم.

وأكثر من ذلك، فقد أصبحت فلسطين، في قراءات الكنائس ومواعظها، وفي العقل المسيحي في أوروبا البروتستانتية، الأرض اليهودية، وصار اليهود «شعب فلسطين

---

(١٤) المصدر نفسه، ص ٢٣.

(١٥) Tuchman, *Bible and Sword: England and Palestine from the Bronze Age to Balfour,* p. 80.

(١٦) المصدر نفسه، ص ٨٠.

(١٧) المصدر نفسه، ص ٨١.

(١٨) العهد القديم هو التسمية العلمية لأسفار اليهود، وتعتمد البروتستانتية تسعة وثلاثين سفراً تضم ثلاثة أقسام: الأول منها هو التوراة والتي تشمل أسفار موسى الخمسة (التكوين والخروج والأحبار والعدد والتثنية)؛ الثاني هو أسفار الأنبياء المتقدمين والمتأخرين، والثالث هو الكتابات التي تضم كتب المزامير والأمثال، وكذلك المجلات الخمس مثل نشيد الأنشاد، إضافة إلى الكتب مثل أسفار دانيال وغيرها. أما الكنيسة الكاثوليكية فلها تقسيمات أخرى للعهد القديم. وقد وردت تفصيلاتها في مؤلفات أحمد شلبي وبخاصة كتابه: **مقارنة الأديان**، وكذلك بوكاي، **القرآن الكريم والتوراة والانجيل والعلم**.

الغرباء في أوروبا والغائبين عن وطنهم، والعائدين إليه في الوقت المناسب»[١٩].

وتتحدث المؤرخة تشمان عن تأثير العهد القديم في الأدب الانكليزي وبخاصة في الشعر والغناء[٢٠]. ويذكر مؤرخ يهودي آخر هو سيسيل روث (Cecil Roth) عن صدور مطبوعات تمجد اليهود وتطالب بإعادتهم إلى انكلترا. وقد ترجمت إلى الاسبانية ليسهل تداولها بين يهود هولندا وانكلترا المهاجرين من اسبانيا والبرتغال[٢١]. وبذلك فتح الباب واسعاً أمام الكنيسة البروتستانتية والحكومة الانكليزية للترحيب باليهود كعقيدة وتاريخ وفقاً للتوراة، وكأفراد يتمتعون بمهارات تجارية فائقة وصلات مؤثرة في عدد من الدول الأوروبية وبخاصة هولندا، التي كانت انكلترا تسعى إلى جرها للتحالف معها، أو لمنافستها تجارياً بمساعدة اليهود.

أخذت اللغة العبرية، باعتبارها لغة التوراة، تحتل مكانها بجانب اللغات الانكليزية والفرنسية واللاتينية واليونانية. وصارت المعرفة بالعبرية جزءاً معترفاً به في الثقافة الأوروبية. وأخذ الاصلاحيون يعتبرونها ضرورية لفهم محتوى التوراة. ومع نهاية القرن السادس عشر كانت قد دخلت العبرية حروف الطباعة. ولم يقتصر هذا الدعم للظاهرة العبرية على رجال وأتباع الكنيسة البروتستانتية، بل تعداه إلى أوساط المثقفين، وأهم من ذلك إلى أوساط الهيئات القضائية ذات التأثير الكبير في المجتمع[٢٢]. وتبع ذلك دخول دراسات عبرية في الجامعات البريطانية ودول أوروبية غربية أخرى، مما أدى إلى توافر العديد من الدارسين للعبرية ممن اعتمد عليهم الملك جيمس الأول (١٦٠٣ ـ ١٦٢٥) في ترجمة العهد القديم.

لقد أدى انتشار العبرية والدراسات اليهودية في الجامعات والثقافة الأوروبية إلى إحداث التأثيرات التالية:

١ ـ امكانية قبول التفسير اليهودي للعهد القديم، ولاسيما التفسير المتعلق بمستقبل استعادة اليهود لفلسطين.

٢ ـ اقتناع طلبة الجامعات والباحثين بأن كلمة اسرائيل الواردة في العهد القديم تعني كل الجماعات اليهودية في العالم.

---

(١٩) Sharif, *Non-Jewish Zionism: Its Roots in Western History,* p. 14.

(٢٠) Tuchman, *Bible and Sword: England and Palestine from the Bronze Age to Balfour,* pp. 92-93.

(٢١) Cecil Roth, *Essays and Portraits in Anglo-Jewish History* (Philadelphia: Jewish Publication Society of America, 1962), p. 11.

(٢٢) المصدر نفسه، ص ١٥.

٣ ـ قبول التفسير بارتباط زمن نهاية العالم بعودة المسيح الثانية، وإن هذه العودة مرتبطة بمقدمة تشير إلى عودة اليهود إلى فلسطين(٢٣).

ومن الملفت في هذا المجال أن البيوريتانيين أو التطهريين (Puritans) صنّفوا أنفسهم أبناء إسرائيل. واستخدم بعضهم العبرية في صلواته، وذهب بعضهم إلى حد اعتناق اليهودية. وبشكل عام كان التعاطف مع اليهود يترسخ يوماً بعد يوم، وبخاصة مع الفكرة المعروفة «شعب الله القديم»(٢٤).

وما ان حلّ القرن السابع عشر حتى أخذت ظاهرة «إحياء الساميّة» كما أسماها المؤرخ اليهودي سيسيل روث، تفرض نفسها وتكتسب الاعتراف بها في الأوساط الرسمية والشعبية.

اتصفت هذه الظاهرة بمظاهر ثلاثة: الأول منها التعاطف مع اليهود، والثاني الخجل مما عانوه في الماضي، والثالث الأمل في تحقيق نبوءة عودة اليهود إلى فلسطين(٢٥). وصارت فلسطين بالنسبة إلى انكلترا «الوعد بإيفاء النبوءة بإعادة اليهود إليها، وذلك ليس حباً باليهود بل من أجل الوعد الذي أعطي لهم»(٢٦).

صارت هذه الفكرة شائعة وشعبية، بعد أن كانت فلسطين في الفكر الشعبي معروفة بأنها الأرض المقدسة المسيحية، والتي من أجلها أعلنت الحروب الصليبية ضد العرب والاسلام. وتبع ذلك أيضاً صدور منشورات وعرائض وكتب ومؤلفات تتحدث عن شعب الله القديم واسرائيل والقدس واستعادة مملكة اسرائيل، من أجل أن تظهر مملكة المسيح، حين يتحول عندها كل اليهود إلى المسيحية. ومن بين هذه الكتابات التي كانت نتاجاً طبيعياً للثقافة والمناخ الديني السائدين في ذلك الوقت، البحث الذي وضعه السير هنري فنش (Henry Finch)، المستشار القانوني لملك انكلترا ونشره عام ١٦٢١ بعنوان الاستعادة العظمى العالمية (The World's Great Restoration)، واعتبر أول المشروعات الانكليزية لاستعادة فلسطين لليهود، «حيث طالب الأمراء المسيحيون بجمع قواهم لاستعادة امبراطورية الأمة اليهودية»(٢٧). وفي منتصف القرن السابع عشر، قُدم العديد من الالتماسات والعرائض، ومن بينها عريضة قُدّمت إلى الحكومة الانكليزية في عام ١٦٤٩ تحث انكلترا وهولندا لتكونا الأسرع في نقل

(٢٣) المصدر نفسه، ص ١٧.
(٢٤) المصدر نفسه، ص ١٣.
(٢٥) المصدر نفسه، ص ١١.
(٢٦) Tuchman, Ibid., p. 122.
(٢٧) المصدر نفسه، ص ١٣١.

أبناء اسرائيل وبناتها على مراكبهم إلى الأرض التي وُعد بها آباؤهم الأولون(٢٨).

وهكذا ساعدت هذه الدعوات والمناخ العام على اعادة اليهود إلى انكلترا كخطوة أولى لاستخدامهم في أغراضها التجارية من ناحية، وجمع شتاتهم ونقلهم إلى فلسطين من ناحية أخرى، تقريباً لموعد القدوم الثاني للمسيح. وصار في يقين البيوريتانيين أن التصاقهم باليهود سيجعل اليهود أقل مقاومة لعملية تحويلهم إلى المسيحية. وانتشر الاعتقاد يقيناً بأنه بحلول عام ١٦٦٦ سيكون «الحسم سواء في مصير اليهود بتنصيرهم أو باستعادتهم لمملكتهم في فلسطين»(٢٩).

تكمن أهمية حركة الاصلاح الديني البروتستانتي في كونها طليعية ورائدة في مجال استكشاف الأفكار الصهيونية المتعلقة باستعادة ما يسمى الأمة اليهودية، واستعادة فلسطين كوطن لليهود. وصحيح أن مارتن لوثر، مؤسس وقائد هذه الحركة الاصلاحية، قد عبّر في المرحلة الأخيرة من حياته عن كرهه لليهود، وطالب بطردهم من انكلترا، بعد فشله في تنصيرهم(٣٠)، إلا أن دعوته إلى التخلص منهم كانت بدفعهم باتجاه العودة إلى «أرضهم يهودا»(٣١) وليس إلى أي مكان آخر. وقد دعا في بداية حياته إلى دراسة اللغة العبرية. وركز على دور التوراة في الحياة المسيحية وبخاصة عام ١٥٢٣. وكان هدفه النهائي تحويل اليهود إلى المسيحية، وتحقيق النبوءة التوراتية المتعلقة بانقاذ اليهود وإقامة دولتهم في فلسطين. واعتذر أتباعه بعد أكثر من أربعة قرون عما صدر عنه من ملاحظات سلبية بحقّ اليهود، وذلك حينما أعلن ممثلو الاتحاد العالمي للوثريين المجتمعين في مؤتمرهم في استوكهولم في السويد، في الفترة من ١١ ـ ١٣ تموز/ يوليو ١٩٨٣ عن «عدم التزامهم بكل ما صدر عن لوثر بشأن اليهود»(٣٢). وعبّر مؤتمر رؤساء الكنيسة اللوثرية الأمريكية المنعقد في مدينة سانت لويس في التاسع من تموز/ يوليو ١٩٨٣، والذي حضره أكثر من ١١٠٠ عضو يمثلون أكثر من ٢,٧ مليون لوثري أمريكي، عن «أسف اللوثريين وعدم علاقتهم بالملاحظات المتطرفة التي سبق لمارتن لوثر أن أبداها تجاه اليهود»(٣٣).

بدأ منذ القرن السادس عشر ما يمكن وصفه بـ «الاتحاد الغريب بين سياسة الامبراطورية الانكليزية ونوع من الصهيونية المسيحية الأبوية التي اتضحت في السياسة الانكليزية في

(٢٨) Sharif, *Non-Jewish Zionism: Its Roots in Western History*, p. 24.
(٢٩) Tuchman, Ibid., p. 135.
(٣٠) Henry L. Feingold, *Zion in America: The Jewish Experience from Colonial Times to the Present* (New York: Hippocrene Book, 1974), p. 8.
(٣١) Sharif, *Non-Jewish Zionism: Its Roots in Western History*, p. 21.
(٣٢) Leonard C. Yasseen, *The Jesus Connection* (New York: Crossroad Publication, 1985), p. 6.
(٣٣) *Washington Post* (16 July 1983).

الأجيال اللاحقة»[٣٤]. وتذكر المؤرخة اليهودية تشهان ان اهتمامات انكلترا البيوريتانية في استعادة «اسرائيل» كانت دينية الأصل ونابعة من العهد القديم الذي سيطر على عقل القوى الحاكمة في القرن السابع عشر وقلبها، وساعدتها في ذلك عدة عوامل أخرى تدخلت فيما بعد، منها العوامل السياسية والتجارية والعسكرية والامبريالية[٣٥].

قويت في القرن الثامن عشر الاتجاهات الصهيونية وزاد التعاطف مع اليهود في أوروبا البروتستانتية. وساعدت على ذلك عوامل عدة منها أن هذا القرن قد شهد انتصار الثورة الامريكية وبداية الثورة الفرنسية وتصاعد الثورة الصناعية بما في ذلك من انتشار لأفكار الاستنارة والفكر الحر والنشاط المكثف للتجارة الخارجية والرحالة وعلماء الآثار والحجاج الأوروبيين إلى الأراضي المقدسة في فلسطين وانتشار كتب الرحلات التي تتحدث عن زيارات الأرض المقدسة وعن قصص بني اسرائيل القديمة في فلسطين مثل كتاب **رحلتان إلى القدس** (Two Journeys to Jerusalem) الذي أصدره ناثانيال كروش (Nathanial Crouch) عام ١٧٠٤[٣٦].

وتتحدث ريجينا شريف (R. Sharif) عن تأثير المقولات الصهيونية المسيحية على الأدب الأوروبي في القرنين السابع عشر والثامن عشر سواء في انكلترا أو فرنسا أو المانيا، وكذلك على أعمال عدد من الفلاسفة من أمثال باسكال (Pascal) وكنط (Kant) وكذلك تأثيرها على العلماء من أمثال اسحق نيوتن إذ تشير إلى كتاب له نُشر بعد وفاته يتحدث عن عودة اليهود إلى وطنهم في فلسطين، وعن توقّعه تدخل قوة أرضية نيابة عن اليهود المضطهدين للتأثير على عودتهم إلى فلسطين[٣٧]. وهي تشير كذلك إلى كتاب روسو (Rousseau) المسمّى **إميل** (Emile) والصادر عام ١٧٦٢، حيث ورد فيه حديث عن اليوم الذي يملك فيه اليهود دولتهم الحرة في فلسطين، وتصبح لهم مدارسهم وجامعاتهم[٣٨].

طرحت فرنسا لأول مرة خطة لإقامة كومونوويلث يهودي في فلسطين، مقابل القروض اليهودية للحكومة الفرنسية، ومساهمة اليهود في تمويل حملة نابوليون بونابرت لاحتلال المشرق العربي بما فيه فلسطين[٣٩]. وتذكر المؤرخة اليهودية تشهان أن نابوليون

(٣٤) شهابي، **إفلاس النظرية الصهيونية**، ص ٣٠.

(٣٥) Tuchman, *Bible and Sword: England and Palestine from the Bronze Age to Balfour,* p. 146.

(٣٦) المصدر نفسه، ص ١٥٣.

(٣٧) Sharif, *Non-Jewish Zionism: Its Roots in Western History,* pp. 36-37.

(٣٨) المصدر نفسه، ص ٣٧.

(٣٩) خيرية قاسمية، **النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه، ١٩٠٨ - ١٩١٨**، سلسلة كتب فلسطينية؛ ٤١ (بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، ١٩٧٣)، ص ١٢.

بونابرت هو أول رئيس دولة يقترح «استعادة دولة يهودية في فلسطين»، لكنها ترى في دعوته أنها خالية من المضمون الديني، وتشبهها بدعوته العرب إلى الانتفاض ضد الحكم العثماني[٤٠]. بيد أنه يمكن القول إن دعوة نابوليون بونابرت وما شابهها فيما بعد، قد اتخذت من فكرة توطين اليهود في فلسطين وسيلة للتدخل في هذه المنطقة. وعملت على تسخير هذه الفكرة لخدمة أغراضها السياسية ومصالحها الامبريالية، ولاستقطاب دعم الجماعات اليهودية في الدول الأوروبية الغربية لمحاولات التوسع الامبريالي في الوطن العربي والسيطرة على موارده.

وظهرت في القرن التاسع عشر دعوات سياسية ودينية جديدة ساهمت في تهيئة الظروف والمناخ المناسبين لولادة الصهيونية اليهودية السياسية، ولعبت دوراً أساسياً في تشجيع توطين اليهود في فلسطين. ويعتبر اللورد بالمرستون (Palmerston) (١٧٨٤ - ١٨٦٥) وزير خارجية انكلترا، ورئيس وزرائها فيما بعد، من أشد المتحمسين لتوطين اليهود في فلسطين. وكان يعتقد أن بعث الأمة اليهودية سيعطي القوة للسياسة الانكليزية[٤١]. وقد بعث برسالة في ١١ آب/ اغسطس ١٨٤٠ إلى سفير انكلترا في الأستانة، يدعوه فيها إلى حث السلطان والحكومة العثمانية على مساعدة اليهود، وتشجيعهم للتوطن في فلسطين، وقال في رسالته «إن الثروات التي سيحضرها اليهود معهم ستزيد بالتأكيد من موارد السلطان، كما أن عودة الشعب اليهودي بحماية وتشجيع ودعوة من السلطان، ستحول دون قيام أية مشروعات مستقبلية يقوم بها محمد علي أو خلفاؤه، وانني أطلب منكم بقوة أن تقنعوا الحكومة العثمانية بتقديم كل التشجيع اللازم ليهود أوروبا للعودة إلى فلسطين»[٤٢].

لقد نشرت جريدة التايمز (Times) اللندنية في ١٧ آب/ اغسطس من العام ١٨٤٠ نفسه خطة لزرع الشعب اليهودي في أرض فلسطين. ولم يكن صاحب هذا المشروع سوى اللورد شافتسبري (Lord Shaftesbury) وهو اللورد آشلي (Ashly) نفسه سابقاً (١٨٠١ - ١٨٨٥)، وكان أحد أبرز العناصر الانكليزية تحمسا وتشجيعاً لهذه الفكرة الصهيونية. وقد عقد آمالاً كبيرة على «التنقيب عن آثار فلسطين للتدليل على صدق الكتاب المقدس وصحة ما ورد فيه»[٤٣]. وكان يصلي كل يوم لسلام القدس، على حد

(٤٠) Tuchman, *Bible and Sword: England and Palestine from the Bronze Age to Balfour,* p. 162.

(٤١) امين عبد الله محمود، **مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى**، سلسلة عالم المعرفة؛ ٧٤ (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٤)، ص ١٩.

(٤٢) Tuchman, Ibid., p. 175.

(٤٣) أسعد رزوق، **اسرائيل الكبرى: دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني** (بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، ١٩٦٨)، ص ٦١.

قول المؤرخة اليهودية تشمان. وقد تقدم أثناء انعقاد مؤتمر لندن عام ١٨٤٠ بمشروع إلى بالمرستون لتوطين اليهود في فلسطين، لأنها في رأيه «أرض بغير شعب لشعب بلا أرض»(٤٤). ولم تكن مبادرة بالمرستون وما نشرته الجريدة الانكليزية، ودعوات اللورد شافتسبري خلال أسبوع واحد مجرد صدفة، فقد جمعت هذه الاتجاهات الصهيونية ما بين السياسي (السلطة والقوة) والمنبر الاعلامي (الرأي العام) والتوراة التي كان يمثلها اللورد، واعتبرته تشمان «أهمّ شخصية غير سياسية في العصر الفكتوري»(٤٥).

وكان شافتسبري يطلق على اليهود دائماً تعبير «شعب الله القديم». وقد عمل جاهداً لإعادة اليهود إلى فلسطين. . . لأنهم مفتاح الخطة الإلهية لمجيء المسيح ثانية، والأداة التي من خلالها تتحقق النبوءة التوراتية(٤٦). وقد احتل شافتسبري مكاناً بارزاً في تاريخ الحركة الصهيونية المسيحية، ورأى في اليهود شيئاً حيوياً بالنسبة إلى أمل المسيحيين في الخلاص. وتحولت عودة اليهود إلى فلسطين في الوقت الملائم سياسياً، واستيطان اليهود في فلسطين إلى أمنية سياسية بالنسبة إلى انكلترا(٤٧).

وهكذا صار توطين اليهود في فلسطين مسألة تداخلت فيها المعتقدات التوراتية والطموحات الامبريالية السياسية والاستراتيجية. وقد امتد هذا التداخل والمزج حتى إلى داخل التجمعات اليهودية نفسها. فقد تخوفت البرجوازية اليهودية في أوروبا الغربية من امكانية انضمام الفقراء من المهاجرين اليهود من روسيا، بعد حادثة اغتيال القيصر الروسي اسكندر الثاني عام ١٨٨١، إلى الأحزاب الأوروبية المناهضة للأنظمة القائمة. كما خشيت من أن يؤثر بقاء هؤلاء المهاجرين في أوروبا الغربية على الامتيازات التي كانت تتمتع بها هذه البرجوازية اليهودية. وقد ساعد على ذلك أيضاً بروز الحركات القومية الأوروبية مما شجع البرجوازية اليهودية على استخدام المنطق القومي المطروح في دعوتها إلى توطين اليهود في فلسطين(٤٨).

تعاونت البرجوازية اليهودية الأوروبية مع الكنيسة البروتستانتية في عرقلة الهجرات المتدفقة من اليهود الروس صوب أوروبا الغربية وتوجيهها نحو مكان بديل، هو فلسطين. وبدأت بذلك اقامة دعائم النزعة الاستيطانية للعمل الصهيوني اليهودي

(٤٤) محمود، مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، ص ٢٠.

(٤٥) Tuchman, *Bible and Sword: England and Palestine from the Bronze Age to Balfour,* p. 176.

(٤٦) المصدر نفسه، ص ١٧٨.

(٤٧) شمالي، افلاس النظرية الصهيونية، ص ٨٢.

(٤٨) محمود، مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، ص ٥٩.

السياسي في أواخر القرن التاسع عشر، الذي تُوِّج في المؤتمر الأول للحركة الصهيونية في مدينة بال، في سويسرا عام ١٨٩٧. وفي تلك المرحلة لعبت أسرة روتشيلد اليهودية والثرية في أوروبا الغربية وأسرة روكفيلر المسيحية الأمريكية أدواراً هامة في دعم أوائل المستوطنات اليهودية في فلسطين(٤٩).

وإلى جانب الرموز الصهيونية المسيحية السابق ذكرها، شهد القرن التاسع عشر العديد من الحركات واللجان والدعوات الصهيونية المسيحية الأخرى. ومن الأمثلة على ذلك النداء الذي أصدره القس برادشو (Bradshow) عام ١٨٤٤ واقترح فيه على البرلمان الانكليزي منح أربعة ملايين جنيه إضافة إلى مليون جنيه آخر من الكنائس للمساهمة في استعادة فلسطين لليهود(٥٠). وتشكلت في العام نفسه لجنة في لندن بهدف اعادة أمة اليهود إلى فلسطين. ويلفت النظر ما قاله رئيس البرلمان الانكليزي الذي كان قساً يدعى تولي كرايباك (Tully Crybbace) في البرلمان وهو: «على انكلترا أن تؤمن لليهود كل فلسطين من الفرات إلى النيل ومن البحر الأبيض المتوسط إلى الصحراء»(٥١). وقد ردد عدد من الأدباء الانكليز مثل الشاعر لورد بايرون (Byron) والقاصّ وولتر سكوت (Walter Scott) والأديبة جورج إليوت (G. Eliot) هذه الدعوة، وتحدثوا في أدبهم عن استعادة اليهود لفلسطين(٥٢).

كان من أبرز الدعاة لتوطين اليهود في فلسطين وإقامة دولة أو وطن لهم فيها لورنس اوليفانت (Laurence Oliphant) (١٨٢٩ ـ ١٨٨٨)، رجل الدين وعضو البرلمان الانكليزي والصحفي. وقد أصدر كتاباً عام ١٨٨٠ سمّاه **أرض جلعاد** (The Land of Gilead)، ضمّنه آراءه وأفكاره بخصوص توطين اليهود في فلسطين وفي الضفة الشرقية، في الأردن. ودعا إلى طرد العرب مثلما حدث للهنود الحمر في الولايات المتحدة الأمريكية، لأنهم، على حد قوله، «غير جديرين بأية معاملة انسانية»(٥٣).

هناك أيضاً القس وليام هشلر (William Hishler) (١٨٤٥ ـ ١٩٣١)، الذي أيّد المشروع الاستيطاني اليهودي في فلسطين بقوة. وجمع الأموال لمساعدة اليهود على الاستيطان في فلسطين، وقد أوفدته الحكومة الانكليزية عام ١٨٨٢ إلى الآستانة لمقابلة السلطان العثماني عبد الحميد واقناعه بمسألة توطين اليهود في فلسطين وعقد في أيار/

(٤٩) شمالي، المصدر نفسه، ص ٩٥.

(٥٠) Tuchman, *Bible and Sword: England and Palestine from the Bronze Age to Balfour,* p. 214.

(٥١) المصدر نفسه، ص ٢١٤.

(٥٢) المصدر نفسه، ص ٢١٦ ـ ٢٢٥.

(٥٣) Sharif, *Non-Jewish Zionism: Its Roots in Western History,* p. 68.

مايو ١٨٨٢ مؤتمراً لرجال الدين المسيحيين لإيجاد حل للمسألة اليهودية[٥٤]. كما زار في العام نفسه فلسطين ونفقد أحوال المستوطنات اليهودية فيها، وأصدر في عام ١٨٩٤ دراسة سمّاها «استعادة اليهود لفلسطين» (The Restoration of the Jews to Palestine) تحدّث فيها عن الحاجة إلى إعادة اليهود إلى فلسطين وفقاً لنبوءات العهد القديم[٥٥]. وقد وصفته المؤلفات الصهيونية بأنه المسيحي حبيب صهيون، لأنه القائل بأن اسرائيل توجد في فلسطين قبل العودة الثانية لمخلّصنا ملكها المجيد والذي سيتربع على عرش القدس ويحكم من هناك كملك للملوك طيلة الف عام[٥٦]. وحينما كان هشلر قسيساً لدى السفارة البريطانية في النمسا في أوائل عام ١٨٨٦، تعرّف على هيرتزل ونشأت بينهما صلات عميقة. وعن طريق هذه الصداقة تعرّف هيرتزل على الكثيرين من القادة الأوروبيين، وبخاصة دوق بادن الأكبر فريدريك الأول إذ كان هشلر معلماً خاصاً لابنه. . . وقد ساعد ذلك على اقامة صلات بين هيرتزل والقيصر الألماني[٥٧]. كما كان هشلر أول من قدّم إلى هيرتزل، مؤسس الحركة الصهيونية اليهودية السياسية، خريطة فلسطين بحدودها من الفرات إلى النيل. كما جاء إلى مؤتمر بال عام ١٨٩٧ بصحبة هيرتزل معتبراً نفسه سكرتيراً للمسيح المنتظر وهاتفاً يحيا الملك (أي هيرتزل)، وطالب اليهود بأن استفيقوا يا أبناء ابراهيم، فالله ذاته يدعوكم للرجوع إلى وطنكم القديم[٥٨].

وهكذا لم يتوقف هؤلاء القادة الكنسيون الذين آمنوا بهذه الاتجاهات والأفكار الصهيونية، والتي تبلورت حول دعم وتشجيع توطين اليهود في فلسطين، واعتبارهم شعباً مختاراً، وفلسطين هي أرضهم الموعودة، عند حدود المواعظ الدينية والايمان، بل تعدّوا ذلك إلى الحركة المباشرة ونشر هذه الدعاوى وبذل الجهد لدعمها مالياً وسياسياً وفكرياً.

ومن الأمثلة على ذلك أن القس السياسي والصحفي لورنس أوليفانت سافر عدة مرات إلى الآستانة. وتحدّث إلى رجال أعمال وصناعيين يهود وغير يهود مثل الممول البريطاني الثري فكتور كازاليت (Victor Cazalet)، الذي تعاون معه في تقديم مشروع يقضي بإعطاء اليهود مقاطعة في وادي الفرات ومد خط للسكة الحديد هناك[٥٩].

---

(٥٤) المصدر نفسه، ص ٦٨.

(٥٥) المصدر نفسه، ص ٧١.

(٥٦) رزوق، **اسرائيل الكبرى: دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني**، ص ٥٢.

(٥٧) Sharif, Ibid., p. 72.

(٥٨) رزوق، المصدر نفسه، ص ٨٨.

(٥٩) Tuchman, *Bible and Sword: England and Palestine from the Bronze Age to Balfour*, p. 274.

لقد سجل لقاء اوليفانت مع الزعيم الصهيوني هيرتزل، وكذلك لقاء القس هشلر أيضاً أولى الصلات المباشرة في سلسلة التعاون الطويل بين الصهيونية المسيحية والصهيونية اليهودية، إذ برزت الأخيرة اعتباراً من أول مؤتمر لها في بال (٢٩ ـ ٣١ آب/ اغسطس ١٨٩٧) كحركة سياسية، بادئة بذلك المرحلة التنظيمية كقيادة عليا لليهودية العالمية. وقد أقر مؤتمرها البرنامج الصهيوني السياسي الذي لا يختلف في بعض بنوده عن دعوات واتجاهات الصهيونية المسيحية المتعلقة بتوطين اليهود في فلسطين، وإبراز الهوية القومية لليهود بإنشاء وطن قومي لهم فيها يحظى باعتراف دول العالم[٦٠]. وبذلك وفّقت «الصهيونية اليهودية والصهيونية المسيحية معاً حتى اليوم للعمل على تحويل فلسطين العربية إلى دولة يهودية»[٦١].

لم يلبث أن قام دعاة الصهيونية المسيحية بإنشاء «صندوق استكشاف فلسطين» (Palestine Exploration Fund) الذي أسس في لندن عام ١٨٦٥ برعاية الملكة فكتوريا ورئاسة رئيس أساقفة كانتربري. وقد أثار تأسيس هذا الصندوق المزيد من الاهتمام بمشروع توطين اليهود في فلسطين، إذ قُدّم العديد من الدراسات التفصيلية لهذا المشروع، الذي شارك فيه خبراء آثار وتاريخ وجيولوجيا ورجال دين، وكانت غالبية هذه الدراسات تشير إلى ضرورة «عودة اليهود إلى أرض الميعاد»، وإقامة كيان لهم تحت الحماية الانكليزية[٦٢]. ويمكن القول إن التأثير الثقافي والفكري والديني على مستقبل الموقف الانكليزي السياسي نحو اقامة الدولة اليهودية في فلسطين كان كبيراً، وبخاصة معتقدات البروتستانت المؤمنة بعودة المسيح الثانية وبناء مملكة الألف عام السعيد (Millenarian)، وما تم من عبرنة أو تهويد للبروتستانتية (Judaizing)، إذ شكّلت مسألة اعادة تفسير العهد القديم محوراً مركزياً في حركة الاصلاح الديني. وقد لعبت هذه التأثيرات دوراً أساسياً في تحضير انكلترا لقبول الصهيونية اليهودية السياسية[٦٣].

إن من أبرز الأمثلة على صحة هذا القول، الدور الذي لعبه لورد بلفور (Balfour) في إخراج أهم أجزاء المشروع الصهيوني، وهو إنشاء دولة اسرائيل، إلى النور، والاعتراف الدولي المبكر بهذا المشروع. فقد كان لثقافته وقناعاته الدينية دور

---

(٦٠) Theodor Herzl, *The Complete Diaries of Theodor Herzl*, translated by Harry Zohn, edited by Raphael Patai (New York: Dial Press, 1960), vol. 2, p. 581.

(٦١) رزوق، **اسرائيل الكبرى: دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني**، ص ٨٨.

(٦٢) خيرية قاسمية، «نشاطات صندوق استكشاف فلسطين، ١٨٦٥ ـ ١٩١٥»، **شؤون فلسطينية**، العدد ١٠٤ (تموز/ يوليو ١٩٨٠).

(٦٣) Ernest R. Sandeen, *The Roots of Fundamentalism: British and American Millenarianism* (Chicago, Ill.: University of Chicago Press, 1976), pp. 11-12.

مهم في بلورة موقفه السياسي من المشروع الصهيوني، واصداره لوعده في ٢ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩١٧. والأمر كذلك كان بالنسبة إلى ديفيد لويد جورج (D. L. George) الذي أصبح رئيساً لوزراء انكلترا عام ١٩١٦، وقد أقرّ بأن معرفته بتاريخ اليهود وبأسماء الأماكن اليهودية في فلسطين أكثر من معرفته بتاريخ بلاده[٦٤]. ولم تكن هذه المعرفة إلّا نتاج المناخ الديني الذي أفرزته حركة الاصلاح البروتستانتي على مدى قرون، وبخاصة انتشار قصص العهد القديم في الثقافة الانكليزية. وفي اعتقاد المؤرخة اليهودية تشمان ان تبنّي بلفور ولويد جورج لاعلان بلفور كان قائماً، في جزء كبير منه، على تعاطفهما التوراتي مع اليهود، أكثر منه كمكافأة للزعيم الصهيوني اليهودي وايزمان (Weizman) على ما قدمه إلى انكلترا من خدمات علمية، أو بهدف كسب اليهود الروس للتأثير على تطور الأحداث الداخلية هناك في ذلك الوقت... إضافة إلى كسب اليهود في الولايات المتحدة الأمريكية واستخدام نفوذهم لمصلحة انكلترا الحربية[٦٥]. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الحركة الصهيونية اليهودية السياسية لم تكن في تلك المرحلة ذات تأثير كبير على يهود روسيا أو الولايات المتحدة الأمريكية. وتذكر المؤرخة اليهودية تشمان أن الحكومة الانكليزية كانت إما ساذجة أو جاهلة بالنسبة إلى معرفة نفوذ اليهود هناك[٦٦].

ولكن كيف تشكلت صهيونية بلفور المسيحية؟

تقول ابنة أخته ومؤرخة حياته السيدة بلانش دوغاديل (B. Doggadil): لقد تأثر بلفور منذ نعومة أظفاره بدراسة التوراة في الكنيسة، وكان كلما اشتد عوده زاد اعجابه بالفلسفة اليهودية، وكان دائماً يتحدث باهتمام عن ذلك. وما زلت أذكر أنني في طفولتي اقتبست منه الفكرة القائلة بأن المسيحية وحضارتها مدينتان بالشيء الكثير لليهودية، لكنهما سددتا هذا الدين في أبشع صورة[٦٧].

وقد كانت أطروحات «شعب الله المختار وحقه في أرض الميعاد، وتحقيق النبوءة بتجميع اليهود في دولة اسرائيل في فلسطين، من أبرز معتقدات بلفور التوراتية، التي ورثها في طفولته وتربى عليها في نشأته في إحدى الكنائس الانجيلية السكوتلاندية»[٦٨]. كما يقول دونالد واغنر. ويلفت النظر أن بلفور لم يرَ في اليهود مجرد «أداة لتحقيق العصر، الألفي المسيحي»، بل أصرّ

(٦٤) Tuchman, *Bible and Sword: England and Palestine from the Bronze Age to Balfour,* p. 323.

(٦٥) المصدر نفسه، ص ٣٣٧.

(٦٦) المصدر نفسه، ص ٣٣٨.

(٦٧) الدستور (الأردن)، ٤/١١/١٩٨٤.

(٦٨) Donald E. Wagner, «Ministry of Advocacy for Palestinian Justice within American Evangelical Christian Zionism,» (Ph. D. Dissertation, University of Chicago, 1984), p. 35.

على اعتبارهم منفيين يعيشون بعيداً عن وطنهم، فخالجته الفكرة القائلة بوجوب إعادة وطنهم القديم إليهم[٦٩]. ومما يذكر عنه أنه حينما اجتمع في عام ١٩٠٦ مع الزعيم الصهيوني اليهودي وايزمان (١٨٧٤ - ١٩٥٢) في فندق مانشستر أكد له على ضرورة أن تقدم المسيحية كل قدراتها إلى اليهود لتحقيق فرصة العودة إلى وطنهم[٧٠].

وكان بلفور من السياسيين البريطانيين المطلعين على التاريخ اليهودي، وقد اعتبر أن تحطيم الرومان مملكة اليهود القديمة كان أحد أعظم الأخطاء في التاريخ[٧١]. ويقول عنه بيتر غروز (Petter Grose)، أحد كبار الصحفيين في جريدة نيويورك تايمز الأمريكية الذي عمل في لجنة التخطيط في وزارة الخارجية في عهد ادارة الرئيس كارتر، والذي يشغل حالياً منصب مدير دراسات الشرق الأوسط في مجلس العلاقات الخارجية في نيويورك: «لقد كان بلفور أكثر فهماً من هرتزل لطموحات الصهيونية»[٧٢].

وهو يقول على لسان بلفور «إذا كان لا بد من ايجاد وطن للشعب اليهودي، فإنه من العبث البحث عن أي مكان غير فلسطين»[٧٣]. كما يذكر أن بلفور أعلن صراحة إثر مغادرته واشنطن في أيار/ مايو ١٩١٧: «أنا صهيوني»، وذلك بعد أن وضع الخطوط النهائية للوعد المسمّى باسمه وإثر اجتماعه مع الرئيس الأمريكي ولسون (Wilson) ولقائه القاضي الصهيوني اليهودي لويس برانديز (١٨٥٦/١٩٤١)[٧٤].

تردد الكاتبة شريف التصريح وتضيف أن «بلفور ولويد جورج كان كلاهما يعترف بأنه صهيوني»[٧٥]. فلويد جورج كانت له صلات مبكرة مع هرتزل منذ عام ١٩٠٣ حتى قبل لقائه مع وايزمان عام ١٩١٥، وحديثه واعجابه بعبقريته الكيميائية إذ يعترف بأن الاسيتون، وهو اختراع وايزمان الكيميائي، قد حوّله إلى الصهيونية[٧٦]. وهذا القول هو جزء من المقولة الخاطئة والقائلة بأن وعد بلفور جاء مكافأة لوايزمان على ما قدّمه من خدمات لجهود انكلترا الحربية بعد أن عمل وايزمان ككيميائي في وزارة الذخيرة الانكليزية.

(٦٩) رزوق، اسرائيل الكبرى: دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني، ص ٢٠٧.

(٧٠) Tuchman, *Bible and Sword: England and Palestine from the Bronze Age to Balfour,* p. 316.

(٧١) Petter Grose, *Israel in the Mind of America* (New York: Alfred Knopf, 1983), p. 62.

(٧٢) المصدر نفسه، ص ٦٣.

(٧٣) المصدر نفسه، ص ٦٤.

(٧٤) المصدر نفسه، ص ٦٤.

(٧٥) Sharif, *Non-Jewish Zionism: Its Roots in Western History,* p. 78.

(٧٦) المصدر نفسه، ص ٧٩.

واضح أن انكلترا كانت تدرك ما لفلسطين من أهمية استراتيجية في توطيد مصالحها في المشرق العربي. إلا أن الخلفية الدينية المؤمنة بقصص العهد القديم وتفسيراته العبرية لكل من لويد جورج، رئيس الوزراء، وآرثر بلفور وزير خارجيته، كان لها أثر كبير في تحريك مواقفهما السياسية ودفعها نحو اصدار الوعد الذي كان أول اعتراف دولي بالصهيونية السياسية وبمشروعها اقامة دولة لليهود في فلسطين.

وتكمن أهمية وعد بلفور من وجهة نظر صهيونية سياسية في اعترافه بوجود شعب يهودي على شكل أمة. وقد تم الاعتراف الدولي بذلك بعد تجسيد الوعد في عملية الانتداب الانكليزي على فلسطين وادماجه بها، وبعد إقراره في مؤتمر سان ريمو عام ١٩٢٠، وضمان عصبة الأمم المتحدة له في عام ١٩٢٢.

لقد تبنّى وعد بلفور من وجهة نظر الأهداف الصهيونية حين أنكر وجود شعب فلسطين العربي، الذي لم يشر إليه الوعد إلّا بالطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين. ومن ناحية أخرى التقى هذا الوعد مع تفسيرات الصهيونية المسيحية وقناعاتها منذ حركة الاصلاح الديني البروتستانتي، بأن فلسطين ليست بلداً عربياً بل هي وطن يهودي. فقد جاء الوعد خالياً من ذكر عروبة الأرض والسكان العرب فيها. ولم يعن سوى أن مستقبل فلسطين سيكون دولة لليهود. وبهذا الوعد تكون الصهيونية المسيحية الأوروبية قد جسدت أطروحاتها الدينية عملياً، بادئة مرحلة جديدة من التعاون الوثيق بينها وبين المصالح الامبريالية الغربية.

وقد انتقلت الصهيونية المسيحية منذ بداياتها الأولى إلى الولايات المتحدة الأمريكية، فالبيوريتانيون (التطهريون) هم مؤسسو الولايات المتحدة الأمريكية. وكان تطور النظام العالمي يتجه باستمرار نحو إحداث تغييرات في مواقع القوى العظمى ومراكز الادارة الدولية.

الفصل الثاني

التأصيل التاريخي للاتجاهات الصهيونية في المسيحية الأصولية الامريكية

أولاً: جذور الصهيونية في التاريخ الأمريكي

شكلت الاتجاهات الصهيونية عنصراً بارزاً في الحياة الثقافية والسياسية الأمريكية منذ البداية الأولى لاستيطان الأوروبيين العالم الجديد (New World)، خلال النصف الثاني من القرن السابع عشر - والذي سمّي فيما بعد الولايات المتحدة الأمريكية.

فالمهاجرون الأوائل كانوا من البيوريتانيين (التطهريين) الذين حملوا معهم التقاليد والقناعات التوراتية وتفسيرات العهد القديم التي انتشرت في انكلترا ودول أوروبية في القرن السادس عشر وما بعده.

وكانت اللغة العبرية لغة مهمة في المستوطنات الأمريكية الأولى. فالبيوريتانيون كانوا يتكلمونها بسهولة. وقد أعطوا أبناءهم أسماء يهودية من قصص التوراة مثل سارة والعازار وابراهام وداود وموسى... الخ. كما تمّت تسمية مدن كثيرة في المستوطنات الأولى بأسماء عبرية قديمة، مثل مدينة سالم (Salem) المأخوذة من الكلمة العبرية شالوم (Shalom) إضافة إلى أسماء أخرى مثل حبرون وشارون وصهيون وكنعان... الخ.

وكان أول كتاب ينشر في العالم الجديد يهودي العنوان وهو (Pay Psalm) وهو ترجمة مباشرة للكتاب التوراتي سفر المزامير (Psalm)[1].

---

(١) Leonard C. Yasseen, *The Jesus Connection* (New York: Crossroad Publication, 1985), p. 83.

سفر المزامير هو مجموعة من الترجمات الشعرية لمزامير التوراة معدة لكي ينشدها المصلون في الكنائس ويصل عددها إلى ١٥٠ مزموراً.

وقد سُمح لليهود ببناء محافلهم الدينية في وقت مبكر إثر هجرتهم إلى «العالم الجديد» الأمريكي. وتم لهم ذلك قبل أن يسمح البروتستانت البيوريتانيون المسيطرون على معظم المستوطنات الجديدة لطائفة الكاثوليك في بناء كنائسها[2].

وحمل البيوريتانيون معهم اللغة العبرية، وبخاصة من تخرّج منهم في كلية ايمانويل في كمبريدج. فدخلت هذه اللغة ومعها الدراسات اليهودية في برامج جامعة هارفارد التي أنشئت في عام ١٦٣٦. وكانت العبرية من بين الموضوعات الاجبارية في الجامعة التي لا يمكن قبول الطالب فيها إلا إذا كان قادراً على ترجمة النص العبري الأصلي للتوراة إلى اللاتينية[3]. وقد قدمت أول دفعة طلابية تخرجت في جامعة هارفارد عام ١٦٤٢ أطروحة جامعية بعنوان العبرية هي اللسان الأم (Hebraea est Linguarum Mater)[4]. واعتبر البيوريتانيون أنفسهم أنهم العبرانيون الحقيقيون. وصارت فكرة تنصير اليهود على درجة كبيرة من الأهمية في عقيدتهم لأن «العودة الثانية للمسيح لن تتم دون حدوث ذلك»[5].

وقد تنبهت الجماعات اليهودية إلى ذلك في أوائل القرن التاسع عشر، وأصدرت مجلة يهودية تنبّه إلى هذه المخاطر وتسمّى «اليهودي» (The Jew). واعتبرت هذه المجلة أصل الصحافة الأنكلو يهودية في الولايات المتحدة الأمريكية[6].

وهكذا صار المستوطنون البيوريتانيون، بحسب كلمات أحد المؤرخين، النموذج الروحي للعهد القديم العبري[7]. وقد أسموا أنفسهم «أطفال اسرائيل [Children of Israel] في طريقهم إلى الأرض الموعودة» واحتفلوا بيوم السبت كيوم راحةٍ لهم[8].

وآمن بعضهم كذلك بأن الهنود الحمر الأمريكيين هم «القبائل الاسرائيلية العشر المفقودة، وبذلوا جهداً ووقتاً كبيرين في نشر هذه الأسطورة، وقاموا بمحاولات فاشلة لتذكير الهنود الحمر بماضيهم التليد وصار ذلك يعني لهم قرب قدوم المسيح ثانية، وما يرتبط بهذا القدوم من عودة اليهود إلى أرض فلسطين»[9].

ساهم المبشرون وعلماء الآثار والرحالة والحجاج الأمريكيون، بزياراتهم

(٢) Henry L.Feingold, *Zion in America: The Jewish Experience from Colonial Times to the Present* (New York: Hippocrene Book, 1974), p. 24.

(٣) Reuben Fink, *America and Palestine* (New York: Herald Square Press, 1944), p. 13.

(٤) Feingold, Ibid, p. 26.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٧.

(٦) المصدر نفسه، ص ١٠٣.

(٧) المصدر نفسه، ص ٢٦.

(٨) المصدر نفسه.

(٩) المصدر نفسه، ص ٢٧.

لفلسطين في مطلع القرن التاسع عشر، في اثارة خيال مسيحيي الغرب الأمريكي، وتنمية شاعرية عنها، وتعميق القصص اليهودية وحكايات العهد القديم في أذهان السكان.

ففي عام ١٨١٤ وقف القس جون ماكدونالد، راعي الكنيسة المسيحية في مدينة أولباني، داعياً إلى أن اليهود يجب أن يعودوا إلى أرض صهيون، ولا بد للولايات المتحدة الأمريكية من أن تقود الأمم[10].

ومن هؤلاء الرواد الأوائل القس والرحالة ليفي بارسوتر، الذي زار فلسطين عام ١٨١٩. وتبعه عشرات من الزائرين ورجال الدين الذين عادوا إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وكان لآرائهم وأفكارهم أكبر تأثير على نفوس أتباعهم والمستمعين إليهم. وغالباً ما كانت هذه الآراء عاكسة لأطروحات البروتستانت الأصوليين المتعلقة بإعادة اليهود إلى الأرض الموعودة كمقدمة لعودة المسيح الثانية. ولقد نشرت صحيفة «جيروزالم بوست» حديثاً للحاخام الأمريكي غولدشتاين جاء فيه: «لقد بعث مؤسس الكنيسة المورمونية [جوزيف سميث] تلميذه [أورسون هايد] إلى القدس عام ١٨٤٠ من أجل تسهيل نبوءة بعث اسرائيل»[11].

وكانت هذه الطائفة المورمونية - إحدى طوائف البروتستانت - قد استقرت في ولاية يوتاه وتدّعي أنها تاهت في صحراء أمريكا العظيمة مثلما تاه اليهود في صحراء سيناء، واستقرت أخيراً في الأرض الموعودة في ولاية يوتاه وغيّرت اسم نهر كولورادو إلى نهر باشان الموجود في العهد القديم[12].

وفي النصف الأول من القرن التاسع عشر، لم يكتف أحد قادة البروتستانتية واسمه ووردر غريسون (Warder Gresson) بتعاطفه مع الأفكار الصهيونية المتعلقة باليهود كشعب وبوطنهم الموعود في فلسطين، بل تحوّل إلى الديانة اليهودية، وهاجر إلى فلسطين وأصبح مستشاراً غير رسمي للولايات المتحدة الأمريكية في القدس، ثم قنصلاً لها عام ١٨٥٢. وأصبح نشاطه منصباً على اعادة تأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين[13]. وقام بإنشاء مستوطنة زراعية يهودية لتدريب المهاجرين اليهود على شؤون الزراعة والانتاج الزراعي[14] وقد شجع استقراره في فلسطين آخرين من البروتستانت

(١٠) Petter Grose, *Israel in the Mind of America* (New York: Alfred Knopf, 1983), p. 9.

(١١) *Jerusalem Post* (8 July 1976).

(١٢) Feingold, *Zion in America: The Jewish Experience from Colonial Times to the Present*, p. 197.

(١٣) المصدر نفسه، ص ١٩٨.

(١٤) أمين عبد الله محمود، مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب =

الأصوليين. فقادت السيدة كلورندا ماينور (Clorinda Minor)، زوجة أحد كبار التجار في مدينة فيلادلفيا، مجموعة من رجال الدين المسيحي للهجرة إلى فلسطين عام ١٨٥٠. وملكت مساحات شاسعة من الأراضي، ووهبتها لمنفعة اقامة مستوطنات يهودية، من بينها مستوطنة «جبل الأمل» بالقرب من تل أبيب، وعاشت مع آخرين هناك عدة سنوات انتظاراً للعودة الثانية للمسيح(١٥). وفي عام ١٨٦٦ قاد القس آدم أكثر من ١٥٠ رجل دين مسيحي من ولاية ماين (Maine) للاستيطان في فلسطين(١٦). وهكذا شارك البروتستانت الصهيونية اليهودية التوق إلى استعادة فلسطين(١٧). ويعتبر الرئيس الأمريكي جون آدامز (١٧٦٧ ـ ١٨٤٨) أول رئيس أمريكي يدعو إلى استعادة اليهود وطنهم واقامة حكومة مستقلة. وقد كتب رسالة إلى الصحفي الصهيوني مانويل نوح عام ١٨١٨ يقول فيها: «أتمنى أن أرى ثانية أمة يهودية مستقلة في يهودا»(١٨).

ولم تتوقف الصهيونية غير اليهودية عند حدود الدعوات والمواعظ والتبشير بعودة اليهود إلى فلسطين، واقامة وطن قومي لهم فيها، بل شاركت في تأسيس المستوطنات اليهودية الأولى في فلسطين. ويذكر بيتر غروز أن سبعين أمريكياً قد ساهموا في اقامة مستوطنة يهودية عام ١٨٦٧. كما سبق أن قام ضابط بحري أمريكي هو وليام لينش (W. Linsh) برحلة رسمية للابحار في نهر الأردن والبحر الميت عام ١٨٤٧. وقدّم تقريراً يشير إلى أن التفكك النهائي لعقد الامبراطورية العثمانية سيحقق استعادة اليهود فلسطين. وقد سيطرت رحلته تلك على خيال الجمهور الأمريكي(١٩).

وهكذا دخل الولايات المتحدة الأمريكية منذ بداية تأسيسها وبشكل طبيعي، العهد القديم مع أوائل المهاجرين إليها، فاتخذ مكانة خاصة في التراث المسيحي اليهودي فيما بعد.

ومارس المهاجرون الأوروبيون الأوائل الأسلوب الاستيطاني اليهودي القديم نفسه لأرض كنعان. فقد درس هؤلاء المهاجرون واستوعبوا قصص العهد القديم، وبخاصة عناصره الخمسة الأساسية، وهي أسفار التكوين، والخروج، والأحبار،

= العالمية الأولى، سلسلة عالم المعرفة؛ ٧٤ (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٤)، ص ٤٤.

(١٥) Feingold, Ibid., p. 199.

(١٦) المصدر نفسه.

(١٧) المصدر نفسه، ص ١٩٧.

(١٨) L.L. Kenen, *Israel's Defence Line* (New York: Prometheus Books, 1981), p. 7.

(١٩) Grose, *Israel in the Mind of America*, p. 26.

والعدد، والتثنية(٢٠)، التي تناولت قصة دخول اليهود أرض كنعان بعد خروجهم من مصر. فصارت الولايات المتحدة الأمريكية عند هؤلاء المهاجرين كنعان الجديدة (New Canaan). وشبهوا أنفسهم بالعبرانيين القدماء، حينما فروا من ظلم فرعون (الملك الانكليزي جيمس الأول في هذه الحالة) وهربوا من أرض مصر (انكلترا في هذه الحالة) بحثاً عن أرض الميعاد الجديدة(٢١).

وكانت مطاردة مهاجري أوروبا الهنود الحمر في العالم الجديد الأمريكي، مشابهة لمطاردة العبرانيين القدماء للكنعانيين في فلسطين. وقد خلق التشابه في هذه التجربة قناعة وفلسفة ووجداناً متشابهاً ومشتركاً بين اسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية في العصر الحديث. فالذين هاجروا إلى هذه البلاد في القرنين السابع عشر والثامن عشر، أبادوا معظم سكانها الأصليين من الهنود الحمر واستوطنوا مكانهم. والذين هاجروا وما زالوا يهاجرون من يهود العالم إلى فلسطين المحتلة في العصر الحديث، استخدموا أساليب متطورة في طرد سكانها العرب الفلسطينيين الأصليين واستوطنوا أراضيهم، بل حاولوا ابادتهم. وتم ذلك ويتم، وفق الواقع المؤلم الناتج من ممارسات اسرائيل الشرسة في ابادة الشعب الفلسطيني. وكانت المواعظ الدينية خلال الحرب الأهلية الأمريكية تشبّه الشعب الأمريكي بالشعب اليهودي الذي يسعى إلى دخول الأرض الموعودة كما استخدم قساوسة فيما بعد، من أمثال جوزيا سترونغ (J. Strong) في عام ١٨٨٦ في كتاب له بعنوان **بلادنا** (Our Country) عبارة «الشعب المختار» مشيراً إلى أن العنصر الانكلوسكسوني قد اختاره الله لتحضير العالم(٢٢).

تبدو العبرنة واضحة من خلال هذه التعبيرات إلى الدرجة التي أدت إلى أن يقوم الرئيس الأمريكي جيفرسون باقتراح «أن يمثّل رمز الولايات المتحدة الأمريكية على شكل أبناء اسرائيل تقودهم في النهار غيمة وفي الليل عمود من النار بدلاً من النسر»(٢٣). ويتفق هذا الاقتراح مع النص الوارد في سفر الخروج والذي يقول: «وكان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود سحاب ليهديهم في الطريق، وليلاً في عمود نار ليضيء لهم»(٢٤).

(٢٠) موريس بوكاي، **القرآن الكريم والتوراة والانجيل والعلم**، ترجمة دار المعارف (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٢)، ص ٢٦.

(٢١) Regina S. Sharif, *Non-Jewish Zionism: Its Roots in Western History* (London: Zed Press, 1983), p. 90.

(٢٢) نصر شمالي، **افلاس النظرية الصهيونية**، (بيروت: منشورات فلسطين المحتلة، ١٩٨١)، ص ٨٨.

(٢٣) كلود جوليان، **الامبراطورية الاميركية**، ترجمة زهير الحكيم (بيروت: دار الحقيقة، [د.ت.])، ص ٧٠.

(٢٤) **الكتاب المقدس**، «سفر الخروج،» الاصحاح ١٣، الآية ٢١، وأحمد شبلي، **مقارنة الأديان** (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٤)، ص ١٧٧.

ومن الجدير بالملاحظة أنه رغم هذه الاتجاهات الصهيونية غير اليهودية المبكرة، كانت أغلبية يهود الولايات المتحدة الأمريكية غير راغبة في الهجرة إلى فلسطين أو استعادتها قبيل انتهاء القرن التاسع عشر[٢٥]. ومع تزايد الهجرات اليهودية من روسيا في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، اضافة إلى نشاط فروع المنظمة الصهيونية المسمّاة «أحبّاء صهيون» (Lovers of Zion) في مدن الولايات المتحدة الأمريكية، فإن الفكر الصهيوني اليهودي السياسي أخذ يتنامى بين الجماعات اليهودية. لكنه بقي في البداية من دون شعبية واسعة[٢٦].

ولعل أبرز نماذج أوائل الحركة الصهيونية المسيحية في الولايات المتحدة الأمريكية ورموزها وليام بلاكستون (William E. Blackston) (١٨٤١ - ١٩٣٥). وهو رجل دين ومؤلف ورحالة وثري، ومن أوائل من مارس الضغط المؤسسي والمنظّم على صانعي القرارات الأمريكية لمصلحة أهداف الصهيونية اليهودية السياسية. فقد نشر بلاكستون عام ١٨٧٨ لأول مرة كتابه **عيسى قادم** (Jesus is Coming)، والذي تُرجم إلى أكثر من ٤٨ لغة - ومنها اللغة العبرية - وطبع عدة طبعات، وبيع منه أكثر من مليون نسخة. وكان أوسع الكتب انتشاراً في القرن التاسع عشر[٢٧] وكان أخطر منشور للدعوة الصهيونية المتعلقة بـ «الاستعادة الأبدية لأرض كنعان من قبل الشعب اليهودي»[٢٨]. وقد أشاد بلاكستون في طبعة كتابه في عام ١٩٠٨ باليهود وعودتهم إلى فلسطين كإشارة إلى نهاية الزمن، وكتب يقول: «إن النبوءة التوراتية هي أكثر ايفاء من تلك الصهيونية الحالية». ورأت الحركة الصهيونية اليهودية السياسية المعاصرة في وليام بلاكستون «البطل البارز من أجل صهيون»[٢٩]. ووجد القادة المسيحيون في كتابه «أنه الأكثر اثارة للاهتمام والقراءة في العصر، وقد نال من الاهتمام أكثر من أي مجلد آخر سبق نشره قبل ذلك بعقود كثيرة»[٣٠].

أسس بلاكستون عام ١٨٨٧ في شيكاغو منظمة سماها «البعثة العبرية نيابة عن اسرائيل» (Hebrew Mission on Behalf of Israel). وعملت هذه المنظمة على دعوة

= وهذه الغيمة هي الغمام أو السحاب الأبيض الذي ظلل الله به قوم موسى في التيه ليقيهم حر الشمس، كما ورد في الآية الكريمة ﴿وظللنا عليكم الغمام...﴾ القرآن الكريم، «سورة البقرة،» الآية ٥٧.

(٢٥) Feingold, *Zion in America: The Jewish Experience from Colonial Times to the Present*, p. 200.

(٢٦) المصدر نفسه.

(٢٧) Grose, *Israel in the Mind of America*, p. 35.

(٢٨) William E. Blackstone, *Jesus is Coming*, 2nd ed. (New York: [n.pb.], 1986), p. 169.

(٢٩) «Near East Report,» (Washington D.C., 23 February, 1966).

(٣٠) W.M. Smith, «Signs of the Times, *Moody Monthly* (August 1966), p. 5.

اليهود إلى العودة إلى الأرض المقدسة في فلسطين[٣١]. واستمرت في عملها حتى يومنا هذا. وأصبح اسمها حالياً «الزمالة اليسوعية الأمريكية» (American Messianic Fellowship) وبذلك يكون بلاكستون من أوائل من أسس جماعة ضغط منظمة أو ما يسمّى لوبي (Lobby) لمصلحة الصهيونية السياسية.

تأثر بلاكستون كثيراً بزيارته وابنته لفلسطين عام ١٨٨٨. وعاد ليطالب بأن «الحل الوحيد للمسألة اليهودية الروسية، هو في الهجرة إلى فلسطين حيث الأرض بلا شعب وشعب دون أرض»[٣٢]. وقد نظم على اثر ذلك مؤتمراً في شيكاغو حول «ماضي وحاضر ومستقبل اسرائيل، وضرورة عقد مؤتمر دولي لمناقشة أوضاع الاسرائيليين ومطالبهم في فلسطين كوطن تاريخي لهم»[٣٣]. وقاد في أوائل ١٨٩١ حملة للتوقيع على عريضة على مستوى الولايات المتحدة الأمريكية لتأييد دولة يهودية في فلسطين، وقد قُدمت هذه العريضة يوم ٥ آذار/مارس ١٨٩١ إلى الرئيس الأمريكي بنجامين هاريسون، وطالبه فيها بـ «استخدام نفوذه ومساعيه لتحقيق طلبات الاسرائيليين في فلسطين كوطن قديم لهم»[٣٤]. وقد وقّع هذه العريضة ٤١٣ شخصية أمريكية بارزة من بينها رئيس مجلس النواب تسار ريد (Czar Reed) والكاردينال غيبونز (Gibbons) واثنان من أسرة روكيفلر وعدد كبير من القضاة وحكام الولايات ورجال الدين وأعضاء الكونغرس والمحررين الصحفيين ورجال الأعمال. وقد خصّت الصحافة هذا الحدث بتغطية واسعة[٣٥].

لقد دعت هذه العريضة إلى عقد «مؤتمر دولي للنظر في مطالب الاسرائيليين، باعتبار فلسطين وطنهم القومي، وتوفير كل الوسائل المناسبة والعادلة لإزالة معاناتهم»[٣٦]. وقد بدأ العريضة بقوله: «ماذا يجب عمله من أجل يهود روسيا؟ ولماذا لا نعيد إليهم فلسطين ثانية»[٣٧] وكان لها تأثير واسع سواء على مستوى الصحافة أو على المستوى السياسي، واهتم الرئيس الأمريكي بهذه العريضة، وبعث وزير خارجيته بمذكرة احتجاج إلى الحكومة الروسية بسبب ما يواجهه اليهود في روسيا ورومانيا من «اجراءات قمعية»[٣٨]. إلا أن الحكومة الأمريكية كانت غير راغبة في استقبال اليهود المطرودين من روسيا[٣٩].

(٣١) Routh W. Mouly, «Zionism in American Premillenarian Fundamentalism,» *American Journal of Theology* (September, 1983), p. 98.

(٣٢) *America-Israel Bulletin*, vol. 4, no. 1 (October 1965).

(٣٣) المصدر نفسه.

(٣٤) Feingold, *Zion in America: The Jewish Experience from Colonial Times to the Present*, p. 199.

(٣٥) المصدر نفسه، ص ٢٠٠.

(٣٦) Kenen, *Israel's Defence Line*, p. 8.

(٣٧) Grose, *Israel in the Mind of America*, p. 36.

(٣٨) Sharif, *Non-Jewish Zionism: Its Roots in Western History*, p. 93.

(٣٩) المصدر نفسه، ص ٩٢.

وبذلك تكون العريضة أول مبادرة مسيحية رئيسية لدعم الحركة الصهيونية السياسية في الولايات المتحدة الأمريكية. وقد أثارت من المناقشات أكثر مما أثاره كتاب هرتزل عن الدولة اليهودية، كما لعبت دوراً مهماً في استجابة الرئيس ولسون فيما بعد لقبول وعد بلفور(٤٠).

تكمن أهمية هذه العريضة، وما أثارته من مناقشات وتعليقات صحفية، في أنها استخدمت إحدى وسائل الضغط البارزة في المجتمع السياسي الأمريكي، وانها سبقت انعقاد أول مؤتمر للحركة الصهيونية اليهودية السياسية في بال، في سويسرا، بأكثر من ست سنوات. ولكونها وثيقة مسيحية وضعت أمام صانع القرار الأمريكي برنامجاً واضحاً للتعامل مع اليهود، وحددت مصيرهم بإقامة وطن قومي لهم في فلسطين وليس في أي مكان آخر. ومن الجدير ذكره أن يهوداً أمريكيين بارزين، ممن توجه إليهم بلاكستون لتوقيع هذه العريضة، رفضوا توقيعها(٤١).

ويعود رفض هؤلاء اليهود التوقيع على «عريضة» السياسة إلى وجود اتجاه قوي بين الجماعة اليهودية يرى أن الولايات المتحدة الأمريكية هي «فلسطين»، وأن المدن الأمريكية هي «القدس»، ولا أدل على ذلك مما ورد في بيان أحد أهم المؤتمرات الدينية اليهودية الأمريكية الذي عقدته حركة الاصلاح الديني اليهودي عام ١٨٨٥ في مدينة بتسبرغ. وقد أطلق المؤرخون من أمثال ديفيد فيلبسون (David Philipson) على بيان المؤتمر المذكور اسم «الاعلان اليهودي للاستقلال»، ومما جاء فيه: «نحن نعتبر أنفسنا أننا ما عدنا أمة بل جماعة دينية، وبالتالي لا نتوقع عودة إلى فلسطين أو استرداد أية قوانين تتعلق بالدولة اليهودية»(٤٢).

ومن ناحية أخرى، واصل بلاكستون رسالته الصهيونية المسيحية حتى وفاته عام ١٩٣٥. فبعث إلى هرتزل بنسخة من العهد القديم واضعاً «خطوطاً وعلامات تحت النصوص التي تشير إلى استعادة اليهود فلسطين. ولقد حُفظت هذه النسخة من العهد القديم في ضريح هرتزل في القدس، وزُرعت غابة باسم بلاكستون في اسرائيل فيما بعد تقديراً لذكراه»(٤٣). وقد كان محل تقدير الحركة الصهيونية السياسية، وأطلق عليه أحد القادة الصهاينة اليهود، وهو القاضي برانديز (Brandeis)، المقرب من الرئيس الأمريكي ولسون، لقب «والد الصهيونية»(٤٤).

---

(٤٠) Marning Feldstein, *American Zionism, 1884-1904* (New York: Herzl Press, 1955), p. 65.

(٤١) Grose, *Israel in the Mind of America*, p. 37.

(٤٢) Sydney E. Ahlstrom, *A Religious History of the American People* (New York: Image Books, 1975), p. 696.

(٤٣) Grose, Ibid., p. 37.

(٤٤) Routh W. Mouly, «Israel: Darling of the Religious Right,» *Humanist Magazine* (May 1982), p. 8.

وخلال ذلك واصل دبلوماسيون أمريكيون في الشرق الأوسط، حث الحكومة العثمانية على توطين اليهود في فلسطين. وعلى سبيل المثال قام سفير الولايات المتحدة الأمريكية ليو والاس (Lew Wallace) في الفترة ١٨٨١ - ١٨٨٥ في الآستانة - وهو جنرال سابق في الحرب الأهلية الأمريكية وذو شهرة أدبية بسبب روايته «بن هور» (Ben Hur) بتقديم عدة مقترحات إلى وزارة خارجيته تقضي «أن تكون فلسطين وليس الولايات المتحدة الأمريكية وطناً لليهود»(٤٥).

كما نشر قنصل الولايات المتحدة الأمريكية في القدس ادوين والاس (E. Wallase) مذكراته التي سماها **القدس المقدسة** (Jerusalem the Holy) يقول فيها:

«قد يكون موضوع استعادة اسرائيل غير شعبي الآن، لكن ما هو اليوم غير شعبي سيكون مقبولاً في العالم غداً»(٤٦).

تأتي أهمية آراء هؤلاء الدبلوماسيين، وبخاصة ممن يتولى شؤون العمل القنصلي في مدينة القدس، من كونهم مرجعاً أساسياً لوزارة الخارجية عند معالجة شؤون فلسطين، لا سيما في الماضي، حينما كان نفوذ الجماعات اليهودية الأمريكية السياسية وقواها المنظمة والضاغطة، ذا تأثير بسيط في صناعة القرار السياسي الخارجي تجاه المسألة الفلسطينية. فمنظمات الحركة الصهيونية السياسية لم تكن تضم في عضويتها أكثر من ٢٠ ألف عضو من بين مليونين ونصف مليون يهودي، وذلك حتى نشوب الحرب العالمية الأولى، وكانت تفتقد للقيادة الدينامية وللإدارة الصحيحة(٤٧).

ومن هنا، تبرز أيضاً أهمية الاتجاهات الصهيونية وتأثيرها لدى الكنائس الأصولية في دعم وتوفير وتشجيع المناخ المناسب لنمو التعاطف مع الحركة الصهيونية السياسية.

ويُعتبر الرئيس الأمريكي ولسون أحد الرؤساء الأكثر تأثراً بالصهيونية منذ طفولته. فقد نشأ في بيئة دينية، إذ كان ابن أحد رجال الكنيسة الانجيلية المسيحية وبدأ، من خلال بعض خطبه، يرى نفسه أنه قد أعطي الفرصة التاريخية لخدمة رغبة الرب بتحقيقه البرنامج الصهيوني، وأنه يتوجب على ابن راعي الكنيسة أن يكون قادراً على المساعدة لإعادة الأرض المقدسة إلى شعبها اليهودي(٤٨). وتقول ريجينا

---

(٤٥) Feingold, *Zion in America: The Jewish Experience from Colonial Times to the Present,* p. 200.

(٤٦) Grose, *Israel in the Mind of America,* p. 40.

(٤٧) المصدر نفسه، ص ٤٥.

(٤٨) Wagner, «A Ministry of Advocacy for Palestinian Justice within American Evangelical Christian Zionism,» p. 39.

شريف إن التزام الرئيس ولسون بالصهيونية كان عميقاً جداً. وكان معمياً بالفكر الصهيوني المسيحي إلى الدرجة التي لم يرَ فيها النتائج الأخلاقية والسياسية والدينية للبرنامج الصهيوني[٤٩].

ويقول غروس إن الرئيس ولسون «كان يعتقد أن عدد اليهود في العالم حوالى مائة مليون»، في الوقت الذي لم يكن عددهم يتجاوز أحد عشر مليوناً[٥٠]. ومما لا شك فيه، أن استجابة الرئيس ولسون بحكم ثقافته التوراتية للدعاوى الصهيونية اليهودية السياسية كانت طبيعية، فأيّد مقترحاتها، وبخاصة تغييره لاصطلاح «الوطن القومي» لليهود الوارد في وعد بلفور إلى الوطن القومي للشعب اليهودي[٥١].

وقد ظلت موافقة الرئيس ولسون على مشروع وعد بلفور طي الكتمان بسبب موقع الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب العالمية الأولى وفي السياسة الدولية. وحينما تأكدت نهائياً هزيمة تركيا، قال ولسون في آب/ اغسطس ١٩١٨: «أعتقد أن الأمم الحليفة قد قررت وضع حجر الأساس للدولة اليهودية في فلسطين بتأييد تامّ من حكومتنا وشعبنا»[٥٢].

وقد أصدر مجلس النواب في ٣٠ حزيران/ يونيو ١٩٢٢ قراراً يؤيد «إعطاء بني اسرائيل الفرصة التي أنكرت عليهم طويلاً لإعادة تأسيس حياة يهودية وثقافة مثمرة في الأرض اليهودية القديمة»[٥٣]. كما قدم السناتور الجمهوري هنري كابوت لودج (H.C. Lodge) رئيس لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ التوصية بتأييد وعد بلفور.

وفي ٢١ أيلول/ سبتمبر ١٩٢٢ صادقت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية بصورة نهائية على وعد بلفور. وبذلك دخلت شريكاً مضارباً مع بريطانيا في فلسطين، لبناء الوطن القومي اليهودي، ولضمان «المصالح الحيوية الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط»[٥٤].

وقد لعب السناتور لودج دوراً أساسياً في تبني المشروع وتبريره في الكونغرس. كما كان له دور فعال في إبراز نص في القرار الأمريكي يشير بوضوح إلى الحقوق المدنية والدينية للمسيحيين في فلسطين. فقد جاء في القرار ما نصه: «إن الولايات المتحدة

(٤٩) المصدر نفسه، ص ٣٩.
(٥٠) Grose, *Israel in the Mind of America*, p. 83.
(٥١) Feingold, *Zion in America: The Jewish Experience from Colonial Times to the Present*, p. 252.
(٥٢) شمالي، **إفلاس النظرية الصهيونية**، ص ١٣١.
(٥٣) Feingold, Ibid, p. 255.
(٥٤) محمود عباس، **العلاقات السرية بين النازية والصهيونية** (عمان: دار ابن رشد، ١٩٨٤)، ص ٢٩٠.

الأمريكية تحبّذ تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، على أن يُفهم بوضوح بأنه لن يجري شيء يلحق الضرر بالحقوق الدينية والمدنية للمسيحيين والتجمعات غير اليهودية الأخرى في فلسطين»[٥٥]. وكانت الاتجاهات الصهيونية عند لودج من الدوافع القوية وراء ذلك القرار، وتعود جذورها إلى معتقداته الدينية وقناعاته ومشاعره المعادية للعرب والمسلمين. وتتضح هذه المشاعر الصهيونية في خطاب له ألقاه في مدينة بوسطن عام ١٩٢٢، وقال فيه: «إنه جدير بالثناء، أن يرغب الشعب اليهودي في كل أنحاء العالم أن يكون هناك وطن قومي لأفراد جنسه الراغبين في العودة إلى البلاد التي كانت مهداً لهم والتي عاشوا وعملوا فيها عدة آلاف من السنوات... إنني لا أحتمل فكرة وقوع القدس وفلسطين تحت سيطرة المحمديين»[٥٦].

وقد لوحظ أن مواقف أعضاء الكونغرس من جمهوريين وديمقراطيين كانت متشابهة، كما أنه لم يكن هناك ما يشير إلى أن هؤلاء الأعضاء كانوا متأثرين بالأصوات اليهودية. فقد استشهد كثير منهم بالعهد القديم، واقتبسوا نبوءات توراتية[٥٧].

وعلى صعيد ترجمة هذا الإيمان الصهيوني غير اليهودي إلى مؤسسات ومنظمات، برزت في النصف الأول من هذا القرن عدة منظمات ولجان مسيحية تستخدم اسم فلسطين وتهدف إلى تعبئة الرأي العام وممارسة الضغط على الجهات الرسمية في الادارة الأمريكية والكونغرس لمصلحة الصهيونية السياسية، وقد شارك في عضويتها بشكل أساسي قيادات دينية بروتستانتية، إضافة إلى مسؤولين حكوميين وسياسيين ورجال أعمال وصحفيين. كما ساهمت منظمات صهيونية يهودية في خلق بعض هذه المنظمات الصهيونية المسيحية أو دعمها أو التنسيق معها.

ومن أوائل هذه المنظمات واللجان كانت «منظمة فدرالية أمريكا الموالية لفلسطين» (Pro-Palestine Federation of America) التي أسّسها القس تشارلز رَسِلْ (Charles E. Rusell) في عام ١٩٣٠، بهدف «تشجيع تعاون أوثق بين اليهود وغير اليهود، والدفاع عن قضية الوطن القومي اليهودي»[٥٨]. وقد أصدرت نشرة باسمها، وتبنت مؤتمراً سمته «المؤتمر المسيحي الأميركي» في ١٥ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٣٦ في مدينة نيويورك لبحث المشكلة اليهودية، وحضره أكثر من ٢٠٠ شخصية من المسؤولين الحكوميين ومن رجال الدين. وأصدر المؤتمر اعلاناً يطالب «المجتمعات المتحضرة بمساعدة اللاجئين اليهود الفارين من ألمانيا وأوروبا الشرقية لدخول فلسطين، ملاذهم الطبيعي»[٥٩].

(٥٥) *U.S. Statutes at Large* (Washington, D.C.: [n.pb.], 1923), vol. 2, part 1, p. 735.
(٥٦) Henry Cabot Lodge, Speech, reported in: *New Palestine* (26 May 1922), p. 330.
(٥٧) *Congressional Record* (30 June 1922), pp. 9794-9820.
(٥٨) Sharif, *Non-Jewish Zionism: Its Roots in Western History*, p. 111.
(٥٩) المصدر نفسه، ص ١١٢.

ولعل أبرز هذه التجمعات الصهيونية المسيحية في الثلاثينات والأربعينات كانت «اللجنة الفلسطينية الأميركية» (American Palestine Committee) التي تأسست في أيار/ مايو ١٩٣٢. وضمت عدداً كبيراً من رجال الدين وأعضاء الكونغرس والوزراء عند التأسيس، وكان هدفها «تنظيم مساعي غير اليهود بفعالية كبيرة للتعاون مع هذه القضية المثالية العظيمة... وتطوير وعي الرأي العام في الولايات المتحدة الأمريكية بين غير اليهود حول النشاطات الصهيونية وأغراضها وانجازاتها في فلسطين»[٦٠].

وقد ترأس هذه اللجنة في نيسان/ ابريل ١٩٤٢ السناتور روبرت واغنر (R. Wagner) ومعه زعيم الأقلية تشارلز ماكماري (C. Mc Mary) وضمّت في عضويتها ٦٨ شيخاً (Senator) وأكثر من ٢٠٠ نائب وعشرات من رجال الدين. واحتفلت في عام ١٩٤٢ بذكرى مرور ٢٥ عاماً على وعد بلفور. كما انضم إليها قادة عماليون ووزراء ورجال أعمال وأساتذة جامعات... الخ[٦١].

وعقدت اللجنة في ٦ آذار/ مارس ١٩٤٤ مؤتمراً في واشنطن العاصمة، تحدث فيه مندوب عن الحكومة الأمريكية فأعلن «عن رفض الحكومة الكتاب الأبيض البريطاني، وعبّر عن سعادة الحكومة الأمريكية بفتح فلسطين للهجرة اليهودية، وأكد تعاون الحكومة مع الوطن القومي اليهودي في فلسطين»[٦٢]. وبعث في ٩ تشرين الأول/ اكتوبر ١٩٤٤ الرئيس الأمريكي روزفلت برسالة إلى السناتور واغنر، رئيس اللجنة، بمناسبة انعقاد المؤتمر السنوي الرابع والأربعين للمنظمة الصهيونية الأميركية (Zionist Organization of America) أيّد فيها فتح أبواب فلسطين للهجرة اليهودية وإقامة وطن لهم فيها[٦٣]. كما بعث أحد قادة هذه اللجنة، وهو النائب سيلر (Celer)، برسالة إلى الرئيس الأمريكي روزفلت قبل سفره إلى مؤتمر يالطا في شباط/ فبراير ١٩٤٤ قال فيها: «إن ناخبيّ ينظرون إليك كأنك موسى المعاصر وينتظرون منك نتائج تتعلق بدولة اليهود في فلسطين»[٦٤].

وتشكلت منظمة صهيونية مسيحية أخرى في عام ١٩٤٢ سمّيت «المجلس المسيحي لفلسطين» (Christian Council on Palestine) وكان معظم أعضائها من القساوسة البروتستانت بهدف «توجيه الاهتمام نحو فلسطين كملجأ وحيد لليهود وكأرض موعودة ومعتمدة من وعد بلفور»[٦٥].

---

(٦٠) المصدر نفسه، ص ١١٢.
(٦١) Kenen, *Israel's Defence Line*, p. 10.
(٦٢) المصدر نفسه، ص ١٨.
(٦٣) Evan M. William, *Decision in Palestine: How the U.S. Came to Recognize Israel* (Stanford, Calif.: Hoover Institution Press, 1979), p. 17.
(٦٤) المصدر نفسه، ص ٤٩.
(٦٥) Kenen, Ibid., p. 6.

وقد ضمت هاتان المنظمتان مئات من الشخصيات الأمريكية البارزة من رجال دين ومسؤولين في الحكومة الأمريكية، وقضاة ورجال أعمال وصحفيين أمثال: محرر كريستشن هيرالد واسمه تيلش، والزعيم العمالي مَري (Murray)، ورئيس غرفة التجارة الأمريكية جونستون (Johnston)... الخ. ثم اندمجت لجنة فلسطين الأمريكية مع المجلس المسيحي لفلسطين عام ١٩٤٦ في منظمة جديدة عُرفت باسم «لجنة فلسطين المسيحية الأمريكية». وبذلك امتزجت الاتجاهات الدينية بالاتجاهات السياسية داخل اطار الصهيونية المسيحية. وقد ساعد في عملية الدمج منظمات صهيونية يهودية بارزة أهمها مجلس الطوارىء الصهيوني الأمريكي.

وقدّم هذا المجلس مبلغ ٥٠ ألف دولار في موازنة لجنة فلسطين المسيحية الأمريكية لعام ١٩٤٧، ورُفع هذا المبلغ إلى ١٥٠ ألف دولار في موازنة عام ١٩٤٨[٦٦].

ويذكر تقرير أُعدّ بإشراف السناتور وليام فولبرايت، رئيس لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ الأمريكي في أيار/ مايو ١٩٦٣، عن نشاط الممثلين غير الدبلوماسيين للحكومات الأجنبية أن «مجلس الطوارىء الصهيوني الأمريكي تلقى خمسة ملايين دولار من الوكالة اليهودية في القدس لخدمة أهداف اسرائيل في الولايات المتحدة الأمريكية، وأن هذا المجلس أنفق جزءاً من هذه الأموال على الصحف الأمريكية، وعلى خلق قيادات دينية في المراكز الحساسة، واقامة ندوات لرجال الدين المسيحي عن اسرائيل، ونشر مقالات ايجابية في الصحف البروتستانتية والكاثوليكية لمصلحة الصهيونية، والعمل المضاد لكل اتجاه عدائي للصهيونية واسرائيل في هذه الصحف»[٦٧].

وتتأتى أهمية توقيت تقديم الدعم المالي للجنة فلسطين المسيحية الأمريكية وللصحف المسيحية من أنها جاءت في سنوات الحسم قبيل إنشاء الدولة اليهودية مؤكدة مدى أهمية هذه المنظمات المسيحية الأصولية في تدعيم الاتجاهات الصهيونية، وممارسة الضغوط السياسية على الادارة الأمريكية من أجل مصلحة إقامة دولة يهودية في فلسطين، مستخدمة في ذلك كل وسائل النشر المتاحة والندوات والمؤتمرات والاعلانات والعرائض... الخ.

وكانت تعليمات الحركة الصهيونية اليهودية السياسية تتجه نحو «ضرورة ايجاد تنظيم فوري للجان فلسطين المسيحية الأمريكية في كل تجمع أمريكي»[٦٨].

---

(٦٦) Grose, *Israel in the Mind of America*, p. 173.
(٦٧) مصطفى عبد العزيز، **الأقلية اليهودية في الولايات المتحدة الأمريكية** (بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، ١٩٦٨)، ص ١٤٠.
(٦٨) Grose, Ibid., p. 173.

وكانت نتيجة هذه الأرضية المشتركة بين حركة الصهيونية المسيحية وحركة الصهيونية اليهودية والقائمة على الأهداف المشتركة بتجميع اليهود في دولة أو كيان وطني يهودي في فلسطين، ان انتعشت هذه اللجان الدينية المسيحية وزاد انتشارها، وساعدها في ذلك الدعم العلني والسرّي الصهيوني لها.

وقد نشرت الحركة الصهيونية اعلانات صحفية باسم لجنة فلسطين المسيحية الأمريكية دون التشاور معها مقدماً، مما دفع بأحد قادة هذه اللجنة إلى التقدم بطلب احاطتها علماً بما يتم على الأقل، قبل نشر البيانات العامة المؤيدة لإقامة اسرائيل باسمها(٦٩).

كانت الحركة الصهيونية اليهودية تستشعر الحاجة لوجود هذا الضغط المسيحي على الادارة الأمريكية لمصلحة الأهداف الصهيونية. وقد حقق هذا النشاط الصهيوني المسيحي والصهيوني اليهودي تأثيراً في الرأي العام الأمريكي. ففي استطلاع للرأي العام جرى في منتصف الثلاثينات وردت الاشارة إلى أن ٧٥ بالمائة من الأمريكيين الذين شملهم الاستطلاع قد تعاطف مع الهجرة غير المحدودة والاستيطان غير المشروط لليهود في فلسطين، بينما عارض ذلك ٧ بالمائة و٨ بالمائة لم يقرروا موقفهم، بينما كان ١٠ بالمائة دون رأي(٧٠).

وكان الاتصال مع الكنائس البروتستانتية «أكثر سهولة منه مع الجامعات والطبقات المثقفة فيما يتعلق بالمنظمات والأهداف الصهيونية اليهودية»(٧١).

ومارست لجنة فلسطين المسيحية الأمريكية برئاسة القس كارل بيهر (Carl Biher) في عام ١٩٤٩ ضغوطاً كبيرة على أعضاء الكونغرس من أجل زيادة المساعدات المالية المقدمة إلى اسرائيل ورفعها إلى ١٥٠ مليون دولار بعد أن تقدمت الادارة الأمريكية بمشروع مساعدة بحوالى ٢٣,٥ مليون دولار(٧٢).

وكانت الولايات المتحدة الأمريكية قد بادرت منذ الأيام الأولى لإعلان قيام اسرائيل إلى مدّها على الفور بالقروض والمعونات، مثل ذلك القرض الأمريكي الذي منح الحكومة الاسرائيلية الموقتة مبلغ مائة مليون دولار عام ١٩٤٨ لمشاريع التنمية الاقتصادية في اسرائيل. ثم أعقب ذلك قروض أخرى كان من بينها قرض بقيمة ٣٥ مليون دولار قُدّم عام ١٩٥٠(٧٣).

(٦٩) المصدر نفسه، ص ١٧٣.
(٧٠) Sharif, *Non-Jewish Zionism: Its Roots in Western History*, p. 111.
(٧١) Grose, Ibid., p. 173.
(٧٢) Kenen, *Israel's Defence Line*, pp. 70-72.
(٧٣) عبد العزيز، الأقلية اليهودية في الولايات المتحدة الأمريكية، ص ١٧٣.

كان الفرد الأوروبي في عام ١٩٥٢ يحصل على معونات امريكية بمعدل سبعة دولارات واثنين وعشرين سنتاً سنوياً. وينال الفرد في الشرق الأوسط دولاراً واحداً وثلاثة سنتات. وينال الفرد في جنوب شرق آسيا تسعة وخمسين سنتاً سنوياً، بينما كان الفرد في اسرائيل ينال ٤٨ دولاراً سنوياً(٧٤).

وفي الوقت الذي كانت فيه «لجنة فلسطين المسيحية الأميركية» تمارس ضغوطها المنظمة على صانعي القرار الأمريكي لدعم اسرائيل، فإنها عارضت في عام ١٩٥٤ قرار الادارة الأمريكية بيع السلاح من الدول العربية، ومارست ضغوطاً شديدة على الكونغرس والحكومة الأمريكية. ووضعت شروطاً لتقديم السلاح إلى العرب تتشابه إلى حد كبير مع شروط الادارة الأمريكية والكونغرس الأمريكي في عهد الرئيس ريغان في الثمانينات. وقد شملت شروط اللجنة في ذلك الوقت ما يلي:

١ - إعلان رغبة الدول العربية في الإنضمام إلى حلف «الدفاع عن العالم الحر» ضد الشيوعية.

٢ - الموافقة على التفاوض مع اسرائيل لإيجاد حل سلمي.

٣ - إنهاء المقاطعة العربية المباشرة وغير المباشرة والحصار المفروض على اسرائيل(٧٥).

وقدمت هذه اللجنة في عام ١٩٥٨ احتجاجاً إلى وزير الخارجية الأمريكي، ضد بيانات السفير الأمريكي شيلدون ميلز (Sheldon Mills) في المملكة الأردنية الهاشمية التي قال فيها: «كنت أتعاطف مع اليهود أثناء عهد هتلر، لكن اليهود قاموا بجرائم خطيرة مشابهة ضد العرب بطردهم من بيوتهم»(٧٦).

ولقد تلاشت هذه اللجنة تدريجياً بعد انكشاف ارتباطها الوثيق بالحركة الصهيونية اليهودية. فتحولت الحركة الصهيونية اليهودية عنها بحثاً عن عناصر ومؤسسات أكثر التزاماً بالتفسيرات اللاهوتية، إذ برزت قوى مسيحية جديدة لها رؤية لاهوتية سياسية في مسائل صراع الشرق والغرب وفي تدعيم اسرائيل بعد قيامها. كما أن لها أطراً مميزة داخل الجسم المسيحي نفسه، وبخاصة وسط «مجلس الكنائس العالمي».

كانت الكنائس الأصولية منذ عام ١٩٤٢ قد أخذت في تمييز نفسها وتشكيل اطارها الخاص بها مثل «الرابطة الوطنية للانجيليين».

(٧٤) Alfred M. Lilienthal, *What Price Israel* (Chicago, Ill.: Henry Regrery Co., 1953), p. 122.
(٧٥) Kenen, *Israel's Defence Line*, p. 124.
(٧٦) المصدر نفسه، ص ١٤١.

كان ايمان الصهيونية المسيحية قبل تأسيس دولة اسرائيل ينصبّ على عودة اليهود كشعب إلى أرضه الموعودة في فلسطين، واقامة كيانه الوطني فيها، تمهيداً للعودة الثانية للمسيح وتأسيسه مملكة الألف عام السعيد.

وبعد قيام اسرائيل، أخذت الصهيونية المسيحية تنظر إلى اسرائيل كحدث وإشارة تؤكد معتقداتها اللاهوتية. وصار المؤمن بهذه المعتقدات يرى في دعم وتثبيت دولة اسرائيل تعجيلاً وتسريعاً ليوم الخلاص بعودة المسيح. وصارت أهم إشارة إلى «نهاية التاريخ وعودة المسيح الثانية، قيام اسرائيل بعد آلاف من السنين والتشرد»(٧٧).

وبدلاً من تنصير الاسرائيليين، انصبّت جهود الصهيونية المسيحية بعد قيام اسرائيل على تحقيق الأهداف التالية:

أ - تأكيد شرعية دولة اسرائيل على أساس أنها جاءت تحقيقاً للنبوءة التوراتية.

ب - تأكيد حق اسرائيل في أرض (Eretz) اسرائيل بما فيها الضفة الغربية وغزة.

ج - طمأنة اسرائيل على أن الإنجيليين الأصوليين ملتزمون بالعمل في الولايات المتحدة الأمريكية من أجل أمن اسرائيل.

د - التأكيد على أن اليهود هم شعب الله المختار، وأن الله بالتالي «يبارك من يباركهم ويلعن لاعنيهم»(٧٨).

ثانياً: جذور الصهيونية في الكنائس البروتستانتية

البروتستانتية هي أكثر الطوائف الدينية عدداً في الولايات المتحدة الأمريكية إذ يصل عدد المنتمين إليها حسب الاحصاءات الرسمية لعام ١٩٨٢ إلى ٧٦,٧٥٤,٠٠٩ مليون شخص(٧٩)، كما تضم أكثر من ٢٠٠ طائفة مثل: المنهجيين (Methodists) والمشيخيين (Presbyterians) والاسقفيين (Episcopalians) والمعمدانيين (Baptists)... الخ.

ويمكن تقسيم البروتستانتية قسمين متميزين:

(٧٧) Hal Lindsey, *The Late Great Planet Earth* (New York: Bantam Books, 1970), p. 2.

(٧٨) Ingram O. Kelly, «Christian Zionism,» *The Link*, vol. 16, no. 4 (November 1983), pp. 3-8.

(٧٩) *Yearbook of American and Canadian Churches* (Nashville: Adingdon Press, 1984), p. 244.

يمثّل القسم الأول الخط العام البروتستانتي (Mainline)، الذي يضم كنائس النخبة والطبقة العليا في المجتمع الأمريكي، وتسمى كنائس البروتستانت الانكلوسكسون البيض (White Anglo-Saxon Protestant)، والتي تُختصر بكلمة «واسب» (WASP). ومن أتباعها من هم ليسوا من الطبقة العليا، كما أن هناك من هو من الطبقة العليا وليس من تابعيها. لكنها تظل «أهم الكنائس تأثيراً في صياغة السياسة الأمريكية»(٨٠). وتتمثل أهميتها بالنسبة إلى هذا البحث في كونها الطائفة التي تضم صلب التيار الصهيوني المسيحي، وهو التيار الأصولي. ومن أبرز كنائسه: اللوثريون والمنهجيون والمعمدانيون.

ويمثّل القسم الثاني البروتستانتية الليبرالية (Liberal)(٨١)، التي يشكل المجلس الوطني لكنائس المسيح في الولايات المتحدة الأمريكية (National Council of the Churches of Christ) مظلتها الرئيسية، وهو يمثّل أربعين مليون مسيحي وأربعة وثلاثين رابطة طائفية(٨٢).

ويعبّر عن آراء هذا القسم قادته ومنشوراته ودورياته، وأبرزها المجلة الشهرية «القرن المسيحي» (The Christian Century)، التي عارضت منذ تأسيسها في مطلع هذا القرن أطروحة الوطن القومي اليهودي في فلسطين وهاجمت الحركة الصهيونية.

وتُعتبر مجلتها الأخرى الشهرية المسماة «المسيحية والأزمات» (The Christianity and Crisis) أقرب إلى وجهة النظر الصهيونية. وقد لعب محررها رينولد نيبر (Reinhold Niebuhr) دوراً بارزاً في التعبير عن الاتجاهات الصهيونية المسيحية داخل هذه المجلة حتى وفاته عام ١٩٧١(٨٣)، لكنها فتحت صفحاتها، فيما بعد، لعدد من الكتّاب المنتقدين السياسات الاسرائيلية من أمثال اسرائيل شاهك (I. Shahik) المدرّس في الجامعة العبرية في القدس.

تتميز البروتستانتية الليبرالية عن غيرها بأنها كانت تمثل أولى صلات الولايات المتحدة الأمريكية بالمشرق العربي، وبخاصة في سوريا وفلسطين. فقد أسس

(٨٠) Basheer K. Nijim, ed., *American Church Politics and the Middle East* (Massachusetts: Association of Arab American University Graduates, Inc., 1982), p. 62.

(٨١) البروتستانتية الليبرالية هي تيار ديني يؤكد على الحرية العقلية ويركز على الروح والمضمون في التفسيرات اللاهوتية ويرفض التفسيرات الحرفية ويضم أتباعاً من مختلف طوائف الخط العام.

(٨٢) Thomas Wiley, *American Christianity: The Jewish State and the Arab-Israeli Conflict* (Washington, D.C.: Georgetown University, Center for Contemporary Arab Studies, 1983), p. 11.

(٨٣) كان نيبر (Niebuhr) نائباً للحزب الاشتراكي الامريكي ولعب دوراً مهماً في توثيق علاقات الصهيونية اليهودية بالحركة العمالية.

البروتستانت الليبراليون الكلية الانجيلية السورية في عام ١٨٦٦، ثم تغيّرت تسميتها في عام ١٩٢٠ لتصبح «الجامعة الأمريكية في بيروت»، كما أسست الجامعة الأمريكية في القاهرة، وعارضت أدبياتها وبيانات قادتها خلال النصف الأول من القرن العشرين فكرة الوطن القومي اليهودي[٨٤]. وكان لهذا الموقف أسبابه الدينية والمصلحية. فوجود وطن قومي لليهود في فلسطين يهدد عمل البعثات التبشيرية المسيحية، كما أن تفسيرات هذا التيار لمضمون التوراة جعلته يؤمن بأن اليهود ـ تاريخياً ـ لم يستحوذوا على فلسطين أبداً[٨٥].

وقد تراجعت معارضة هذا التيار لقضية الهجرة اليهودية إلى فلسطين واقامة الدولة اليهودية فيها بعد الحرب العالمية الثانية، وبدء انكشاف ما سُمي القمع النازي لليهود. وقد ساعد على ذلك نشاط الصهيونية المسيحية وسط تيار الخط العام للبروتستانت. ونجحت قيادات في هذا التيار تؤيد وجهة النظر الصهيونية من أمثال نيبر، في القضاء على أول جماعة ضغط مسيحية تعارض اقامة الدولة اليهودية في فلسطين، وهي «لجنة من أجل السلام والعدل في الأرض المقدسة» (Committee for Justice and Peace in the Holy land) التي تأسست عام ١٩٤٨، وضمت في عضويتها القس بول هاتشينون (P. Hatshinon)، محرر مجلة «القرن المسيحي» السابق ذكرها[٨٦].

وقد تراجع، بعد إنشاء اسرائيل عام ١٩٤٨، الاتجاه الرافض لقيام الدولة اليهودية، لتصبح مسألة تدويل مدينة القدس ومشكلة اللاجئين الفلسطينيين على جدول برامج التيار ومؤسساته ومنشوراته. وتعكس هاتان القضيتان اهتماماً دينياً وانسانياً من قبل هذا التيار.

كما تراجعت بعد حرب حزيران عام ١٩٦٧ واحتلال اسرائيل كامل مدينة القدس، مكانة القدس على جدول اهتمامات البروتستانت الليبراليين[٨٧].

بينما زاد التركيز على مشكلة اللاجئين، كما اعترفت مجلة «القرن المسيحي» بحق اسرائيل في الوجود، ونشطت قوى الحركة الصهيونية اليهودية السياسية داخل الكنيسة البروتستانتية الليبرالية سواء على شكل اجتماعات مشتركة أو لجان مشتركة[٨٨]. فقامت

(٨٤) Wiley, Ibid., p. 12.

(٨٥) المصدر نفسه، ص ١٢.

(٨٦) المصدر نفسه، ص ١٥.

(٨٧) المصدر نفسه، ص ١٥.

(٨٨) Robert F. Drinan, *Honor the Promise: America's Committment to Israel* (New York: Garden City Press, 1977), p. 247.

«لجنة الاعتقاد والنظام» (The Commission on Faith & Order) داخل المجلس الوطني للكنائس بإصدار بيان عام ١٩٧٣ يؤيد اسرائيل، ويعتبر فلسطين أرضاً موعودة لليهود. ولكن في عام ١٩٧٩ أقرت اللجنة التنفيذية للمجلس الوطني للكنائس بياناً يؤيد منظمة التحرير الفلسطينية كممثل وحيد للشعب الفلسطيني، وأن لها دوراً في المفاوضات[٨٩].

خرج من البروتستانتية الليبرالية «جناح يساري» يركز اهتماماته على مسائل العدالة الاجتماعية والسلام من وجهة نظر دينية. وقد بدأ يتبلور في مطلع السبعينات إثر مؤتمر عقده أكثر من ٥٠ رجل دين وأكاديمي لاهوتي في مدينة شيكاغو عام ١٩٧٣. وأصدر المؤتمر إعلاناً سماه اعلان شيكاغو (The Chicago Declaration) حوى اشارة تتحدث عن تحقيق العدالة لليهود والفلسطينيين معاً. ويعتبر هذا الجناح من المؤسسات البروتستانتية المميزة التي تتحدى في فكرها ولاهوتها البروتستانتية المحافظة. ويرفض جزء من هذا التيار الصهيونية السياسية اللاهوتية، بينما أغلبية هذا الجناح ما زالت غير محددة الموقف تجاه اسرائيل. ومن بين أهم منشورات هذا الجناح اليساري ودورياته ما يلي:

١ ـ مجلة «المقيمون موقتاً» (Sojourners) الشهرية في واشنطن العاصمة. وهي أول مجلة بروتستانتية توجه النقد المباشر إلى الصهيونية المسيحية، ومن كتابها الدكتور ديوي بيغل (Dewey Beegle)، أستاذ العهد القديم في معهد ويزلي للاهوت التكنولوجي (Wesley Theological Seminary) في واشنطن.

٢ ـ مجلة «الجانب الآخر» (The Other Side) الشهرية، وقد أسسها القس فريد ألكسندر (Fred Alexander) عام ١٩٦٥ في فيلادلفيا، وتهتم بمسائل العدالة الاجتماعية في الولايات المتحدة الأمريكية، وقد نشرت في عامي ١٩٨١/١٩٨٢ مقالات عديدة تؤيد الحقوق الفلسطينية مع التأكيد على توفير الأمن لليهود في فلسطين.

٣ ـ مجلة «المصلح» (The Reformer) وتصدر في ميتشغان، وتوجّه باستمرار انتقاداتها إلى الصهيونية السياسية ومن وجهة نظر لاهوتية وسياسية. ويعتبر معهد فولر للاهوت التكنولوجي (Fuller Theological Seminary) في مدينة باسادينا، في ولاية كاليفورنيا، من أهم مؤسسات هذا الجناح اليساري[٩٠].

(٨٩) Wiley, Ibid., p. 17.

(٩٠) استضاف المعهد رجل دين فلسطينياً هو الأب الياس شكور من الجليل في أيار/ مايو ١٩٨١ وتحدث عن قضية فلسطين أمام أكثر من ٣٠٠ طالب من طلبة المعهد.

وقد أيدت بيانات المجلس الوطني لكنائس المسيح خلال العقد الأخير اعطاء الشعب الفلسطيني حق تقرير المصير، بما في ذلك حقه في التعويض وفي كيان وطني. كما أيدت قرارات الأمم المتحدة وبخاصة القرار (٢٤٢). واعتبر بيان لادارة محافظي المجلس الوطني صدر في ٦ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٨٠ ان «حل الصراع الاسرائيلي الفلسطيني، سيزيل مصدراً رئيسياً من مصادر عدم الاستقرار والتهديد لسلام العالم»[٩١].

ثالثاً: الاتجاهات الصهيونية والكنيسة الكاثوليكية

كان من الواضح منذ بدء الحركة الصهيونية اليهودية السياسية في مؤتمر بال عام ١٨٩٧، أن هذه الحركة تتناقض مع العقيدة الكاثوليكية بمركزها الديني في الفاتيكان. وقد أكد على ذلك البابا بيوس العاشر في لقائه مع الزعيم اليهودي الصهيوني هرتزل في ٢٦ كانون الثاني/ يناير ١٩٠٤، حين أعلن البابا معارضته للحركة الصهيونية وللهجرة اليهودية إلى فلسطين[٩٢]. وكان موقف الكنيسة الكاثوليكية الأمريكية أيضاً غير محبّذ لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين[٩٣].

وقد وجدت الصهيونية السياسية أنه من الضروري اكتساب مساعدة الكنيسة الكاثوليكية، حتى ولو أدّى ذلك إلى تغيير اليهود ديانتهم إلى المسيحية. وتنقل اليهودية غير الصهيونية روث بلاو (Ruth Blau) عن مذكرات هرتزل ما يلي[٩٤]: «أردت أن أحل مشكلة اليهود في النمسا على الأقل بمساعدة الكنيسة الكاثوليكية، وأردت أن أضمن لنفسي مساعدة رؤساء الكنيسة قبل أي شيء، وأن أحصل على مقابلة البابا بواسطتهم لكي أقول له: دافع عنا أمام اللاسامية وسأقوم أنا بتأسيس حركة قومية لليهود، بحيث يقومون بتغيير دينهم إلى المسيحية وهم فخورون وبإرادتهم الحرة. أما زعماء الحركة وبخاصة أنا، فسنبقى يهوداً، وكيهود سننصح وسنوصي بقبول الدين السائد، وسنغيّر دين أولادنا إلى المسيحية»[٩٥].

وحينما أعلن وعد بلفور عام ١٩١٧، لم تعلن الكنيسة الكاثوليكية موافقتها

(٩١) Robin Madrid, ed., *Statements and Position Papers of Major Organizations on Middle East Peace* (Washington, D.C.: Middle East Associates, 1985), p. 12.

(٩٢) Theodor Herzl, *The Complete Diaries of Theodor Herzl,* translated by Harry Zohn, edited by Raphael Patai (New York: Dial Press, 1960).

(٩٣) *Washington Post* (24 January 1976).

(٩٤) روث بلاو هي زوجة الحاخام عمرام بلاو الزعيم الروحي للمنظمة المتدينة اليهودية المعادية للصهيونية والتي تأسست منذ عام ١٩٣٨ والمسماة (ناطوري كارتا، أي حراس المدينة) ويعيشون الآن في عدد من المدن الأمريكية والأوروبية وفلسطين المحتلة.

(٩٥) روث بلاو، يهود... لا صهاينة، ترجمة زكي حسن نسيبة (بيروت: دار الكلمة، [د.ت.])، ص ٢٨٤.

عليه، وظلت على موقفها من معارضة الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وحافظت على علاقات طيبة مع الجماعة اليهودية، وكانت تبريرات الكنيسة الكاثوليكية لهذه المواقف تشير دائماً إلى التزامها بموقف البابا وتعاليمه، والقائمة على أسس دينية وانسانية تتعلق بالمسيحيين العرب في فلسطين، إضافة إلى اعتقادها بأن معظم يهود الولايات المتحدة الأمريكية ليسوا على وفاق مع الحركة الصهيونية المسيحية، إذ شكلت أقلية بينهم إلى ما قبيل قيام اسرائيل عام ١٩٤٨[٩٦].

وفي مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية، وبسبب ما نُشر عن معاناة اليهود أثناء الحكم النازي، أبدى بعض الكاثوليك تعاطفاً مع بعض البرامج الصهيونية، ولكن بشكل عام لم يكن هناك موقف معلن من الكنيسة الكاثوليكية تجاه هذه البرامج سوى الاعلان عن تأييدها لمسألة تدويل القدس، وهو الموقف المبني على الخطة التي أقرتها الأمم المتحدة حول فلسطين عام ١٩٤٧.

وقد اعتمد الفاتيكان عند قيام اسرائيل عام ١٩٤٨، واعتمدت معه كذلك الكنيسة الكاثوليكية الأمريكية، موقفاً صامتاً لا يعترف بها ولا يدين قيامها. وأخذ يبدي اهتماماً أكثر بتدويل القدس ومسألة اللاجئين العرب[٩٧].

لعبت الكنيسة الكاثوليكية في الخمسينات، ومع التهاب نار الحرب الباردة بين الشرق والغرب، دوراً بارزاً في مهاجمة الشيوعية، وهي الحملة التي قادها السناتور جوزيف مكارثي (J. Mc Carthy). وكان المتحدث باسم الكنيسة في مجال الهجوم على الشيوعية رئيس الأساقفة الكاردينال سبيلمان (Spelman) في نيويورك، إذ رأى في اسرائيل دولة ضد الشيوعية وان الاتحاد السوفياتي وتشيكوسلوفاكيا يزوّدان العرب بالأسلحة[٩٨].

وقد اقترحت احدى أهم مجلات الكنيسة الكاثوليكية، وهي مجلة «أمريكا» (America) في عام ١٩٥٠ إنشاء جبهة مسيحية - اسلامية للحيلولة دون انتشار الشيوعية. ومع تصاعد قوة حركة القومية العربية الرافضة للارتباط بالغرب وأحلافه، وانتشار مناخ التأميم الذي بدأ بتأميم قناة السويس في عام ١٩٥٦، وسياسة الحياد الايجابي صار الانطباع لدى الكنيسة الكاثوليكية الأمريكية بأن اسرائيل هي دولة غربية تقف ضد الشيوعية. وخرجت هذه المجلة الكاثوليكية التي وقفت على الحياد حينما قامت اسرائيل، بموقف منحاز إلى اسرائيل، ومنتقد لإدارة الرئيس الأمريكي دوايت

(٩٦) Esther Y. Feldbeum, *The American Catholic Press and the Jewish State, 1917-1959* (New York: Ktav Publishing House, 1977), p. 38.

(٩٧) Wiley, *American Christianity: The Jewish State and the Arab-Israeli Conflict,* p. 7.

(٩٨) المصدر نفسه، ص ٧.

ايزنهاور بسبب انتقاده اسرائيل ومطالبته إياها بالانسحاب إثر العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦[٩٩].

ولعب في مطلع الستينات الأسقف كوشنغ (Cushing) دوراً أساسياً في فتح الطريق أمام جماعات الضغط المؤيدة لإسرائيل لدى ادارة الرئيس كينيدي. وكان مقرّباً من الرئيس الذي كان أول رئيس كاثوليكي في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية. وقد لعب أمثال هذا الاسقف دوراً في مجالس الفاتيكان تجاه اعطاء الشرعية اللاهوتية الكاثوليكية للدولة اليهودية في فلسطين[١٠٠].

إن الفاتيكان ما زال حتى الآن لا يعترف قانونياً (de Jure) باسرائيل وإن كان اعترافه بها يأتي بحكم الواقع (de facto). فهو يجتمع بممثليها ومبعوثيها. وقد اجتمع باباوات الفاتيكان بعدد من المسؤولين الاسرائيليين في العقدين الأخيرين، من بينهم غولدا مائير، رئيسة وزراء اسرائيل، التي قامت بزيارة للفاتيكان في ١٩٧٣/١/١٥، والتقت مع البابا بول السادس، وصارت اسرائيل بعد حرب حزيران/ يونيو ١٩٦٧ على جدول أي حوار يهودي - كاثوليكي. وظلت القدس على رأس الاهتمامات الكاثوليكية. وجاءت بعدها مسألة الطموحات المشروعة للاجئين الفلسطينيين[١٠١]. ومنذ ذلك الحين أخذت الكنيسة الكاثوليكية في الولايات المتحدة الأمريكية تشهد مظاهر مؤيدة لاسرائيل سواء داخل صحافتها أو في مواعظ وبيانات بعض قياداتها وفي بعض مؤتمراتها. وقد ساعد على ذلك توافر المناخ السياسي المؤيد للاتجاهات الصهيونية داخل الولايات المتحدة الأمريكية.

ويُعتبر المقال الذي كتبه الاسقف أوستريشر (Oesterriccher) من أشهر البيانات الواضحة في تأييدها للصهيونية السياسية. وقد ذكر المقال «أن القدس مدينة يهودية... وطالب المسيحيين بالاعتراف اللاهوتي بالصهيونية معتبراً أن اسرائيل هي تعبير عن «ارادة الله»»[١٠٢].

وقد سبقه في هذا الموقف أيضاً الأب ادوارد فلانيري (Edward Flannery) الذي طالب في وثيقة منشورة في كانون الأول/ ديسمبر ١٩٦٩ بموقف معاصر لاهوتي من الشعب اليهودي ومن اسرائيل[١٠٣].

(٩٩) John Cogly, «Shift in Policy,» *Commonwealth* (14 December 1956), p. 277.
(١٠٠) Wiley, Ibid., p. 8.
(١٠١) Nijim, ed., *American Church Politics and the Middle East*, pp. 100-108.
(١٠٢) *New York Times* (26 May 1971).
(١٠٣) *The Catholic Review* (12 December 1969).

كان هدف تلك الظواهر ادخال الاتجاهات الصهيونية إلى الكنيسة الكاثوليكية في الولايات المتحدة الأمريكية، لا سيما أن صاحب الوثيقة المنشورة الأب فلانيري يحتل مركزاً بارزاً في الكنيسة، فهو يشغل منصب رئيس سكرتارية الرهبان الأمريكيين لتعزيز الوحدة المسيحية المسمّاة (American Bishops Secretarial for Promoting Christian Unity). وقد طالب في نيسان/ ابريل ١٩٧٥ طائفة الكاثوليك بـ «الوقوف مع حق اسرائيل في حدود آمنة، وأن تظل أمريكا صامدة في دعمها لإسرائيل»[١٠٤].

ومن بين المؤسسات الصهيونية المسيحية داخل الكنيسة الكاثوليكية معهد الدراسات المسيحية - اليهودية (Institute of Judeo-Christian Studies) في جامعة سيتون هول (Seton Hall)، وكذلك مكتب الفاتيكان للعلاقات اليهودية الكاثوليكية (Vatican Office of Catholic-Jewish Relations) الذي يرئسه الأب ريجيك (Rijik).

ويقدّر معهد غالوب عدد الأصوليين ممن يتبنون الاتجاهات الصهيونية ويعتبرون أنفسهم أصوليين (Fundamentalists) بأكثر من ثمانية ملايين كاثوليكي من مجمل تعداد الطائفة الكلي البالغ ٥٢ مليوناً و ٨٨,٧٧٤ في عام ١٩٨٢[١٠٥].

وبشكل عام، تظل الكنيسة الكاثوليكية، بحكم كونها كتلة دينية واحدة وملتزمة بالاتجاه العام لمواقف البابا في الفاتيكان، أكثر انفتاحاً على وجهة النظر العربية من غيرها من الكنائس الأخرى. وعبّرت في مؤتمراتها وصحافتها عن اهتمامها بتأييد قضايا اللاجئين الفلسطينيين، وحقوقهم، وتدويل القدس، ومشاركتهم في مفاوضات تسوية الصراع العربي - الصهيوني.

ومن أبرز المنظمات الكنسية الكاثوليكية «مؤتمر الرهبان الأمريكيين» (American Bishops Conference)، الذي حافظ على الالتزام بمواقف الفاتيكان السياسية. لكنه في مؤتمره المنعقد في ١٣ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٣ أصدر قراراً يطالب فيه بالاعتراف بحق اسرائيل في الوجود مع الاعتراف بحقوق الفلسطينيين وبمشاركتهم في المفاوضات، وبأن تكون لهم دولة[١٠٦]. وهناك أيضاً مؤتمر «رفاهية الكاثوليك الوطني» (National Catholic Welfare Conference)، وكذلك الرابطة المهتمة بمسائل اللاجئين في العالم وهي مؤسسة قديمة منذ عام ١٩٢٦ تدعى «رابطة رفاهية الكاثوليك للشرق الأدنى» (Catholic Near East Welfare Association). وقد أخذت تبدي

(١٠٤) *Washington Post* (11 November 1975).
(١٠٥) *Yearbook of American and Canadian Churches*, p. 236.
(١٠٦) Wiley, *American Christianity: The Jewish State and the Arab-Israeli Conflict*, p. 8.

اهتماماً بمسألة اللاجئين الفلسطينيين اعتباراً من عام ١٩٤٨ .

والجدير بالذكر أن أكثر الكاثوليك خروجاً على الخط السياسي العام المتعلق بالصراع العربي - الاسرائيلي، هم السياسيون الملتزمون بالكنيسة المنظَّمة. ومن الأمثلة على ذلك تلك الرسالة التي وقّعها أكثر من عشرين نائباً كاثوليكياً في مجلس النواب الأمريكي، والتي سلّمها إلى البابا ممثلون عنهم في ١٩٨٤/١١/٢٣ . وقد طالبت الفاتيكان بالاعتراف باسرائيل، وتبادل التمثيل الدبلوماسي معها، ودعت البابا «إلى تدخّله الشخصي لتحقيق التأكيد البارز للقربى التي تربط عالم الكاثوليك باليهود»[١٠٧] .

(١٠٧) *New York Times* (26 November 1984).

الفصل الثالث

الصُّهيُونيَّة المسيحيَّة الأصوليَّة الامريكيَّة المعاصِرَة

أولاً: أهمية الكنيسة في المجتمع الأمريكي

الأصل في المسيحية على مستوى العقيدة هو مبدأ الفصل بين الدين والدنيا. وذلك تطبيقاً لقول السيد المسيح عليه السلام «اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله»[1]. وقد تكرر هذا المعنى كثيراً في الأناجيل، تأكيداً لفصل العلاقات الدنيوية الأسرية والاقتصادية عن العلاقات الدينية، ومنع الجمع بين الدين والدنيا. وقد حسم هذا الخيار عقائدياً حينما قال السيد المسيح عليه السلام «لا تقدرون أن تخدموا الله والمال»[2] «ومن لا يأخذ صليبه ويتبعني فلا يستحقني»[3] «بع كل مالك واعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء، ويقال اتبعني حاملاً الصليب»[4].

ولتجسيد هذا الفصل ما بين السلطة الدنيوية والسلطة الدينية على مستوى الممارسة، عمل رجال الدين على التفرغ لأداء هذه الوظيفة الدينية داخل مجتمعات خاصة بهم ومغلقة. ومارسوا سلطة تفسير وتطبيق ومراقبة تنفيذ أحكام الدين. فملكوا حق الاباحة والتحريم مما جعل لهم على الناس سلطاناً لا تستقيم حياة الناس بغير طاعته.

ولم يكن رجال الدين مجرد رهبان منعزلين عن الدنيا، بل كانوا موظفين يتقاضون أجوراً أيضاً، ويقيمون الكنائس ويتملكون العقارات والأراضي والممالك.

---

(١) الكتاب المقدس، «انجيل متى،» الاصحاح ٢٢، الآية ٢١.
(٢) المصدر نفسه، «انجيل متى،» الاصحاح ٦، الآية ٢٤.
(٣) المصدر نفسه، «انجيل متى،» الاصحاح ١٠، الآية ٣٨.
(٤) المصدر نفسه، «انجيل مرقس،» الاصحاح ١٠، الآية ٢١.

وفي مراحل تاريخية مختلفة صاروا أوسع الناس ملكية للأراضي وأكثرهم ثراء، مما أدى إلى حاجتهم إلى اعداد الجيوش للدفاع عن ممالكهم واقطاعياتهم. وقد تطلّب ذلك مصادر تمويل كافية ودائمة.

وفي هذا الإطار، فإن الكنيسة مؤسسة هائلة ذات سلطات دينية وتشريعية وقضائية وادارية ومالية وعسكرية. وقد اتجهت بتعاليمها في البداية إلى دعوة رجال الدين لترك ما لقيصر لقيصر واطاعة الدولة التزاماً بالموقف النظري الديني القائل بفصل الكنيسة عن الدولة.

لكن هذا الفصل، في الممارسة العملية، وفي مراحل تاريخية مختلفة، كان يتوقف تنفيذه على موازين القوة داخل المجتمع وعلى مدى قوة الارادة لدى طرفيّ العلاقة. فكانت الكنيسة والدولة تتبادلان موقع السيطرة والغلبة في المجتمع من خلال الصراع بينهما.

وقد أضعفت حركة الاصلاح الديني التي قادها مارتن لوثر عام ١٥٢٠ السلطة البابوية الدينية لمصلحة الدولة. وانتقلت هذه الحركة مع البروتستانت المتطهرين إلى الولايات المتحدة الأمريكية خلال القرن السابع عشر. ولأنهم كانوا القوة الغالبة، فقد سادت كنيستهم ومذهبهم، وسيطروا على كل سلطة في معظم المناطق التي استقروا فيها في شمال الولايات المتحدة الأمريكية. ومن هنا يتضح بجلاء أن العلاقة بين الكنيسة والدولة تظل عرضة للتغير تبعاً لأطماع المؤسستين وقدرة احداهما على أن تسود على الأخرى، فتتجاوز حدود المستوى النظري لعملية الفصل.

وقد استمرت هذه السيطرة البروتستانتية على الدولة حتى أواخر القرن الثامن عشر، حينما شهدت الولايات المتحدة الأمريكية هجرات كثيفة من الكاثوليك، مما أدى إلى بروز مخاوف بروتستانتية من مشاركة الكنيسة الكاثوليكية لما حققته الكنائس البروتستانتية من امتيازات وسلطات دينية في مواجهة الدولة. فتراجعت البروتستانتية وعادت إلى المطالبة بتطبيق المبدأ النظري المسيحي بفصل الدين عن الدولة في مواجهة الكاثوليك. وقد تم لها ذلك، حين تم ادخال مبدأ الفصل في صلب الدستور الأمريكي بالتعديل الدستوري الأول عام ١٧٨٩.

وهكذا أقرّ الدستور الأمريكي مبدأ فصل الكنيسة عن الدولة، بحيث تقف الدولة على الحياد في العلاقات ما بين الانسان والدين. وينص التعديل الأول في دستور الولايات المتحدة الأمريكية الذي تم في ٢٨ حزيران/ يونيو ١٧٨٩ على الآتي: «لن يصدر الكونغرس أي قانون بصدد ترسيخ الدين أو منع ممارسته»[٥].

---

(٥) *The Constitution of the U.S.A.: Analysis and Interpretation*, Prepared by the Con- =

وقد كتب الرئيس الأمريكي جيفرسون في عام ١٨٠٢ رسالة إلى جماعة من رجال الدين في إحدى كنائس مدينة دانبيوري في ولاية كونيتيكت، أعلن فيها أن «هدف التعديل الأول في الدستور هو إنشاء حائط فاصل ما بين الكنيسة والدولة»[٦].

وهذا يعني أنه يحظر على الكونغرس سن قوانين تؤسس ديناً أو تمنع حرية التعبير الحر الديني، أو تجبر أحداً على اتباع دين معيّن بأية وسيلة، أو أن تساعد الدولة على ذلك مادياً أو معنوياً.

وبقدر ما حال الدستور دون قيام الدولة بدعم أي دين، فقد أُلحق بهذه الفقرة الدستورية فقرة أخرى تنص على الحق في حرية التعبير الديني ولكل الأديان.

وقد قدّمت قرارات رئاسية وأحكام قضائية محلية واتحادية تفسيرات واضحة لمعنى الفقرة الدستورية المتعلقة بفصل الدين عن الدولة. من بينها استخدام الرئيس ماديسون في عام ١٨١١ لحق الفيتو (النقض) لمعارضة مشروع اقتراح يمنح كنيسة في مدينة سالم في ولاية مسيسيبي أرضاً حكومية باعتبار أن هذا المنح يتعارض مع الفقرة الدستورية السابق ذكرها[٧].

وقد فسّر القضاء الأمريكي هذه الفقرة الخاصة بالدين، حينما عُرضت في عام ١٨٩٩ على المحاكم مسألة منح مساعدة حكومية مالية لبناء مستشفى تملكه وتديره كنيسة كاثوليكية. فقد اعتبرت المحكمة المستشفى «مؤسسة علمانية وليس هيئة دينية أو تخصّ طائفة معينة»[٨].

لكن عندما عُرضت على المحكمة مسألة حق السلطات المحلية بتوفير وسائل مواصلات مجانية لنقل أطفال مدرسة دينية، اعتمدت لغة صارمة في تفسير الفقرة الدستورية وقالت: «لا تستطيع الولاية أو الحكومة الاتحادية تأسيس كنيسة أو سن قوانين تساعد أي دين أو تفضل ديناً على آخر أو تجبر انساناً أو تؤثر فيه ليذهب أو يبتعد عن الكنيسة ضد رغبته أو تجبره على الايمان أو الكفر بأي دين»[٩].

واعتبرت المحكمة أن توفير المواصلات الحكومية المجانية للأطفال الذاهبين إلى الكنيسة، هو شكل من أشكال الدعم للدين، مما يتعارض دستورياً مع الفقرة الخاصة

= gressional Research Service (Washington, D.C.: Library of Congress, U.S. Government Printing Office, 1973), p. 911.

(٦) المصدر نفسه، ص ٩١٣.

(٧) المصدر نفسه، ص ٩١٢.

(٨) المصدر نفسه، ص ٩١٦.

(٩) المصدر نفسه، ص ٩١٧.

الواردة في التعديل الأول للدستور. ووجدت أن تأثير قيام الحكومة بتوفير المواصلات المجانية سيُحدث أثراً غير دستوري رغم أن الغرض منه هو توفير الرفاهية العامة للمواطنين كافة بغضّ النظر عن معتقداتهم الدينية.

ورأت المحكمة أن أهل التلاميذ ربما كانوا غير مستعدين لإرسال أطفالهم إلى الكنيسة لو كان يتوجب عليهم دفع أجور المواصلات[10].

وفي عام ١٩٦٢، حينما سمحت مدرسة حكومية في مدينة نيويورك، بناء على توصية من مجلس محافظي ولاية نيويورك، لتلاميذها بقراءة نص شبه ديني بصوت عال في بداية كل يوم دراسي، يقول: «أيها الرب القدير، بارك والدينا وأساتذتنا وبلدنا»[11].

اعتبرت المحكمة العليا أن السماح بذلك في المدارس الحكومية، هو عمل غير دستوري، إذ إنه ليس من مهام الدولة فرض صلوات رسمية على أية جماعة أمريكية.

وفي قضايا مشابهة قرر القضاء الأمريكي تحريم تقديم قروض من الدولة لإصدار الكتب الدراسية لمدارس دينية، معتبراً أن هذه القروض توفر فرص التعليم الديني، وهو عمل مخالف للدستور.

وقد تم اعفاء الكنائس وما يرتبط بها من متاحف ومستشفيات ومكتبات ومنظمات خيرية من دفع الضرائب. واعتبرت المحكمة العليا في عام ١٩٧٠ أن التأثير الرئيسي لهذا الاعفاء هو تأثير علماني، وأي مساعدة للدين في هذا المجال مجرد حدث عارض أو ثانوي[12].

ووجدت المحكمة أن عدم اعفاء الكنائس ومؤسساتها من الضرائب سيؤدي إلى قيام الدولة بتقويم الممتلكات الدينية مما يعني تدخلاً حكومياً في الشؤون الداخلية للكنيسة[13].

وهكذا يبدو لنا أن الفصل بين الكنيسة والدولة هو محصلة عوامل نفسية وثقافية وتاريخية وحضارية متعددة، وأن الصراع الذي ثار ويثور حول الحدود بين سلطة الكنيسة وسلطة الدولة قد تم حسمه نظرياً في صلب الدستور الأمريكي. ومن الواضح «أن الفصل كان مقصوداً به حماية الدين من الدولة، والتحريم عليها أن تتدخل في

(١٠) المصدر نفسه، ص ٩١٨.
(١١) المصدر نفسه، ص ٩١٨.
(١٢) المصدر نفسه، ص ٩٢٥.
(١٣) المصدر نفسه، ص ٩٢٥.

شؤونه»[14]. ولكن كلما قويت شوكة الدولة ومعها ما يساندها من تيارات علمانية في المجتمع، أخذت بيدها زمام تطبيق المبدأ على الوجه الذي يحظر على الكنيسة أن تتدخل في شؤون الدولة.

وفي المقابل، فإن مكان الصدارة يميل إلى مصلحة الكنيسة حينما تكون في الدولة قوى ومؤسسات مؤثرة ذات نزعة دينية وقبول عام بالدين وبخاصة في مؤسسة رئاسة الجمهورية مثلما كان الحال مع الرئيس الجمهوري المحافظ رونالد ريغان.

ورغم الاعتراف بمبدأ فصل الكنيسة عن الدولة، فإن هذا الفصل لم يؤدِ إلى فصل الدين عن السياسة. كما أن تأثير الدين في الحياة الأمريكية امتد ليمتزج بالتعليم والطب والأعمال والفنون والسياسة. وليس ثمة شيء ينجو من قبضته، وإن جميع الجهود التي تبذل لعزل ناحية من نواحي الحياة عن الكنيسة ونفوذها قد ذهبت هباء، «فعن طريق الدين يمكن القيام بكل شيء»[15].

وفي اعتقادنا أن الموقف الأمريكي من اسرائيل هو نموذج واضح ومميز لاختلاط الدين بالسياسة. وقد أدى هذا الخلط إلى وجود نوع من الانفعالية الدينية الباطنة التي تدخل في صلب البيانات والتصريحات التي يلقيها القادة السياسيون والزعماء المدنيون، فقد درجوا على استخدام رموز خطابية تستقى عادة من العهد القديم من التوراة، الذي يدور في غالبيته حول تاريخ اسرائيل ومستقبلها.

ولم تعد كلمة «اسرائيل» مجرد اصطلاح سياسي، بل أضحت أيضاً رمزاً خطابياً دينياً. ولهذا الرمز دور مهم في ثقافة الأمريكيين وعقول السياسيين، وبخاصة أن الدولة والكنيسة المنظّمة قد دخلتا في ميثاق محدد عملي للغاية تنبع جذوره من تفهّم للدور الذي تلعبه الخطابية العامة في عقول المواطنين، وعن العامل المؤثر الذي يمكن أن يكون للخطابات الرسمية على حياتهم[16].

وباستخدام دين الكيان الأمريكي السياسي لأسلوب الخطاب الديني والمدني القائم على تراث المسيحية واليهودية، فقد برز نوع من الدين الشبحي[17] لنشاط الشعب الجماعي، وهذا هو الدين المدني (Civil Religion) في الولايات المتحدة

(١٤) عصمت سيف الدولة، **عن العروبة والاسلام**، سلسلة الثقافة القومية؛ ٢ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٦)، ص ٢١٥.
(١٥) Herbert N. Schneider, *Religion in Twentieth Century America* (Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1952), p. 58.
(١٦) Roderick P. Hart, *The Political Pulpit* (Lafayette, Ind.: Purdue University Press, 1977), p. 85.
(١٧) Robert N. Bellah, «Civil Religion in America,» *Daedalus* (Winter 1967), pp. 3-7.

الأمريكية، الذي تشمل مكوناته الايمان بنظام المذاهب الثلاثة: البروتستانتية والكاثوليكية واليهودية[18].

ومن هنا، فإن التفسير المقنع لدينا لما يردده السياسيون الأمريكيون بوجه خاص حول «الالتزام الأدبي ـ الأخلاقي» (Moral Commitment) بدعم اسرائيل، والذي لا يستعمل لأية دولة صديقة أخرى للولايات المتحدة الأمريكية سوى اسرائيل، انما هو تأكيد على أن ديانة هذه البلاد هي في جذورها ديانة توراتية، وُضعت شروحها في قوالب عبرانية. وبالتالي فإن استخدام الرموز الدينية الخطابية (Rhetorical Symbols) مثل أدبي، وأخلاقي، والتراث المسيحي اليهودي المشترك، واسرائيل، والأرض الموعودة. . . الخ عند السياسيين الأمريكيين وبعض العامة يهدف إلى القفز على الحائط الفاصل بين الدين والدولة، ويسد الفجوة بين المجالين الديني والسياسي في المجتمع الأمريكي.

وقبل معرفة دور الكنيسة وتحليله في الحياة الأمريكية، ومدى تأثيرها في الثقافة العامة والسياسات العامة في الولايات المتحدة الأمريكية، تجدر الاشارة إلى أن الكنيسة الأمريكية مختلفة عما هي عليه في أوروبا. ففي الولايات المتحدة الأمريكية ترتدي الكنيسة كساء من نسيج وزخرفة أمريكيين[19]؛ فمثلما يوصف الأمريكي بأنه في حالة تغيّر واصلاح مستمرة[20]، فالكنيسة كذلك أيضاً. وفي جو الحرية العامة وفي مجتمع متعدد المذاهب كالمجتمع الأمريكي، تجد الكنيسة نفسها أكثر انطلاقاً في التعبير عن نفسها في قضايا المجتمع المختلفة. كما أنها تستخدم الأساليب والوسائل نفسها التي تستخدمها المنظمات والمؤسسات غير الدينية للتأثير على السياسات العامة، وبخاصة ممارسة الأساليب المسماة بممارسة الضغط (Lobbying) في اتجاه القوى صانعة القرار في المجتمع الأمريكي، فضلاً عن اتخاذ المواقف واطلاق الأحكام من خلال أدوات النشر الدينية وغير الدينية وأجهزة الإعلام المتنوعة. وكذلك من خلال الأعضاء المنتسبين إليها أو المشاركين في أنشطتها المتعددة. وتستخدم كذلك وسائل استطلاع الرأي ذات التأثير الكبير في مسار القضايا الداخلية والخارجية.

وقد ملكت في العقدين الأخيرين وأدارت أحدث أدوات الاتصال الجماهيري، من محطات مرئية ومسموعة. واستخدمت الحاسوب في أعمالها. وصارت لها مؤسساتها ولجانها وقنواتها السياسية. وقدرت ثرواتها بالمليارات. فعلى سبيل المثال تملك الكنيسة

(١٨) المصدر نفسه، ص ٣ ـ ٧.

(١٩) Sydney E. Ahlstrom, *A Religious History of the American People* (New York: Image Books, 1975), p. 39.

(٢٠) Warren Susman, *Culture as History* (New York: Pantheon Books, 1984), p. 86.

المشيخية المتحدة (The United Presbyterian) وتدير الآن أكثر من ربع مليار دولار. أما الكنيسة المنهجية المتحدة (The United Methodist) فإنها تملك أضعاف هذا المبلغ[21].

ولا تقف الكنيسة الأمريكية في تحديد إطارها عند مجرد قادتها من رجال دين وأساتذة لاهوت واداريين ومشرفين، أو عند اتباعها ممن ينتسب إليها ويشاركها أنشطتها وصلواتها. بل هي نظام (Organism) شمولي الأغراض والنشاطات والعلاقات[22]. وصارت رسالتها الدينية غير منفصلة عن الحياة العامة. وغدت حياتها الداخلية مجتمعاً سياسياً له القوة الاجتماعية الضرورية في صنع القرار السياسي[23]. فهي تزود الناس بالمبادىء والارشادات لمساعدتهم في اتخاذ قراراتهم. ولكونها منظمة مؤسساتية (Institutional) فهي تساعد اتباعها ومستمعيها في تنمية تعاطفهم وتعاملهم مع المسائل السياسية[24] وقد بلغ مجموع أعضاء الجسم الكنسي في الولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٩٧٠ حوالى ١٣١ مليون شخص. وارتفع في عام ١٩٨٠ ليبلغ حوالى ١٣٥ مليون شخص. لكنه قفز خلال السنتين التاليتين إلى ١٣٩,٦ مليون شخص[25]. ولا تشير هذه الأرقام إلى مجرد العدد الضخم من المنتسبين إلى هذه الكنائس، بل توضح الأحجام الكبيرة لتبرعاتهم مدى أهمية الكنيسة وقدرتها على التأثير عليهم. وقد بلغ مجموع ما قدّمه الأمريكيون من تبرعات ومساهمات إلى الكنائس الأمريكية عام ١٩٨٢ حوالى ٦٠,٣٩ مليار دولار وبزيادة ١١,٧ بالمائة عما كانت عليه في عام ١٩٨١[26].

وقدّم الأفراد حوالى ٨٠ بالمائة من هذه الأموال بينما ساهمت المؤسسات والشركات والموصون بميراثهم بالنسبة الباقية[27].

وتنفق الكنائس حوالى ٤٦,٥ بالمائة من هذه الأموال على مسائل دينية، بينما تنفق الباقي على مسائل تعليمية وصحية واجتماعية وانسانية متعددة[28].

(٢١) Basheer K. Nijim, ed., *American Church Politics and the Middle East* (Massachusetts: Association of Arab-American University Graduates Inc., 1982), p. 65.

(٢٢) Richard J. Mouw, *Political Evangelism* (Michigan: William Erdmans Publishing Co., 1973), p. 37.

(٢٣) المصدر نفسه، ص ٤٢.

(٢٤) المصدر نفسه، ص ٨٤.

(٢٥) *Yearbook of American and Canadian Churches* (Nashville: Adingdon Press, 1984), p. 16.

(٢٦) *Giving USA: 1983 Annual Report* (New York: American Association of Fund-Raising Council, [n.d.]), p. 83.

(٢٧) المصدرنفسه، ص ٨٣.

(٢٨) المصدر نفسه، ص ٨٣.

وتنفق جزءاً من هذه الأموال على برامج اعلانية لتدعيم وجهات نظرها الدينية وغير الدينية. وقد بلغت قيمة الاعلانات السنوية التي دفعتها مؤسسة دينية واحدة هي «الدين في الحياة الأمريكية» (Religion in American Life) في نيويورك، في عام ١٩٨٢، حوالى ٣٢ مليون دولار[٢٩].

وتملك الكنائس وتدير عدة مئات من المعاهد والكليات والجامعات في الولايات المتحدة الأمريكية. «ففي عام ١٩٨١/١٩٨٢ بلغ عدد معاهد التعليم العالي التي لها صلة بالكنائس ١٩٧٨ معهداً، من بينها ٧٢٢ معهداً تم تنظيمها باستقلالية تامة من قبل الكنائس وبخاصة البروتستانتية منها التي ملكت أكثر من ٤٥٠ معهداً»[٣٠].

كما يبرز تأثير تصاعد دور الكنيسة وتأثيرها في المجتمع، وبخاصة مع بروز حركة الأصولية (Fundamentalist Movement)، في العقد الأخير[٣١]، في مدى اتساع نمو التعليم الديني، سواء على شكل زيادة عدد المدارس الكنسية اليومية أو في عدد التلاميذ الملتحقين بها. ففي عام ١٩٥٤/١٩٥٥ «كان عدد المدارس الدينية اليومية لا يزيد عن ١٢٣ مدرسة تضم ١٢ ألف تلميذ، لكن هذا العدد تضاعف مئات المرات في عام ١٩٨٠ ليبلغ عدد المدارس الدينية ١٨ ألف مدرسة تضم أكثر من مليوني تلميذ»[٣٢].

ومن أوائل الجامعات الشهيرة التي أسستها الكنيسة الأمريكية بهدف توفير التعليم الديني، جامعة هارفارد في عام ١٦٣٦، وكذلك جامعة ييل (Yale) في عام ١٧١٠ التي أسست بهدف توفير «تعليم حر وديني في الولايات المتحدة الأمريكية»[٣٣].

ومن بين الجامعات المهمة ذات العلاقة بالكنائس الأمريكية، الجامعة الأمريكية وجامعة جورج تاون والجامعة الكاثوليكية، وكلها في واشنطن العاصمة، وكذلك جامعتا ديتون وبيلور في ولاية تكساس، وجامعة إموري في مدينة اتلانتا، وكلية بوسطن، وجامعة دنفر في كولورادو، وجامعة ديوك في كارولينا الشمالية... الخ[٣٤].

ويقول استطلاع غالوب في عام ١٩٨٣ «إن ٦٢ بالمائة من الأمريكيين يثقون في

---

(٢٩) *Yearbook of American and Canadian Churches*, p. 17.

(٣٠) المصدر نفسه، ص ١٩٨ ـ ٢٠٩.

(٣١) أخذت الأصولية اسمها لأول مرة من المطبوعة المسماة «The Fundamentalist» التي صدرت في الفترة منذ ١٩٠٩ ـ ١٩١٩، وقد نشر فيها معهد التوراة في لوس انجلوس عام ١٩١٧ مقالاً كتبه القس توري (Torrey) حيث رأى في التحديث والعلمانية خطراً يهدّد الرسالة التاريخية للكنيسة.

(٣٢) Jerry Falwell, *The Fundamentalist Phenomenon: The Resurgence of Conservative Christianity* (New York: Doubleday, 1981), p. 19.

(٣٣) المصدر نفسه، ص ٢٠.

(٣٤) المصدر نفسه، ص ٦١.

الكنيسة المنظمة (Organized Religion)، بينما ثقتهم في التعليم العام الحكومي والمؤسسات الاجتماعية لا تزيد عن ٣٩ بالمائة»[٣٥]. ويؤكد الاستطلاع، «ان الدين صار عند الأمريكيين أكثر قدرة من العلم على الاجابة عن مشاكل العالم»[٣٦]. وقد تجسّد ذلك في زيادة عدد المهتمين بدراسة التوراة وفي عدد الفصول التعليمية الدينية، وفي زيادة عدد طلبة الجامعات الذين يلتحقون بالكنيسة للصلاة فيها، حيث بلغت النسبة ٣٩ بالمائة مقارنة بعام ١٩٧٥ حين كانت النسبة ٣٤ بالمائة[٣٧].

وانتخبت الولايات المتحدة الأمريكية في العقد الأخير رئيسين لها يؤمنان بأهمية الدين في المجتمع الأمريكي. فالرئيس كارتر أعلن عام ١٩٧٦ عن شعاره وايمانه بعقيدة الولادة ثانية كمسيحي (Born Again). وبحلول عام ١٩٨٠ كان ثلاثة من المرشحين لرئاسة الجمهورية يرفعون الشعار نفسه. وفي ٢٣ تموز/ اغسطس ١٩٨٤ عبّر الرئيس ريغان في خطاب له في مدينة تكساس عن ايمانه بدور الدين في المجتمع الأمريكي، رغم الاعتراف بمبدأ الفصل بين الدين والدولة. ومما جاء في خطابه: «يلعب الدين دوراً حاسماً في الحياة السياسية لأمتنا»[٣٨].

وكان واضحاً أن مسألة الدين قد احتلت الصدارة في مناقشات الحملات الانتخابية لعام ١٩٨٤، سواء على شكل التغطية الصحافية أو التعليقات الاعلامية، أو في تأثير ذلك على المجتمع نفسه. وقد سجلت إحصاءات صناعة الكتب الأمريكية أكبر ظاهرة في شراء الكتب الدينية. ففي عام ١٩٧٩ شكلت مبيعات الكتب الدينية أكثر من ثلث مجمل سوق مبيعات الكتب[٣٩] «وبيع في عام ١٩٨٤ من الكتب الدينية بحوالى مليار دولار دفع ثمنها حوالى ٣٧ مليون مشترٍ»[٤٠].

واحتلت صور نجوم البرامج الدينية المسموعة والمرئية أمثال بيلي غراهام (Billy Graham) وجيري فولويل (Jerry Falwell)، صفحات أبرز المجلات الأسبوعية وأغلفتها. «وصارت برامجهم الدينية تشدّ المشاهدين أكثر مما تشدهم البرامج والأحداث الرياضية المشهورة والمهرجانات الفنية. وصار الدين مسيطراً على الثقافة الأمريكية»[٤١] فملكت البرامج الدينية، وبخاصة برامج الكنيسة المرئية (Electric Church) «عقول وقلوب وجيوب

---

(٣٥) المصدر نفسه، ص ٢٧٣.

(٣٦) المصدر نفسه، ص ٢٨٤.

(٣٧) المصدر نفسه، ص ٢٨٥.

(٣٨) *Christian Century* (19 December 1984), p. 187.

(٣٩) Jeremy Rifkin and Ted Howard, *The Emerging Order: God in the Age of Scarcity* (New York: Putnam Sons, 1977), p. 97.

(٤٠) *Christianity Today* (17 January 1986).

(٤١) المصدر نفسه، ص ١٩.

الأمريكيين»[٤٢]. وغدت هذه البرامج الدينية صناعة مزدهرة، وخلقت الآلاف من الوظائف والمئات من ملايين الدولارات. «وقدرت نسبة الأمريكيين المستمعين والمشاهدين لبرامجها المرئية والمسموعة عام ١٩٨٠ حوالى ٤٧ بالمائة من مجمل السكان»[٤٣].

ونمت عضوية الرابطة الوطنية للمذيعين الدينيين (The National Religious Broadcasters) منذ عام ١٩٧٨، وهي الرابطة التي تأسست في عام ١٩٤٤، والتي تضم في عضويتها أكثر من ٧٦ بالمائة من محطات الاذاعة والتلفزة الدينية. فبعد أن «كان عدد أعضائها عام ١٩٤٤ حوالى ٤٩ محطة، وصلت في عام ١٩٨٠ إلى ٨٠٠ محطة. وارتفع في عام ١٩٨٢ ليبلغ ألف محطة ومنظمة، تنتج برامج دينية مقروءة ومسموعة أو تدير محطات بث دينية»[٤٤].

ومن الجدير بالذكر أن هذه الرابطة قد بدأت منذ عام ١٩٨٠ في تنظيم مؤتمر سنوي لأعضائها، تتخلله «صلاة افطار» لمصلحة اسرائيل، يحضره كبار المسؤولين في الحكومة والكونغرس.

وتسيطر الحركة المسيحية الأصولية على أغلبية شبكة محطات الكنيسة المرئية والمسموعة، ويتلقى نجمان من نجومها وهما جيري فولويل وبات روبرتسون أموالاً أكثر مما يتلقاه الحزبان الرئيسيان في الولايات المتحدة الأمريكية، وهما الحزب الديمقراطي والحزب الجمهوري[٤٥].

وقد اعتبرت الحركة المسيحية الأصولية أهم ظاهرة سياسية في القرن العشرين. وتوقع لها اللاهوتي الانكليزي جيمس بار (James Barr) أن «تستمر خمسمائة عام على الأقل»[٤٦].

وهكذا تكون الكنيسة الأمريكية مؤسسة شاملة متعددة الأغراض ومتنوعة الأشكال والأساليب. فهي تمزج الدين بالتعليم بالخدمات الاجتماعية بالطب بالسياسة بالأعمال التجارية بالفن بالرحلات بالندوات بالحرب والدفاع الاستراتيجي بالموسيقى... الخ.

وبالتالي، فإن لها تأثيراً كبيراً على السياسة المعلنة من قبل الحزبين الرئيسيين في

---

(٤٢) Falwell, *The Fundamentalist Phenomenon: The Resurgence of Conservative Christianity*, p. 20.

(٤٣) المصدر نفسه، ص ١٩.

(٤٤) *Yearbook of American and Canadian Churches*, p. 15.

(٤٥) **Falwell, Ibid., p. 1.**

(٤٦) James Barr, *Fundamentalism* (Philadelphia: Westminister Press, 1977), p. 635.

الولايات المتحدة الأمريكية. وقد «كان الرئيس جيمي كارتر أحد أعضاء الطائفة الانجيلية التي تسللت إلى معظم الطوائف البروتستانتية إضافة إلى ٢٠ بالمائة من الكاثوليك الراشدين»[٤٧].

ومن الأمثلة على تأثيرها أيضاً قيامها بإعداد أول مشروع اصلاح اقتصادي في العهد الأول لرئاسة الرئيس ريغان. فقد صدر هذا المشروع عن لجنة مكونة من خمسة رجال دين من أعضاء المؤتمر الوطني للرهبان الكاثوليك، وكان المشروع موضع مناقشات واسعة النطاق في الصحافة المحلية[٤٨].

كما كانت وكالات الاغاثة التابعة للكنائس الأمريكية «تسبق جهود الادارة الأمريكية في عام ١٩٨٤ إلى تقديم الأموال والغذاء للجائعين في افريقيا»[٤٩].

ويبدي قادة الحركة المسيحية الأصولية دون مواربة، توجهاتهم للتأثير على قرارات الحكومة الأمريكية والسلطة التشريعية والحياة الأمريكية وعلى اتجاهات المجتمع. ويستخدمون وسائل متعددة في هذا السبيل، منها ممارسة الضغط الشعبي وتدريب وتعبئة وتعليم الملايين من الأمريكيين[٥٠].

وطبقاً للايديولوجيا الأمريكية والنظام الأمريكي نفسه، فإن الفكر الديني له تأثير على صانع القرار ويساهم في صياغة السياسة الخارجية بخاصة من خلال نشاطات بعثات الكنيسة الخارجية وبرامج مساعداتها الدولية وبخاصة في العالم الثالث[٥١].

وقد لعبت الكنيسة طوال التاريخ الأمريكي دوراً ما في السياسة الأمريكية. وأعطت طريقة الحياة في الولايات المتحدة الأمريكية ولنظامها «صفات مقدسة»[٥٢].

وفي العقود الأربعة الماضية، زرعت الكنيسة الأمريكية أطروحة معاداة الشيوعية في العقل الشعبي وفي فلسفة المجتمع. وكان لرفع هذا الشعار من قِبل الكنيسة صدى واسع ومؤثر في السياسات الخارجية الأمريكية.

يقول القس برايان هيهر (Bryan Hehir)، مدير قسم العدل والسلام في مؤتمر

---

(٤٧) حسن حداد، «الصهيونية المسيحية في أميركا،» **شؤون فلسطينية**، العدد ٩٣ (آب/ اغسطس ١٩٧٩)، ص ١٦٨.

(٤٨) *Christian Century* (19 December 1984), p. 187.

(٤٩) المصدر نفسه.

(٥٠) Falwell, *The Fundamentalist Phenomenon: The Resurgence of Conservative Christianity*, p. 190.

(٥١) Nijim, ed., *American Church Politics and the Middle East*, p.62.

(٥٢) المصدر نفسه، ص ٦٢.

الكاثوليك الأمريكي في ١٩٧٦/٤/٣٠ خلال ندوة حول «الكنائس الأمريكية والشرق الأوسط»: «ليست الكنائس مجرد مؤسسات رئيسية في الولايات المتحدة الأمريكية، بل هي مؤسسات اعلامية أيضاً. . . وهي ليست أحزاباً سياسية لكن دورها يأتي في تشكيل وتعبئة جمهور من الأنصار الملتزمين والمهتمين بالمسائل السياسية الخارجية»[٥٣].

وتُعتبر طوائف البروتستانت، التي تشكّل غالبية الحركة المسيحية الأصولية، من أهم الكنائس الأمريكية تأثيراً على السياسة العامة الأمريكية، ليس بسبب كثرتها العددية فقط، بل لكونها كنيسة الطبقة العليا أو ما يسمّى كنيسة (البروتستانت الانكلو سكسون البيض (White Anglo-Saxon Protestant). ويحرص الرؤساء الأمريكيون على الاجتماع بقياداتها والالتحاق بعضويتها، مثلما فعل الرئيس الأمريكي الأسبق ايزنهاور حينما انتخب رئيساً. فقد سارع إلى الالتحاق بكنيسة معمدانية لمزيد من التعبئة الجماهيرية حوله[٥٤].

وقد حرصت هذه الكنائس في السنوات الأخيرة على بذل مزيد من النشاط للانخراط في العمل السياسي. فأسست مكاتب لها في العاصمة الأمريكية، قريباً من مراكز صنع القرار. وزودت هذه المكاتب بالمختصين الاقتصاديين والسياسيين ورجال العلاقات العامة[٥٥].

ورغم أن اسرائيل في السياسة الخارجية لا تعدو ظاهرياً كونها مسألة سياسية أو علمانية، إلا أنها عند الكنيسة ذات طابع مميّز. فاسرائيل تقع في الأرض المسيحية المقدسة. وهي الأرض التي وُلد فيها السيد المسيح عليه السلام. وجرت عليها الأحداث الدينية المسيحية. واسرائيل أيضاً معلنة كدولة للشعب اليهودي، الذي هو عند معظم الكنائس البروتستانتية «شعب الله المختار»، وأن فلسطين هي «الأرض الموعودة»، من أجل ذلك، ولأسباب لاهوتية متنوعة أخرى، فإن «أغلب الكنائس الأمريكية تجد نفسها غير قادرة أو غير راغبة في التزام الصمت تجاه المسائل المتعلقة باسرائيل»[٥٦].

ويختلف مدى التعامل مع هذه المسائل من كنيسة إلى أخرى، ومن طائفة إلى أخرى. كما أن مدى التزام أتباع الكنيسة بموقفها من هذه المسائل، يختلف من كنيسة إلى أخرى أيضاً.

---

(٥٣) المصدر نفسه، ص ١٠٣.

(٥٤) المصدر نفسه، ص ٦٤.

(٥٥) Thomas Wiley, *American Christianity: The Jewish State and the Arab-Israeli Conflict* (Washington, D.C.: Georgetown University, Center for Contemporary Arab Studies, 1983), p. 3.

(٥٦) المصدر نفسه، ص ٢.

فالمنظمات الكنسية الكاثوليكية ومؤتمراتها هي أكثر الكنائس اهتماماً بالمشاكل الدولية. وبخاصة بعد توجيهات البابا يوحنا الثالث والعشرين في عام ١٩٦٣، «ومطالبته أتباعه بممارسة أدوار نشطة في تخفيف التوتر الدولي»[٥٧] كما أن مواقفها هي أكثر إلزاماً لأعضائها واتباعها بسبب كونها كنيسة موحدة. أما المنظمات الكنسية البروتستانتية، ولأنها متعددة الطوائف، فقد عكست هذه التعددية في مواقفها، كما أنها في فلسفتها أقلّ الزاماً لأتباعها بهذه المواقف[٥٨].

ويتخذ قادة الكنائس ومنظماتها عادة مواقف وسياسات قد لا تكون مفهومة تماماً من قِبل أعضاء هذه المجموعات وأتباعها. ومن هنا تنجم خطورة هذه الآراء والمواقف. فالقادة هم الذين يقررون كيفية صرف الأموال وتدريب الأجيال القادمة واعلان السياسات وكتابة المقالات وتوجيه البعثات الكنسية المكثفة في الشرق الأوسط والعالم الثالث بشكل عام[٥٩].

وهكذا فإن بروز الحركة المسيحية الأصولية من داخل الكنيسة الأمريكية، بما لها من تأثير في السياسة العامة الأمريكية، جاء «كعامل جديد مهم في السياسة الأمريكية ولخدمة المصالح اليهودية»[٦٠].

فالاتجاهات الصهيونية داخل الحركة المسيحية الأصولية متأصلة لاهوتياً. وقد تبلورت بعد قيام اسرائيل وانتصارها في حرب حزيران/ يونيو ١٩٦٧. وصارت أكثر بروزاً، وتجسدت في عدد كبير من المنظمات والقوى الضاغطة، التي مارست التأثير والضغوط لمصلحة اسرائيل، وقدمت الدعم المادي والمعنوي والسياسي والاعلامي والاقتصادي لها حسب ما سنبيّنه في الفصول التالية.

وتبرز كذلك أهمية الكنيسة في المجتمع المدني والمؤسسي الأمريكي لكون ديانتها المدنية في أكثر اعتباراتها ديانة توراتية، في كثرة استعمال الرموز الخطابية التوراتية في العمل السياسي الأمريكي، وبخاصة ما يردده دوماً زعماء من الادارات الأمريكية المتعاقبة حول الالتزام الأدبي والأخلاقي الأمريكي بدعم اسرائيل.

فقادة الحركة المسيحية الأصولية يؤمنون بأن لليهود حقاً تاريخياً ولاهوتياً وقانونياً في الأرض المسماة اسرائيل. . . وان الله يتعامل مع الأمم حسبما تتعامل هذه الأمم مع

---

(٥٧) المصدر نفسه، ص ٢.

(٥٨) المصدر نفسه، ص ٢.

(٥٩) Nijim, ed., *American Church Politics and the Middle East* p. 65.

(٦٠) *Commentary* (July 1984).

اسرائيل . . . وأن الوقوف ضد اسرائيل هو وقوف ضد الله[٦١].

وقد انعكس تأثير الحركة المسيحية الأصولية على الرئيس ريغان نفسه، فتحدث بعبارات توراتية عن اسرائيل وحقوقها التاريخية في فلسطين. وعبّر عن ايمانه باقتراب نهاية العالم، وحدوث معركة بين الشر والخير (هرمجدّون)، مشيراً إلى دور اسرائيل في هذه المعركة واقتراب العودة الثانية للمسيح المخلّص[٦٢].

وقد أدى تأثير الكنيسة المسيحية الأصولية في الثقافة العامة للأمريكيين إلى تصوير الصراع العربي ـ الاسرائيلي في الخيال العام الأمريكي وثقافته على أنه امتداد للصراع التوراتي بين داود وجليات (David & Goliath). فاسرائيل الفقيرة الصغيرة، هي داود الذي انتصر على العرب الأغنياء الأقوياء ـ جليات. ونادراً ما ذُكر اسم اسرائيل في البيانات الرسمية والصحافة دون وصفها بالصغيرة والفقيرة والمحاصرة. . . الخ.

وقد شكلت التوراة، نتيجة لذلك، «مصدراً للإيمان العام في التقاليد الأمريكية، وقوة مهمة في طموحه الوطني وأساساً في التوجهات الأخلاقية للشخصية والصفة الأمريكية»[٦٣].

ولم تعد صورة الصراع العربي ـ الاسرائيلي، نتيجة قوة تأثير الصهيونية المترسخة في شروحات البروتستانتية، منعكسة على شكل تخيلات توراتية في فكر المسيحية الأصولية المعاصرة وحركتها فحسب، بل تعدّتها إلى عقول من هم من غير أعضاء هذه الكنيسة وحركتها المنظمة وتصرّفاتهم.

فقد تحدّث الرئيس الأمريكي كارتر أمام الكنيست الاسرائيلي في آذار/ مارس ١٩٧٩ قائلاً: «لقد آمن سبعة رؤساء أمريكيين وجسدوا هذا الإيمان، بأن علاقات الولايات المتحدة الأمريكية مع اسرائيل هي أكثر من علاقة خاصة، بل هي علاقة فريدة، لأنها متجذرة في ضمير وأخلاق ودين ومعتقدات الشعب الأمريكي نفسه. . . لقد شكّل اسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية مهاجرون طليعيون، ونحن نتقاسم تراث التوراة»[٦٤].

ويؤكد بريجنسكي، مستشار الرئيس جيمي كارتر لشؤون الأمن القومي، أن

---

(٦١) Falwell, *The Fundamentalist Phenomenon: The Resurgence of Conservative Christianity*, p. 215.
وتتردد مثل هذه المعاني في معظم برامج ومنشورات المسيحية الأصولية بخاصة في برامجها المرئية والمسموعة.

(٦٢) *New York Times* (24 October 1984).

(٦٣) Fayez Sayegh, *Zionist Propaganda in the U.S.A.* (New York: The Sayegh Foundation, 1983), p. 17.

(٦٤) المصدر نفسه، ص ١٣٥.

«العلاقات الأمريكية ـ الاسرائيلية هي علاقات حميمة مبنية على التراث التاريخي والروحي»[٦٥].

ويكتب أحد المحررين الأمريكيين عن انتصار «داود الصغير على جليات العربي في عام ١٩٦٧»[٦٦].

وهكذا تنعكس لغة وصور وقصص التوراة على شكل مواقف وأدوار، تتجسد فيها الاتجاهات الصهيونية لدى الأوساط التي تنتمي إلى أو تتأثر بفكر وتوجهات المسيحية الأصولية وحركتها الصهيونية المعاصرة.

وقد تحدّث النائب السابق بول فندلي (Paul Findly) عن الصهيونية المسيحية في الولايات المتحدة الأمريكية، وكيف تعمل على التأثير على الطوائف المسيحية المختلفة، وعلى السياسيين الأمريكيين لاتخاذ مواقف مؤيدة لاسرائيل، وتصوير اسرائيل القرن العشرين على أنها هي اسرائيل التوراة، وتدعو إلى بذل الجهود في حملات متواصلة لتضييق حرية الكلام عن الشرق الأوسط وسياسة الولايات المتحدة الأمريكية فيه.

وينقل النائب السابق بول فندلي في كتابه **رجال تحدّوا الصمت** (They Dare to Speak Out) حديثاً للسناتور روجر جيبسون في عام ١٩٨١ أمام مؤتمر صهيوني حول تأييده الدائم لاسرائيل بسبب دينه المسيحي. . . وان المسيحيين وبخاصة الانجيليين هم من أفضل أصدقاء اسرائيل منذ ولادتها عام ١٩٤٨[٦٧].

ويكشف هذا السناتور عن هوية صهيونية غامضة له، عندما يشير إلى أسباب البركة في الولايات المتحدة الأمريكية فيقول: «لأننا أكرمنا اليهود الذين لجأوا إلى هذه البلاد، وبورك فينا لأننا دافعنا عن اسرائيل بانتظام، وبورك فينا لأننا اعترفنا بحق اسرائيل في الأرض»[٦٨].

ومن هنا يتضح أن جذور الدين في الولايات المتحدة الأمريكية عبرانية. وقد وُضعت تفسيراته وبخاصة لدى الطوائف البروتستانتية في قوالب عبرانية مثل الشعب المختار، الأمة المفضلة، الأرض الموعودة[٦٩].

وهكذا يمكن تفسير جذور النزعة المتحيزة لاسرائيل في الولايات المتحدة

---

(٦٥) عبد الحكيم طاهر، **كارتر والتسوية في الشرق الأوسط** (بيروت: دار ابن خلدون، ١٩٧٧)، ص ٤٥.

(٦٦) William R. Hearst, «David and Juliath,» *Los Angeles Herald-Examiner* (24 March 1971).

(٦٧) Paul Findley, *They Dare to Speak Out: People and Institutions Confront Israel's Lobby* (Westport, Conn.: Lawrence Hill and Co., 1985), p. 239.

(٦٨) المصدر نفسه، ص ٢٤٠.

(٦٩) Hudson Winthrop, *Religion in America* (New York: Scribner's Sons, 1973), p. 112.

الأمريكية، فضلاً عن تفسير ما يردده السياسيون الأمريكيون حول كون التزام الولايات المتحدة الأمريكية بدعم اسرائيل التزاماً أدبياً أو أخلاقياً.

وباختصار، يمكن القول إن تأثير الكنيسة على الحياة الأمريكية كبير. فالدين في المجتمع الأمريكي يمتزج بكل شيء، ومن خلاله يمكن القيام بكل شيء[٧٠].

ثانياً: أثر حرب حزيران/ يونيو ١٩٦٧ في إحياء صهيونية الحركة المسيحية الأصولية

كانت سعادة المسيحيين الأصوليين في الولايات المتحدة الأمريكية بلا حدود لقيام اسرائيل عام ١٩٤٨، واعتبروا هذا الحدث «أعظم حدث في التاريخ الحديث ودليلاً على أن نبوءات التوراة صارت حقيقة»[٧١]. فطبقاً لإيمان هؤلاء، ومعظمهم من الذين يؤمنون بأن التوراة تنبأت بنهاية العالم وإحلال مملكة جديدة بعد العودة الثانية للمسيح، فإنه من الضروري تجميع اليهود في الأرض المقدسة قبل عودة المسيح، وبمعنى آخر فإن نهاية العالم لا تتم إلا بعد تأسيس اسرائيل جديدة[٧٢]. وهكذا صاروا بانتظار تتابع التطورات التالية لهذا التأسيس حسب ما سمّوه «الخطة الإلهية»[٧٣].

وقد أصيب المسيحيون الأصوليون إثر تأسيس اسرائيل عام ١٩٤٨ ببعض القلق والانزعاج، حينما علموا أن معظم قادة اسرائيل المؤسسين كانوا علمانيين ولا يستجيبون للتنصير، وأنهم أعضاء في حزب العمل الذي له روابط وثيقة مع الاشتراكية الدولية المرفوضة من قبل الكنائس الأمريكية، فضلاً عن أن وجهات نظر قادة اسرائيل المعلنة حول تجربة المستوطنات الاسرائيلية كانت ذات صبغة متحررة[٧٤]. لكن الحركة المسيحية الأصولية كانت واثقة من امكانية تنصير اليهود، فور عودة المسيح الثانية، وإلا فإن مصير اليهود هو الهلاك[٧٥].

وجاءت حرب حزيران/ يونيو ١٩٦٧ والانتصار الاسرائيلي العسكري فيها، وما نتج عنه من احتلال لبقية أرض فلسطين وبخاصة مدينة القدس، اضافة إلى أراضٍ عربية أخرى لتشكل نقطة تحوّل مهمة في تعميق الاتجاهات الصهيونية في

(٧٠) Schneider, *Religion in Twentieth Century America,* p. 58.

(٧١) Routh W. Mouly, «Israel: Darling of the Religious Right,» *Humanist Magazine* (May 1982), p. 6.

(٧٢) المصدر نفسه، ص ٦.

(٧٣) المصدر نفسه، ص ٧.

(٧٤) المصدر نفسه، ص ٧.

(٧٥) المصدر نفسه، ص ٨.

الحركة المسيحية الأصولية، وتوثيق علاقات تعاون بينها وبين المنظمات الصهيونية اليهودية من جهة، وبين اسرائيل من جهة أخرى.

وقد كان هذا الانتصار العسكري الاسرائيلي، أكثر أهمية عند الصهيونية المسيحية من تأسيس الدولة اليهودية في عام ١٩٤٨، فقد رأت فيه، وخاصة احتلال اسرائيل للقدس كاملة، «تحقيقاً للنبوءة التوراتية واشارة لاقتراب نهاية الأزمنة»[٧٦].

وامتدح المسيحيون الأصوليون بكل طوائفهم هذا النصر الاسرائيلي، فكتب محرر مجلة «المسيحية اليوم» (Christianity Today) يقول: «لأول مرة منذ أكثر من ألفي عام فإن القدس الآن كاملة بأيدي اليهود، مما يعطي لدارس التوراة ايماناً عميقاً ومتجدداً في صحتها وصلاحيتها»[٧٧].

وقد جسّد هذا الرأي التيار العام البروتستانتي، ورأت الحركة المسيحية الأصولية في الانتصار العسكري الاسرائيلي، وفي احتلاله مدينة القدس بعثاً لحركتها ونهوضاً بها، وتجديداً للإيمان بصحة تنبوءات التوراة[٧٨].

إن القدس عندهم هي المدينة «التي سيحكم المسيح العالم منها عند قدومه الثاني»[٧٩]. وبدلاً من البحث عن تنصير الاسرائيليين، فقد أجّلت الحركة هذا الموضوع إلى حين اكتمال النبوءات التوراتية بقيام مملكة الألف عام السعيد «وصارت أكثر التزاماً بتوفير جهودها لتحقيق شرعية الدولة اليهودية وحقها في أرض اسرائيل بما في ذلك الضفة الغربية»[٨٠].

وقد نظرت الحركة من الناحية اللاهوتية إلى احتلال القدس عام ١٩٦٧ على اعتبار أنه بمثابة الخطوة قبل الأخيرة لنهاية العالم، إذ إن الخطوة الأخيرة عندها هي «اعادة بناء المعبد القديم فوق موقعه التاريخي القديم... وهو المكان نفسه الذي تقوم عليه الآن قبّة الصخرة»[٨١].

لقد قامت حرب حزيران/ يونيو ١٩٦٧ بواسطة الصهيونية المسيحية على أنها معركة بين قوى الشر والخير، وعلى أن اسرائيل الصغيرة الضعيفة، والتي هي تحقيق للنبوءة التوراتية، محاصرة ومهددة من قِبل العرب، فارتفعت صيحات قيادات المسيحية الأصولية تهاجم «صمت المسيحية عن المجزرة المتوقعة لليهود على أيدي العرب...

(٧٦) Donald E. Wagner, «A Ministry of Advocacy for Palestinian Justice within American Evangelical Christian Zionism,» (Ph. Dissertation, University of Chicago, 1984), p. 42.

(٧٧) *Christianity Today* (21 July 1967), p. 1077.

(٧٨) Wagner, Ibid., p. 43.

(٧٩) Mouly, «Israel: Darling of the Religious Right,» p. 6.

(٨٠) Ingram O. Kelly, «Christian Zionism,» *The Link* (November 1983), p. 8.

(٨١) Hal Lindsey, *The Late Great Planet Earth* (New York: Bantam Books, 1970), p. 45.

وأن الله نفسه موضع الاختبار الآن . . . وأن المسيحية تكرر صمتها ليفعل العرب باليهود ما فعلته النازية بهم في الحرب العالمية الثانية»[٨٢].

وقد أخذت الكنائس الأمريكية الرئيسية تصدر، اعتباراً من مطلع السبعينات، بيانات تضامن مع اليهود السوفيات، بما في ذلك الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية وشكلت عدة كنائس منظمات تسمى (Task Force on Soviet Jewry)[٨٣].

وقد ساعدت هذه البيانات على إحداث تقارب وتعاون سياسي مع الجماعات اليهودية الأمريكية، بخاصة بعد مشاركة منظمات صهيونية يهودية مثل اللجنة اليهودية الأمريكية في الاجتماع السنوي عام ١٩٦٩ لجمعية اللاهوت الانجيلية.

وقام مؤتمر المعمدانيين الجنوبي (Southern Baptist Convention) لأول مرة في حزيران/ يونيو ١٩٧٢ بإدانة اللاسامية واعتبارها ضد المسيحية[٨٤]، وترجع أهمية هذا المؤتمر المسيحي إلى كونه يضم ١٢ مليون عضو، وبذلك يمكن القول إن حرب حزيران/ يونيو ١٩٦٧ أحدثت تغييراً وتحولاً في العلاقات اليهودية المسيحية. ووجد اليهود الأمريكيون أن «المجتمع الانجيلي في معظمه صديق لطموحات اسرائيل»[٨٥].

برز في مطلع السبعينات أيضاً اتجاه كنسي تبنته جماعات وقيادات أصولية وانجيلية، يؤيد اعتبار «القدس مدينة موحدة تحت الحكم الاسرائيلي»[٨٦]، وقد جاء ذلك اثر انتهاء «مؤتمر القدس الدولة» حول النبوءة التوراتية، وقد أوفد هذا المؤتمر الدكتور أرنولد أولسون (Arnold Olson)، رئيس الكنيسة الحرة الانجيلية إلى اسرائيل في نيسان/ ابريل ١٩٧٣. فعاد ليبرر فيها سوء معاملة اسرائيل للبعثات المسيحية التبشيرية. وأكد «أن اسرائيل أعطت ضمانات باحترام الحرية الدينية المسيحية، وحرية البعثات التبشيرية لاذاعة آرائها»[٨٧] وكان لهذا الاعلان تأثير مهم في المجتمع الكنسي الأمريكي[٨٨].

وقد شهد النصف الأول من السبعينات ميلاً أمريكياً نحو الاهتمام بالمسائل الخلقية، والمُثل، وازدياد الانتساب إلى الكنائس، وممارسة النشاط داخلها فزادت نسبة

(٨٢) *Christian Century* (26 July 1967), p. 973.

(٨٣) Gerald S. Strober, *American Jews: Community in Crisis* (New York: Doubleday, 1974), p. 93.

(٨٤) المصدر نفسه، ص ٩٠.

(٨٥) المصدر نفسه، ص ٨٧.

(٨٦) *Washington Post* (19 July 1971).

(٨٧) Strober, Ibid., p. 89.

(٨٨) المصدر نفسه.

المتنسبين إلى الكنيسة في الفترة من عام ١٩٧٠ حتى عام ١٩٧٦ بنحو ١٧ بالمائة[٨٩]. ومن بين العوامل وراء هذا الاتجاه، ما عاناه المجتمع الأمريكي من نتائج هزيمته العسكرية والسياسية في حرب فيتنام، وفضائح ووترغيت التي أدت إلى استقالة الرئيس نكسون عام ١٩٧٤. وبدا كأن المجتمع يبحث عن قيادة سياسية تخلّصه من هذه الهزائم والفضائح. وهكذا تم في عام ١٩٧٦ انتخاب رئيس يعلن أنه ولد ثانية كمسيحي، وهو الرئيس جيمي كارتر. وجاء انتخابه كإشارة إلى أن «القوة المسيحية الانجيلية هي الآن قوة سياسية رئيسية»[٩٠].

ثالثاً: عوامل نهوض الحركة المسيحية الأصولية المعاصرة

يمكن اعتبار عام ١٩٧٦ بداية نهوض الحركة الصهيونية المسيحية كعامل سياسي رئيسي في الولايات المتحدة الأمريكية، وكعلامة فاصلة في تزايد قوة هذه الحركة وتأثيرها وعددها وامكاناتها[٩١]. فقد سجلت بداية ذلك العام حماساً سياسياً وتنظيمياً وشعبياً داعماً للصهيونية السياسية مثلما كانت في أيام وليام بلاكستون في الربع الأخير من القرن التاسع عشر[٩٢].

وأطلقت صحف كثيرة على عام ١٩٧٦ تسمية «عام الانجيليين الأصوليين». وسجل ذلك العام بداية ولادة العديد من التنظيمات والمؤسسات والبرامج السياسية والشعبية المرتبطة بشكل أو بآخر بالكنائس الانجيلية والأصولية[٩٣].

وقد ساهمت عدة عوامل في نهوض وبروز وتزايد الحركة الصهيونية المسيحية داخل الكنائس الانجيلية والأصولية اعتباراً من عام ١٩٧٦، ولعل أهم هذه العوامل ما يلي:

١ - تأثير الاحتلال الاسرائيلي لمدينة القدس في حرب حزيران/ يونيو ١٩٦٧، وانعكاس ذلك على أوساط الكنيسة الانجيلية والأصولية، مثل بروز قيادات مسيحية صهيونية، ونشر كتب واخراج أفلام سينمائية متعاطفة مع اسرائيل، وتتحدث عن

(٨٩) Falwell, *The Fundamentalist Phenomenon: The Resurgence of Conservative Christianity*, p. 17.

(٩٠) Donald E. Wagner and Hassan Haddad, eds., *All in the Name of the Bible* (Chicago, Ill.: Palestine Human Rights Campaign, 1985), p. 17.

(٩١) Wagner, «A Ministry of Advocacy for Palestinian Justice within American Evangelical Christian Zionism,» p. 44.

(٩٢) المصدر نفسه، ص ٤٤.

(٩٣) Perry D. Young, *God's Bullies* (New York: Holt, Rinehart and Winston, 1982), pp. 100-109.

الأبعاد الانسانية للحياة الاسرائيلية، كما «تؤمن بأهمية احتفاظ اسرائيل بأراضي الضفة الغربية وغزة لأسباب توراتية وأمنية»[٩٤].

ومن أبرز القيادات الدينية في السبعينات بيلي غراهام الذي أعلن في ٢ آذار/ مارس ١٩٧٣ أن هناك «علاقات خاصة بين الله والشعب اليهودي في اسرائيل»[٩٥]. وكان من أبرز أعماله الفيلم الذي كتبه وأنتجه باسم «أرض الله» (His Land) في عام ١٩٧٥، وقد اعتبرته المنظمة الصهيونية (اللجنة اليهودية الأميركية) أعظم عمل فني متعاطف مع اسرائيل منذ قيامها[٩٦]. وقدمت له نتيجة ذلك جائزة «الأديان المشتركة» لمساهمته في «دعم اسرائيل ومناصرتها»[٩٧].

وقد تم تصوير الفيلم وتمويله ومساعدته فنياً في اسرائيل ومن قبل حكومتها. ويشير الفيلم إلى وعد الله لبني اسرائيل في أرض فلسطين. وقدّم صورة زاهية عن بناء المدن وتعمير الصحارى دون التطرق لإبعاد الصراع العربي ـ الاسرائيلي أو جذوره السياسية والتاريخية[٩٨]. واعتبر الفيلم أول تفسير للأمريكيين عن إنشاء اسرائيل، وأهم بيان مسيحي ايجابي حولها. وقدم تفسيرات بسيطة للغاية يسهل على الأمريكي تقبّلها وفهمها. وقد شاهده أكثر من ٢٠ مليون أمريكي[٩٩].

ومن الكتب المهمة والواسعة الانتشار، والمتبنية للاتجاهات الصهيونية التي أُعيد نشرها في مطلع السبعينات كتاب **دراما نهاية الزمن** (Drama of the End-Time) وقد كتبه أورال روبرتس (Oral Roberts) وفيه تأييد لإسرائيل، حيث رأى أن «شعب الله القديم يؤسس الآن امبراطوريته»[١٠٠].

كما أصدر هال ليندسي (Hal Lindsey) كتاباً حوله أيضاً إلى فيلم سينمائي، وسماه **كوكب الأرض العظيم الراحل** (The Late Great Planet Earth). وقد باع أكثر من ١٥ مليون نسخة منذ نشره لأول مرة في عام ١٩٧٠. ويركز فيه على أن أهم اشارة لنهاية التاريخ وعودة المسيح الثانية هي عودة اليهود إلى أرض اسرائيل بعد آلاف من السنين[١٠١] كما أشار فيه إلى أن «الاتحاد السوفياتي هو ياجوج (Gog) الذي

(٩٤) Strober, *American Jews: Community in Crisis*, p. 90.
(٩٥) المصدر نفسه، ص ١١٠.
(٩٦) *Christianity Today* (18 November 1977), p. 49.
(٩٧) Mouly, «Israel: Darling of the Religious Right,» p. 104.
(٩٨) Wagner and Haddad, eds., *All in the Name of the Bible*, p. 44.
(٩٩) Strober, *American Jews: Community in Crisis*, p. 90.
(١٠٠) Oral Roberts, *The Drama of the End-Time* (New York: Oral Press, 1973), p. 182.
(١٠١) Lindsey, *The Late Great Planet Earth*, p. 38.

يتعاون معه العرب وحلفاؤهم لمهاجمة اسرائيل»[١٠٢]. ويؤكد على أن «قوة اسرائيل العسكرية ستنتصر على قوى الشر، تمهيداً للقدوم الثاني للمسيح المنقذ بعد معركة هَرمجدُّون (الموضع الذي ستجري فيه المعركة الفاصلة بين قوى الخير وقوى الشر)، (Armageddon) في سهل المجدل في فلسطين»[١٠٣].

٢ ـ وصول الرئيس الأمريكي جيمي كارتر إلى الحكم في الولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٩٧٦، واعلانه بأنه وُلد ثانية كمسيحي، وكما يقول عنه القس بيلي غراهام: «يذهب الرئيس كل يوم أحد إلى الكنيسة، ويقرأ وزوجه فصولاً من التوراة قبل النوم، ولا يشرب الكحول في البيت الأبيض»[١٠٤].

وقد ذكر الرئيس كارتر في بيانه الانتخابي أن «تأسيس اسرائيل المعاصرة هو تحقيق للنبوءة التوراتية»[١٠٥].

ومثلما كان الدين عاملاً قوياً في نجاح الرئيس كارتر في الوصول إلى البيت الأبيض، فإنه كان عاملاً قوياً أيضاً في فشله عام ١٩٨٠ لإعادة انتخابه، وفي ذلك قال كارتر: «لقد كان جيري فولويل (وهو أحد زعماء الصهيونية المسيحية) عاملاً في هزيمتي الانتخابية، وكان له تأثير كبير في انتخابات الرئاسة عام ١٩٨٠، وبخاصة في الساحل الغربي وواشنطن العاصمة، وأوريغون، وربما في كاليفورنيا أيضاً»[١٠٦].

وقد قادت جماعات دينية نشطة في عام ١٩٨٠ مثل «جماعة صوت المسيحية» و«صندوق الحكومة الأخلاقي» (Government Fundmoral) حملة دعائية واسعة ضد الرئيس كارتر، بدأت بإعلان في الصحف الأمريكية يقول: «أعطت الملايين من المسيحيين في عام ١٩٧٦ للرئيس كارتر النصر أما الآن فقد اختلفت الأمور، فالرئيس كارتر خان المجتمع المسيحي في مسائل الصلاة في المدارس، ومنع الاجهاض... وان الرئيس ريغان سوف يفوز بأصوات أغلبية الصحوة المسيحية الجديدة»[١٠٧].

لقد سجل الرئيس كارتر في أثناء عهده من عام ١٩٧٦ حتى عام ١٩٨٠ انجازات كبيرة لمصلحة اسرائيل والحركة الصهيونية وعبّرت مواقفه عن إيمان لاهوتي باسرائيل وبالتزام بدعمها إلى الأبد[١٠٨].

(١٠٢) المصدر نفسه، ص ١٥٠.
(١٠٣) Young, *God's Bullies*, p. 19.
(١٠٤) *Religious News Service* (4 October 1976), p. 17.
(١٠٥) *Parade Magazine* (19 July 1981).
(١٠٦) المصدر نفسه.
(١٠٧) Young, *God's Bullies*, p. 36.
(١٠٨) Leon H. Chatney, *Special Council* (New York: Philosophical Library, 1984), p. 212.

وقد عبّرت الجماعة اليهودية الأمريكية عن سعادتها حينما أعلن الرئيس كارتر عن ادانته لمن يتهم اليهود بقتل المسيح بـ «اللاسامية». وقال مدير الشؤون الدينية في المنظمة الصهيونية المسماة اللجنة اليهودية الأمريكية: «لأول مرة في تاريخ الرؤساء الأمريكيين، يُصدر رئيس أمريكي اعلاناً مباشراً عن قضية مجحفة ضد اليهود، ولها جذور دينية تاريخية تقليدية»[١٠٩].

كانت انجازات عهد الرئيس كارتر لمصلحة اسرائيل كثيرة وكان من أهمها: دوره المباشر في اتفاقات كامب ديفيد الموقعة بين جمهورية مصر العربية واسرائيل في أيلول/ سبتمبر ١٩٧٨، وتزويده اسرائيل بمساعدات عسكرية واقتصادية أكثر من أي رئيس أمريكي قبله... فقد تسلمت اسرائيل في عهده ١٠ مليارات دولار، وهي حوالى نصف ما تسلمته طوال تاريخها[١١٠] وكان أول رئيس أمريكي يؤسس لجنة رئاسية لموضوع الهولوكوست أو حرق اليهود في العهد النازي تسمى (President's Commission on the Holocaust) في عام ١٩٧٨. كما كان أول رئيس أمريكي يضغط باتجاه فرض قانون أمريكي لمناهضة أنظمة المقاطعة العربية لاسرائيل في عام ١٩٧٧، بعد أن رفض كل من الرئيسين الأسبقين نكسون وفورد مواجهة المقاطعة العربية لاسرائيل[١١١].

وما لا شك فيه أن المعتقدات التوراتية التي آمن بها الرئيس جيمي كارتر كانت من بين العوامل المهمة التي شكلت سياسته الخارجية تجاه الصراع العربي - الاسرائيلي، وساهمت في توفير المناخ لنهوض الحركة الصهيونية المسيحية المعاصرة.

فالرئيس كارتر يؤمن بالعلاقات الخاصة المبنية على التراث المشترك والالتزام المشترك بالقيم والأخلاق الديمقراطية بين الولايات المتحدة الأمريكية واسرائيل، وبأنه لن يكون هناك ما يسمّى إعادة تقدير للموقف الأمريكي من دعم اسرائيل، وأن العلاقة الخاصة تقع ضمن المصالح الأخلاقية والاستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية[١١٢].

٣ - تولى مناحيم بيغن رئاسة وزراء اسرائيل في عام ١٩٧٧. وقد أعطى ذلك المشروعية للتطرف الديني، ولاستخدام الاشارات والتعابير التوراتية لتبرير استراتيجيات الصهيونية.

(١٠٩) المصدر نفسه، ص ٢٠٠.
(١١٠) المصدر نفسه، ص ٢٠٩.
(١١١) المصدر نفسه، ص ٢٠٤.
(١١٢) المصدر نفسه، ص ٢١١.

ففي بيان صادر باسمه في أوسلو في كانون الأول/ ديسمبر ١٩٧٨ قال مناحيم بيغن: «إن هذا البلد قد وُعدنا به، ولنا الحق فيه»[١١٣]. كما تحدّث مناحيم بيغن في عام ١٩٧٨ أمام ٨٠٠ من الانجيليين المجتمعين في القدس في «المؤتمر الدولي لسلام القدس» قائلاً: «لست أخجل من تأسيس حق اسرائيل في الضفة الغربية على أساس وعود إلهية [Divine Promises]»[١١٤].

وبذلك أصبحت الشعارات التوراتية نغمة عامة في أحاديث مناحيم بيغن وخطبه. وشجع قيام علاقات قوية بين اسرائيل والحركة المسيحية الأصولية الأمريكية، كما حرص على اقامة علاقات شخصية مع قادتها، فكان يجتمع بهم عند زيارتهم لاسرائيل، كما يحرص على الاجتماع بهم في زياراته للولايات المتحدة الأمريكية. وأبرز مثل على هذه الاجتماعات ذلك اللقاء الذي عقده مناحيم بيغن أثناء زيارته للولايات المتحدة في أواخر عهد الرئيس كارتر، حينما اجتمع في بيت الضيافة الرسمي (بلير هاوس) في واشنطن العاصمة بثمانية من كبار قادة الصهيونية المسيحية، حيث تحدثوا إليه عن «القدس هي العاصمة الموحدة لاسرائيل»، وعن اسرائيل «الحصن المنيع والقوي في وجه الذين يهددون طريقتنا الديمقراطية في الحياة»[١١٥].

وقد تزامنت متانة العلاقات الاسرائيلية مع الحركة الصهيونية المسيحية مع صعود قوة هذه الحركة وصعود قوة كتلة تجمّع حزب الليكود الاسرائيلي المتطرف للحكم في اسرائيل[١١٦].

٤ - تحوّل في علاقات المنظمات الصهيونية اليهودية مع الحركة المسيحية الأصولية لتصبح هذه العلاقة معها حليفاً طبيعياً مهماً.

فقد توجهت المنظمات الصهيونية اليهودية، وبخاصة اللجنة اليهودية الأمريكية ولجنة الشؤون العامة الاسرائيلية - الأمريكية التي تعمل رسمياً كجماعة ضغط لمصلحة اسرائيل نحو الانجيليين والأصوليين، باعتبار أن المجتمع الانجيلي هو أسرع وأضخم كتلة مؤيدة لاسرائيل كانت في الولايات المتحدة الأمريكية[١١٧].

ويقول الحاخام مارك تاننباوم (M. Tannenbaum)، مدير الشؤون الدينية في

(١١٣) Roger Garaudy, *The Case of Israel: A Study of Political Zionism* (London: Shorouk International, 1983), p. 69.
(١١٤) *Religious News Service* (2 February 1978).
(١١٥) Wesley Granberg, *The Evangelical Right and Israel* (Washington, D.C.: American-Arab Anti-Discrimination Committee, 1982).
(١١٦) *Washington Post* (11 November 1984).
(١١٧) *New York Times* (6 February 1984).

اللجنة اليهودية الأمريكية ملخصاً هذا التحول في العلاقات مع الكنائس المسيحية:
لقد نشأ فراغ في الدعم العام لاسرائيل بعد أن التفّت جماعات مسيحية عديدة حول المجلس الوطني للكنائس الذي أعطى بسبب تعاطفه مع قضايا العالم الثالث، انطباعاً بدعمه لمنظمة التحرير الفلسطينية، لذلك فقد قام الأصوليون والانجيليون بملء هذا الفراغ لدعم اسرائيل [١١٨].

لقد أخذت الصهيونية اليهودية تنظر إلى البروتستانت الليبراليين كجهة لا «تستحق الوثوق بها في دعم اسرائيل»[١١٩] كما أخذت المنظمات الصهيونية تمد جسورها مع هذه الحركة المسيحية الأصولية الصاعدة سواء على شكل اجتماعات ومطارحات لترجمة الايمان اللاهوتي باسرائيل إلى «دعم سياسي صلب لسياسات اسرائيل»[١٢٠]، أو على شكل انشاء مؤسسات ولجان لتعميق علاقاتها مع الأصوليين والمجتمع الانجيلي بشكل عام[١٢١]، أو على هيئة جماعات ضغط مسيحية لصالح اسرائيل ودعم سياساتها. ولعل أبرز بداية لهذا التعاون هو الحملة الاعلامية الواسعة النطاق التي قامت بها الصهيونية المسيحية في عامي ١٩٧٦ و١٩٧٧ على شكل صفحات كاملة في أبرز الصحف الأمريكية، والتي اعتبرت أن «أية معارضة لمطالب الصهيونية في أرض فلسطين ليست مجرد معارضة لاسرائيل بل هي ضد الرب نفسه»[١٢٢].

وحينما تصاعد الحديث الدولي في عام ١٩٧٧ عن امكانية عقد مؤتمر دولي لتسوية مسألة الشرق الأوسط في جنيف، وأعلن الرئيس كارتر في صيف ذلك العام عن حاجة الفلسطينيين إلى «وطن قومي»، نشرت قيادات الصهيونية المسيحية اعلانات على امتداد صفحة كاملة في كبريات الصحف الأمريكية، تؤيد اسرائيل كوعد توراتي، وتطالب بدعم الولايات المتحدة الأمريكية لشعب الله المختار، وتنادي العالم بأن يخاطب اسرائيل قائلاً: «هذه هي أرضك يا اسرائيل والتوراة تقول بذلك، وإن أي شخص أو مجموعة أو دول تعارض الحق الإلهي لاسرائيل في فلسطين، لا تحارب اسرائيل فقط بل تحارب الله أيضاً»[١٢٣].

وقد وقّع على هذه الاعلانات ١٠٥ كنائس وتنظيم ديني مثل: المجلس الدولي للكنائس المسيحية، ولجنة العمل المسيحي الأمريكي، ومؤتمر طائفة المعمدانيين

(١١٨) Wagner and Haddad, eds., *All in the Name of the Bible*, p. 17.
(١١٩) *New York Times* (11 December 1977).
(١٢٠) Granberg, *The Evangelical Right and Israel.*
(١٢١) Wagner and Haddad, eds., *All in the Name of the Bible*, p. 17.
(١٢٢) *New York Times* (1 July 1976).
(١٢٣) *New York Times* (1 and 15 November 1977).

الجنوبية، اضافة إلى صحفيين مثل كينيث كانتزر، محرر مجلة «المسيحية اليوم»، وغيرهم من قادة الصهيونية المسيحية. ولوحظ أن هذه الاعلانات تم التنسيق بشأنها مع الحكومة الاسرائيلية خصوصاً بعد أن أجرى مناحيم بيغن، رئيس وزراء اسرائيل في ذلك الوقت، اتصالات مع بعض قادة الصهيونية المسيحية من أمثال غراهام وفولويل. كما تم تمويلها من قبل المعهد الأصولي المسمّى «معهد دراسات الأرض المقدسة في القدس» (Institute for Holyland Studies)[١٢٤]. وتتمثل أهمية هذه الاعلانات الباهظة التكاليف، في كونها تعبّر عن رأي مجموعات كبيرة من الكنائس الأمريكية، وفي كونها تعتبر دعماً لاسرائيل، ليس مبنياً على اعتبارات انسانية أو أخلاقية أو حتى سياسية، بل إنه قضاء إلهي ويقوم على أسس مذهبية.

لقد لاحظ أحد القادة الصهاينة اليهود، ممن عمل في اللجنة اليهودية الأمريكية ونسّق جهودها مع الحركة المسيحية الأصولية، وهو المؤلف ستروبر (Strober) أن المصدر الحقيقي لقوة اليهود هو الانجيليون[١٢٥]. ووجّه ستروبر نداءه إلى الرئيس جيمي كارتر مشيراً إلى أن ناخبي الرئيس هم من الانجيليين ومن «الأفضل للرئيس الاستماع إليهم»[١٢٦].

٥ - بروز وانتشار الكنيسة المرئية (Electric Church) وقادتها من نجوم البرامج الدينية والتلفزيونية ممن يسمون (T.V. Evangelists) أو انجيليو التلفزيون (Televangelists). وتشكّل الشؤون السياسية المادة الرئيسية لهذه البرامج، رغم عناوينها الدينية. وهي مليئة بالاتجاهات الصهيونية، كما تسهم هذه البرامج ومواردها المالية في دعم منظمة النداء اليهودي الموحَّد (United Jewish Appeal) والسندات الاسرائيلية[١٢٧].

وقد انتشرت هذه الشبكة من المحطات المسموعة والمرئية في العقد الأخير بشكل واسع النطاق إلى درجة أنه كانت تؤسس محطة للاذاعة الدينية كل أسبوع ومحطة للتلفزيون كل شهر[١٢٨]. وملكت عقول وقلوب وجيوب الملايين من الأمريكيين مثلما سنوضح في الفصل التالي. وتهدف هذه الشبكة من الكنيسة المرئية إلى اعادة صياغة

(١٢٤) Wagner and Haddad, eds., *All in the Name of the Bible*, p. 18.
(١٢٥) Strober, *American Jews: Community in Crisis*, p. 87.
(١٢٦) *Washington Post* (23 March 1981).
(١٢٧) Edward Briggs, «Nation Put at Pinnacles of God's Plan,» *Richmond Times Dispatch* (2 May 1979).
(١٢٨) Falwell, *The Fundamentalist Phenomenon: The Resurgence of Conservative Christianity*, p. 20.

وتشكيل الحياة في الولايات المتحدة الأمريكية، فهي منخرطة في معارك على عدة جبهات سواء من خلال «أجهزة الاعلام أو في خلق مؤسسات بديلة مثل المدارس والكليات، أو في المقاطعة الاقتصادية لمناهضي وجهات نظرها، أو في الأساليب القانونية أو الانتخابية»[١٢٩]. وتعتبر هذه الكنيسة «من أقوى المنظمات الصهيونية المسيحية»[١٣٠].

٦ - وصول اليمين السياسي إلى الحكم في الولايات المتحدة الأمريكية مع مجيء الرئيس رونالد ريغان اعتباراً من عام ١٩٨٠، إذ بنى هذا اليمين المحافظ الجديد برامجه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية على مبادىء دينية، وصارت الحركة المسيحية الأصولية جزءاً مهماً منه. ونجحت إحدى منظمات الحركة المسيحية الأصولية وهي منظمة «الأغلبية الأخلاقية» (Moral Majority) في «تسجيل مليونين ونصف مليون ناخب جديد لمصلحة انتصار الرئيس ريغان في انتخابات عام ١٩٨٠»[١٣١].

وقد عقدت الحركة المسيحية الأصولية العديد من التحالفات مع اليمين السياسي داخل الحزب الجمهوري الحاكم في ادارة الرئيس ريغان، كما أسس قادة هذه الحركة جمعيات ومنظمات ومراكز بحث سياسية ضمت يهوداً وكاثوليك وبروتستانت، وشملت رجال دين ورجال أعمال ومفكرين واستراتيجيين... الخ، تؤمن وتعمل وفق مبادىء وايديولوجيا الحركة المسيحية الأصولية، سواء في الشؤون الداخلية أو السياسة الخارجية، وفي هذه الأخيرة شكلت مسألة دعم اسرائيل حجر الأساس في صلب توجهاتها. وفي هذا المجال يقول برنامج إحدى هذه المنظمات وهي منظمة «الأغلبية الأخلاقية»: «نحن ندعم دولة اسرائيل والشعب اليهودي في كل مكان»[١٣٢].

---

(١٢٩) John L. Kater, *Christian on the Right* (New York: Seabury Press, 1982), p. 2.

(١٣٠) *Christian Science Monitor* (24 September 1981), pp. 6-7.

(١٣١) المصدر نفسه، ص ٨.

(١٣٢) Falwell, *The Fundamentalist Phenomenon: The Resurgence of Conservative Christianity*, p. 190.

الفصل الرابع

مُنظمات الحركة المسيحية الأصولية وجماعات ضغطها

أولاً: الكنيسة المرئية

استخدمت الحركة الصهيونية المسيحية الأصولية في العقدين الأخيرين من هذا القرن وسائل البث المرئية والمسموعة بكثافة للدعوة لأفكارها، والوصول بفعالية إلى أكبر عدد ممكن من الناس، وذلك من خلال برامج جماهيرية استعراضية. وتسمى هذه الأساليب، والبرامج التلفزيونية الدينية، الكنيسة الالكترونية (Electric Church) أو الكنيسة المرئية، أو الديانة في الوقت المناسب أو الرئيسي (Prime Time-Religion).

وأول من استخدم هذه التسمية، الصحفي جيم مونتغمري في مقال له في جريدة «وول ستريت» في ١٩ أيار/مايو ١٩٧٨، ومنذ ذلك الحين جرى استخدام هذا التعبير. وقد جذبت شبكة محطات الكنيسة المرئية وبرامجها اهتمام قطاعات واسعة من المجتمع الأمريكي. وبلغت نسبة مشاهديها في عام ١٩٨٥ ما يقارب ٤٠ بالمائة من مشاهدي التلفزيون بشكل عام[1].

ولا مجال هنا للحديث عن أهمية وتأثير التلفزيون في المجتمع الأمريكي، ومع ذلك يمكن القول إن الدراسات الحديثة تشير إلى «أن متوسط ما يقضيه تلاميذ المدارس الثانوية من الوقت أمام شاشة التلفزيون يفوق ما يقضونه في المدرسة، بل حتى في داخل المدرسة نفسها، فإن معرفة الأحداث الجارية مبنية على معلومات تلفزيونية، أما البالغون فإنهم يمضون نصف وقت فراغهم في مشاهدة التلفزيون»[2].

---

(١) *Washington Times* (15 November 1985).

(٢) Doris A. Graber, *Mass Media and American Politics* (Washington, D.C.: Congressional Quarterly Press, 1980), p. 3.

ويقدّم التلفزيون المؤشرات للمواقف والسلوكيات المقبولة في المجتمع، كما أنه يعتبر المصدر الرئيسي لوجهة نظر الأمريكيين عن العالم الخارجي[٣].

وتبرز قوة تأثير الكنيسة المرئية وبرامجها في كون أغلبية مشاهديها من البالغين، وبخاصة من هم في سن الخمسين فما فوق. وتمثل هذه السن أضخم كتلة انتخابية، وأكثرها ثراء في الولايات المتحدة الأمريكية، مما يعني بالتالي أنها محل اهتمام السياسيين المتنافسين في الحملات الانتخابية المختلفة، بخاصة «حينما نعلم أن ٧٥ بالمائة ممن هم في سن الخمسين فما فوق قد سجلوا أنفسهم في قوائم الانتخابات، وأدلى ٧٠ بالمائة في عام ١٩٨٠ بأصواتهم في انتخابات الكونغرس ورئاسة الجمهورية»[٤]، وهذا يعني أن نسبة غير قليلة من هؤلاء كانوا من مشاهدي برامج الكنيسة المرئية ومن المتأثرين بها.

تتسع شبكة محطات الكنيسة المرئية كثيراً وتتوزع على مئات المحطات الاذاعية والتلفزيونية في الولايات المتحدة الأمريكية. فعلى سبيل المثال، فإن برامج القس بيلي غراهام، وهو من أقدم البرامج الدينية واسمه «ساعة القرار» (Hour Of Decision) وقد أنشىء عام ١٩٥٠ يُبث من تسعمائة محطة تلفزيونية وإذاعية. كما أن البرنامج الديني «درس التوراة» (Bible Class) يوزع على ألف محطة اذاعية في العالم. ويشاهد برنامج «يوم من الاكتشاف» (Day Of Discovery) اليومي أكثر من سبعة ملايين شخص[٥].

ومن أشهر البرامج الدينية القديمة، والتي بدأت منذ عام ١٩٢٥، برنامج «ساعة ايقاظ الدعوة الدينية القديمة» (Old-Fashioned Revival Hour) وقد وصل بثه في أوائل الأربعينات ليغطي ٤٥٦ محطة اذاعية، وصاحبه هو القس تشارلز فُلر (Charles Fuller) في لوس انجلوس[٦].

وتعتمد موارد الكنائس المرئية، بشكل أساسي، على تبرعات الأعضاء وجمهور المشاهدين المؤيدين والمتعاطفين مع هذه الكنائس. وتجري العادة أن يعلن أصحاب برامج الكنائس المرئية، أثناء البث التلفزيوني، عن فتح باب التبرعات بواسطة التلفون، ويعلن عن الرقم على شاشة التلفزيون. فيقوم المشاهد بالاتصال به خلال البث أو بعده. وتُرسل التبرعات إما بشكل دوري أو مرة واحدة، ورغم ضآلة قيمة

---

(٣) المصدر نفسه، ص ٣.

(٤) آلن ديمر، **الحلف الآثم**، ترجمة اللجنة العربية الأميركية لمناهضة التمييز (واشنطن، دي سي: اللجنة العربية الأميركية لمناهضة التمييز، ١٩٨٤)، ص ١٠.

(٥) Jerry Falwell, *The Fundamentalist Phenomenon: The Resurgence of Conservative Christianity* (New York: Doubleday, 1981), p. 20.

(٦) المصدر نفسه، ص ١١٢.

المبلغ المتبرع به، وغالباً ما يتراوح ما بين ٢٠ ـ ٥٠ دولاراً، فإن الحصيلة تكون مبالغ طائلة وذلك بسبب ضخامة اعداد المتبرعين، ويتلقى المتبرع عادة سيلاً لا ينقطع من المنشورات، والمطبوعات، وأشرطة الراديو، حول نشاط هذه الكنائس.

وقد أضحت الكنيسة المرئية صناعة ثرية، نتيجة جمع الأموال باستخدام البرامج الاستعراضية (Show Business)، التي لا تكتفي بمسائل الوعظ الديني، بل تهتم بالمسائل الاجتماعية والسياسية والعسكرية والأخلاقية والفنية والغنائية. وعلى سبيل المثال، فقد بلغت موارد شبكة الاذاعة المسيحية (Christian Broadcasting Network) في عام ١٩٨٥، حوالى ٢٣٣ مليون دولار[٧].

وتمثّل معظم الكنائس المرئية وجهة النظر المسيحية الأصولية. «وتؤمن بعلاقة النبوءة التوراتية بإسرائيل، وتدعو إلى الصهيونية المسيحية»[٨].

وتنتشر هذه البرامج الكنسية المرئية في الولايات المتحدة الأمريكية، بشكل يصعب معه حصرها على وجه الدقة. لكن رابطة الاذاعيين الدينيين الوطنية (National Religious Broadcasters)، وهي رابطة تضم أكثر من ٧٦ بالمائة من محطات التلفزيون والاذاعة المسيحية في الولايات المتحدة الأمريكية ومؤسسة منذ عام ١٩٤٤، تشير في احصاءاتها، إلى أن لديها ألف محطة تلفزيونية وإذاعية مشتركة في نشاطها، كما تقدّر أن عدد المستمعين إلى المحطات الاذاعية الأعضاء فيها يصل إلى ١١٥ مليون شخص أسبوعياً وإلى حوالى ١٤ مليون شخص لأعضائها من الكنائس المرئية[٩]. ويمكن القول إن أهم عشر كنائس مرئية في الولايات المتحدة الأمريكية حسب دراسة أجرتها شركة متخصصة هي شركة ايه. سي. نيلسون (A.C. Nielson CO.) ونشرتها في تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨٥، تشاهد من قبل ٤٠ بالمائة من مشاهدي التلفزيون الأمريكي[١٠].

وكانت هذه البرامج الكنسية المرئية من أبرز العوامل التي ساهمت في عودة الولايات المتحدة الأمريكية إلى أسلوب الحياة المحافظة[١١].

---

(٧) *Newsweek* (3 March 1986), p. 72.

(٨) حسن حداد، «العامل الديني في سياسة أميركا الشرق أوسطية،» **شؤون فلسطينية**، العدد ٩٣ (آب/أغسطس ١٩٧٩)، ص ١٨٣.

(٩) *Yearbook of American and Canadian Churches* (Nashville: Adingdon Press, 1984), p. 15.

(١٠) *Washington Times* (15 November 1985).

(١١) المصدر نفسه.

وبهذا الأسلوب الحديث في مخاطبة الجماهير، تجاوزت دعوة الكنيسة الأصولية وتأثيراتها حدود أبنيتها، وأعضائها، أو الملتزمين بالصلاة فيها في أيام الآحاد والأعياد والمناسبات الدينية، لتخاطب بواسطة كنيستها المرئية، وبرامجها الاستعراضية، الملايين من على شاشات التلفزيون وعبر الأقمار الصناعية وأمواج الأثير. وبات الانسان الأمريكي قادراً على «المشاهدة الروحية»، وهو في منزله مستلق على سريره أو فوق مقعده المريح، وصار حينما يتبرع بمبلغ ضئيل من الدولارات، كمشترك أو لمساعدة برامج وأنشطة الكنيسة المرئية، يمتلىء بالاحساس باكتمال صلاته (من منازلهم) فلا تكتفي، إذاً، للذهاب إلى الكنيسة. ويتلقى بعدها منشورات هذه الكنائس، التي لا تكتف بخطب الوعظ والارشاد الديني، إنما تحدثه عن الانتخابات وشؤون مجتمعه، ابتداء من قضايا الضرائب والاجهاض والأخلاق ودور المرأة والصلاة في المدارس والأسرة، ومروراً بمناهضة الحرب النووية، والشيوعية، وانتهاءً بدعم وتأييد إسرائيل وسياساتها كجزء من إرضاء الله.

وتعطي الصلاة من خلال الكنائس المرئية والتي تتم بشكل فردي وفي حجرة الجلوس بالمنزل، المشارك فيها، الرغبة التي يطلبها في الأمان والثقة والاحساس بالانتماء. وتقدم إليه النصيحة لكيفية تحويل الأحلام إلى حقائق والوصول إلى السعادة الدائمة[12].

ويذكر القس شُلَر (Shuller) صاحب الاستعراض الديني المسمى «ساعة من القوة» (Hour of Power) نص رسالة وصلته من أحد المشاهدين لبرنامجه في عام ١٩٧٩ يقول فيها: «في كل صباح من أيام الآحاد أجلس وزوجتي أمام التلفزيون، ونستمع إلى برنامجك ونحن نتناول الشاي، والآن وأنا بعيد عن المنزل، سأستمع إلى برنامجك وأنا أجلس في غرفتي في الفندق، بينما زوجتي تستمع إليك أيضاً في المنزل»[13].

تظهر إسرائيل في برامج هذه الكنائس المرئية والصوتية شيئاً مقدساً استناداً إلى ما ورد في الكتاب المقدس، وبخاصة في العهد القديم، ويعزّز هذا الاعتقاد عادة بذرائع سياسية واستراتيجية يقدمها مذيع البرنامج[14].

وتجذب برامج الكنيسة المرئية أنواعاً وأعماراً مختلفة من الناس، بما في ذلك

(١٢) John L. Kaster, *Christian on the Right* (New York: Seabury Press, 1982), p. 108.

(١٣) Peter Steinfels, *The Neo-Conservatives: The Men Who Are Changing America's Politics* (New York: Simon and Schuster, 1980), p. 39.

(١٤) Paul Findley, *They Dare to Speak Out: People and Institutions Confront Israel's Lobby* (Westport, Conn. Lawrence Hill and Co., 1985), p. 241.

الأطفال. وقد شكّل الأطفال المشاهدون لبرنامج «ساعة من انجيل زمان» لصاحبه القس جيري فولويل ما نسبته ٣٠ بالمائة من مجمل مشاهديه[15].

ومن أجل جذب أكبر حجم من المشاهدين، فإن هذه الكنائس المرئية لا تكتفي ببث برامجها من خلال ما تملكه من شبكة محطات اذاعية وتلفزيونية، بل تقوم بشراء الفترات في محطات واسعة الانتشار، وتختار الأكثر ملاءمة للمشاهدة. وتكرر بث برامجها بشكل كافٍ لجذب مزيد من المستمعين والمشاهدين، مما أدى إلى أن يكون للبرامج الكنسية المرئية تأثير أساسي في تفكير الأمريكيين وسلوكهم وبأشكال مختلفة[16]، ويطلق عليها تسمية «السلطة الخامسة» في محاولة لتفريقها عن الصحافة كسلطة رابعة[17].

وتبيّن استقصاءات معهد غالوب، وعدد آخر من المؤسسات المتخصصة المستقلة، أن أكثر من نصف الأمريكيين يشاهدون برنامجاً دينياً أو أكثر مرة في الشهر على الأقل[18]. وقدّر معهد غالوب في عام ١٩٨١، أن ٥٢ مليون أمريكي يشاهدون برنامجاً أو أكثر من برامج الكنيسة المرئية شهرياً. وارتفع العدد في عام ١٩٨٣ إلى ٦٠ مليون شخص[19]. وفي تقدير آخر نشرته إحدى منظمات الاذاعة الدينية، فإن عدد مشاهدي برامج الكنيسة المرئية وصل إلى ٢٥ مليون شخص أسبوعياً في عام ١٩٨٤[20].

ومهما تكن حقيقة حجم مشاهدي هذه البرامج، فإنه من الثابت أنها نمت باستمرار طوال العقد الأخير. وصارت نجومها ظاهرة عصرية في الحياة اليومية الأمريكية[21]. وقد بلغ عدد محطات شبكات التلفزيون للكنيسة المرئية في عام ١٩٨٥ حوالى ١٥٠٠ محطة[22].

أما محطات الاذاعة الدينية فيقدّر عددها ما بين ١٢٠٠ - ١٤٠٠ محطة تبث الواحدة منها حوالى ١٧ ساعة يومياً. من بينها حوالى ٣٧ بالمائة من الوقت للوعظ

(١٥) David W. Clark, «Religious Television Audience,» paper presented at: The Society for the Scientific Study of Religion, Savannah, Georgia (25 October 1985), p. 19.

(١٦) المصدر نفسه، ص ٢٣.

(١٧) المصدر نفسه، ص ٢٥.

(١٨) المصدر نفسه، ص ٢٣.

(١٩) «Religion and Television» in: *The Gallup Report* (Princeton, N.J.: Gallup Organization and Princeton Religious Research Center, 1984), p. 7.

(٢٠) *Religious Broadcasting Magazine* (June 1984), p. 21.

(٢١) Ibid. (December 1985), p. 30.

(٢٢) Ibid. (February 1986), p. 18.

والارشاد الديني، و١٢ بالمائة للأخبار والمقابلات[٢٣]. كما ازداد اعتمادها في السنوات الأخيرة على استخدام الأقمار الصناعية في بث برامجها. ويقدّر أن نصف هذه المحطات يستخدم الأقمار الصناعية[٢٤].

ويعطي الجدول رقم (٤ - ١) قائمة بأسماء أهم عشرة برامج في الكنائس المرئية تبعاً لأكثرها شعبية واجتذاباً للمشاهدين.

توضح القائمة السابقة أن عدد مشاهدي هذه البرامج العشرة يزيد عن ٦٧ مليون شخص شهرياً. وتُبث هذه البرامج من محطّات عادية أو من خلال محطات سلكية (Cable) على مستوى الولايات المتحدة الأمريكية كلها. وقد تابعت أغلبية البرامج خلال الفترة من عام ١٩٨٠ حتى عام ١٩٨٥، فوجدت أن لكل من أصحابها قالبه المميز وأسلوبه الخاص في تقديم برنامجه. ويصرون جميعاً على الاهتمام بالسياسة الخارجية، ويؤمنون بأن تقديم الدعم لإسرائيل هو تنفيذ لكلمة «الرب». ولعل أبرز الأمثلة على ذلك، ما يقوله ألقس الانجيلي الأصولي صاحب البرنامج المعروف باسمه وهو جيمي سواغيرت: أشعر أن الولايات المتحدة الأمريكية مرتبطة **بحبل ولادة سري** وتعود هذه الروابط، في اعتقادي، إلى ما قبل ظهور الولايات المتحدة الأمريكية بزمن طويل، كما ترجع الفكرة اليهودية المسيحية إلى ابراهيم ووعد الرب له، وهو وعد أعتقد أنه يشمل الولايات المتحدة الأمريكية أيضاً، لأن الله ما زال يقول إني أبارك الذين يباركون إسرائيل وألعن من يلعنونها. ومن فضل الله على الولايات المتحدة الأمريكية أنها ما زالت قوية اليوم. وأنا واثق أن هذا يعود إلى كونها تقف وراء إسرائيل، وأدعو الله أن نظل دوماً سنداً لإسرائيل[٢٥].

وتبين دراسة قامت بها الشركة المتخصصة في حقل الاستقصاء الإذاعي والتلفزيوني المسمّاة «تركيبة نيلسون للمشاهدين» (Nielson Audience Composition) أن مشاهدي هذه البرامج هم من الرجال والنساء والأطفال. ويتفوق بعضها في اجتذاب النساء، بينما أغلبيتها لا تجتذب المراهقين[٢٦]. ويقدم الجدول رقم (٤ - ٢) قائمة بأسماء خمسة برامج رئيسية حسب سن المشاهدين وجنسهم.

---

(٢٣) المصدر نفسه، ص ٤٢.

(٢٤) المصدر نفسه، ص ٤٤.

(٢٥) ديمر، **الحلف الآثم**، ص ٧.

(٢٦) تذكر شركة (Nielson Audience Composition) في تقريرها، أن نسبة الخطأ في نماذج المشاهدين موضوع الاستطلاع هي ما بين ١ بالمائة و٢ بالمائة لكل النسب الواردة في الجدول رقم (٤ - ٢).

جدول رقم (٤ - ١)

قائمة بأسماء أهم عشرة برامج في الكنائس المرئية تبعاً لأكثرها شعبية واجتذاباً للمشاهدين في الولايات المتحدة الأمريكية

اسم البرنامج واسم صاحبه	البث	المشاهدون أسبوعياً	المشاهدون شهرياً
«السبعمائة نادٍ» «The 700 Club» (بات روبرتسون) (Pat Robertson)	يومي	٤٤٢٠٠٠٠	١٦٣٠٠٠٠٠
«الحملة الصليبية الأسبوعية» «Weekly Crusade» (جيمي سواغيرت) (Jimmy Swaggert)	أسبوعي	٣٦٤٠٠٠٠	٩٢٥٤١٠٠
«ساعة من القوة» «Hour Of Power» (روبرت شُلر) (Robert Shuller)	أسبوعي	٢٧٢٠٠٠٠	٧٦٤١٠٠٠
«مجّدوا الرب» «Praise The Lord (PTL)» (جيم باكير) (Jim Bakker)	يومي	٢٤٦٢١٠٠	٥٧٧٣٢٠٠
«توقّع معجزة» «Expect a Miracle» (أورال روبرتس) (Oral Roberts)	أسبوعي	٣٠٣٧٦٠٠	٥٧٧٣٢٠٠
«ساعة من انجيل زمان» «Old-Time Gospel Hour» (جيري فولويل) (Jerry Falwell)	يومي	١٨٧٠٠٠٠	٥٦٠٣٤٠٠
«برنامج واستعراض كينيث كوبلاند» (Kenneth Copland)	أسبوعي	١٧٨٢٩٠٠	٤٩٢٤٢٠٠
«دراسة في الكلمة» «A Study in the Word» (جيمي سواغيرت) (Jimmy Swaggert)	يومي	١٨٦٧٨٠٠	٤٥٨٤٦٠٠
«يوم الاكتشاف» «Day of Discovery» (بول فان غوردر) (Paul V. Gorder)	أسبوعي	١٤٤٣٣٠٠	٤٠٧٥٢٠٠
«برنامج واستعراض ركس هامبرد» (Rex Humbard)	أسبوعي	١٦١٣١٠٠	٣٧٣٥٦٦٠

المصدر: David W. Clark, «Religious Television Audience,» paper presented at: The Society for the Scientific Study of Religion, Savannah, Georgia, 25 October 1985, p. 27.

جدول رقم (٤ ـ ٢)
أسماء البرامج الرئيسية الخمسة
بحسب سن المشاهدين وجنسهم
(نسب مئوية)

اسم البرنامـج	نسبة المشاهدين من النساء			نسبة المشاهدين من الرجال			نسبة
		الاجمالي			من سن ٢٥-٥٤		فوق ٥٥
«السبعمائة نادٍ»		٥٩			٤٥		٥٥
برنامج «الحملة الصليبية» الأسبوعي لجيمي سواغيرت		٤٣			٢٣		٧٤
برنامج «ساعة من القوة»		٥٢			٣١		٦٨
برنامج «توقّع معجزة»		٥٣			٢٠		٧٧
برنامج «ساعة من إنجيل زمان»		٤٣			٤٤		٥٦

المصدر: المصدر نفسه، ص ٣٠.

وهكذا ساعدت الكنيسة المرئية والمسموعة الحركة الصهيونية المسيحية على تحقيق مزيد من الانتشار أكثر مما حققه اسلافها القدامى، ونجحت الكنيسة المرئية والمسموعة في اقناع الكثير من الأمريكيين بأن «أفكارها تمثل غالبية الرأي العام الأمريكي»[٢٧]، وهي أفكار وقراءات للأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية المعاصرة، على ضوء قراءة النصوص التوراتية القديمة، وتفسر العالم وأحداثه على ضوء تنبؤات هذه النصوص.

وترجع قدرة رجال الكنيسة المرئية والمسموعة على التأثير، ليس إلى مجرد كونهم على دراية واسعة بعلوم اللاهوت، بل لأنهم في غالبيتهم من المتخصصين في مجال الإعلام وعلوم الاتصال الجماهيري، مما يزيد من قوة تأثير برامجهم الكنسية على المشاهدين أو المستمعين، بخاصة أنها تتجاوز مسائل الوعظ والارشاد والتعليم، إلى

(٢٧) دير، المصدر نفسه، ص ١٢.

القضايا الاستشارية، والعلاقات الشخصية الذاتية، والحياة اليومية، والشفاء الجسدي[٢٨].

وقد شكلت الكنيسة المرئية والمسموعة برامجها حسب احتياجات مستمعيها ومشاهديها ورغباتهم. وساعدها في ذلك ما تتلقاه من استجابة عاجلة من مشاهديها ومستمعيها لأية نقطة أو موضوع ساخن يثار في برامجها، وتأتي الاستجابة، عادة، من خلال سيل الرسائل والأموال التي تنهمر على برامجها خلال أيام قصيرة من اذاعتها لبرامجها، مما يسهّل عليها التركيز على القضايا الأكثر ترديداً في رسائل مشاهديها ومستمعيها، في مراحل تالية.

ويقول استطلاع أجرته مجلة «المسيحية اليوم» (Christianity Today)، بالاشتراك مع معهد غالوب في عام ١٩٨٠، ان ٢٦ بالمائة من هؤلاء الذين يشاهدون الكنيسة المرئية، قدموا أكثر من ١٠ بالمائة من دخلهم لدعم القضايا الدينية، كما أن ٢٨ بالمائة من مشاهدي الكنيسة المرئية قدموا ١٠ بالمائة أو أكثر من دخلهم لدعم البرامج الكنسية المسموعة والمرئية[٢٩].

كما يشير هذا الاستطلاع إلى أن «٨٥ بالمائة من مستمعي أو مشاهدي هذه الكنائس قد تحولوا إلى متدينين بسبب هذه البرامج»[٣٠]، الأمر الذي يعني أن قدرات هذه الكنائس التنظيمية والتقنية المتطورة، وإمكاناتها الاقتصادية الضخمة قد أحدثت تأثيراً بالغاً على مستمعيها ومشاهديها، إذ وجدوا فيها المرشد والراحة النفسية والصداقة.

ويصعب حصر موارد الكنيسة المرئية والمسموعة، لكن رقماً اتفقت عليه تقديرات رابطة «الاذاعيون الدينيون الوطنيون» (National Religious Broadcasters) وجريدة «نيويورك تايمز» ومعهد غالوب ومجلة «المسيحية اليوم» في عام ١٩٨٠، يشير إلى أن مواردها السنوية من التبرعات تصل إلى أكثر من مليار دولار، وإذا ما أضيفت إلى هذا المبلغ قيمة موارد الاعلانات ودعم البرامج، فإن الرقم يرتفع إلى مليارى دولار سنوياً[٣١].

ولعله من المفيد أن نستعرض الآن أهم قيادات ومنظمات الكنيسة المرئية وأكثرها تعبيراً عن الصهيونية المسيحية، سواء على مستوى القول أو على مستوى الفعل.

(٢٨) *Christianity Today* (12 December 1980), p. 12.
(٢٩) المصدر نفسه، ص ٢٩.
(٣٠) المصدر نفسه، ص ٣٠.
(٣١) المصدر نفسه، ص ٢٩.

تقف منظمة الأغلبية الأخلاقية (Moral Majority) والتي أسسها ويقودها الآن القس جيري فولويل على رأس هذه المنظمات إضافة إلى مؤسسات القس بات روبرتسون الاذاعية والتلفزيونية والتعليمية. كما سأتحدث عن منظمتين أخريين هما «رعوية المغامرة الكبرى» (High Adventure Ministry) التي يقودها القس جورج أوتيس (George Otis) ومنظمة مايك ايفانز (Mike Evans Ministry)، ولهما امتداداتها خارج الولايات المتحدة الأمريكية.

ثانياً: قيادات الكنيسة المرئية ومنظماتها

١ - جيري فولويل ومنظمة الأغلبية الأخلاقية

برز جيري فولويل كرجل دين انجيلي في أواخر الخمسينات، لكنه لم يدخل الحياة السياسية الأمريكية إلا في أواخر الستينات، حينما أخذ، اعتباراً من عام ١٩٦٧، في بث برنامجه الديني المسموع المسمّى «ساعة من انجيل زمان» (Old-Time Gospel Hour) عبر محطات التلفزة[٣٢].

ويعتبر فولويل أول سياسي أميركي يتطرف في القول إن «دعم الولايات المتحدة الأمريكية لإسرائيل ليس من أجل مصلحة إسرائيل، ولكن من أجل مصلحة الولايات المتحدة الأمريكية نفسها»[٣٣].

كما يُعتبر من أبرز قادة الحركة الصهيونية المسيحية الأصولية تأييداً ودعماً لإسرائيل. وترجع أسباب هذا الدعم إلى عوامل توراتية وتاريخية وإنسانية وإلى أن لليهود الحق في الوجود... وإلى أن حولهم مائة مليون عربي من الجيران الملتزمين بقتلهم، وإلى أنهم الأصدقاء الحقيقيون الوحيدون للولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأوسط[٣٤].

ويلخص موقفه من إسرائيل في ترديد جملة لا تفارقه في كتبه، ومنشوراته، وبرامجه، ومقابلاته، وخطبه، يقول فيها: «إن الوقوف ضد إسرائيل هو معارضة لله»[٣٥].

(٣٢) Perry D. Young, *God's Bullies* (New York: Holt, Rinehart and Winston, 1982), p. 213.

(٣٣) *Washington Post* (23 March 1981).

(٣٤) *Christianity Today* (4 September 1981).

(٣٥) Falwell, *The Fundamentalist Phenomenon: The Resurgence of Conservative Christianity*, p. 215.

وتعود جذور فكرة الصهيوني إلى معتقداته اللاهوتية بالتوراة، إذ يشير في أدبياته باستمرار إلى ما يسميه «وعد الله لابراهيم منذ أربعة آلاف عام... سأبارك من يبارك إسرائيل وألعن من يلعنها... ومن هذا الموقف اللاهوتي، فإنه على الولايات المتحدة الأمريكية أن لا تتردد في تقديم كل الدعم المالي والعسكري إلى إسرائيل»[٣٦].

وقد اعتبر قيام إسرائيل في عام ١٩٤٨، ليس كمفتاح للنبوءات التوراتية فحسب، ولكن كعلامة على ما أسماه «مباركة الله ووفاءه لشعب الله»[٣٧].

ويجيء تأييد فولويل لإسرائيل، ولسياساتها في معظم الأحيان، أكثر تشدداً من كثير من اليهود الأمريكيين[٣٨]. ويعتقد أنه لا مجال للنقاش في كون يهودا والسامرة جزءاً من إسرائيل، وكذلك الجولان، وأن القدس عاصمة أبدية موحّدة لإسرائيل[٣٩].

ويقول أيضاً إن «دعمه لإسرائيل غير مشروط، وإن إسرائيل هي خط الدفاع الأمريكي في الشرق الأوسط»[٤٠].

وقد بدأ بروز فولويل كقوة سياسية اعتباراً من منتصف السبعينات، حينما دعم ترشيح جيمي كارتر لرئاسة الجمهورية. وقد سخّر امكاناته الكنسية والاعلامية لدعم هذا الترشيح عام ١٩٧٦. وبدأ منذ ذلك الحين صعوده كنجم من نجوم المجتمع السياسي. وصارت مواقفه من إسرائيل تتخذ تغطية واسعة من الصحافة ومحطات التلفزة. وقد لفتت مواقفه المؤيدة لإسرائيل انتباه الحركة الصهيونية اليهودية في الولايات المتحدة الأمريكية، إضافة إلى قادة إسرائيل نفسها.

ويقول أحد قادة الحركة الصهيونية ومثقفيها سيمون ميرل (Simon Merrill):
«لقد برز جيري في الوقت الذي كان يتصاعد فيه تأييد المجلس الوطني للكنائس الجانب العربي»[٤١]. وقد رأت فيه الحركة الصهيونية اليهودية مصدر قوة لتوسيع القاعدة الأمريكية لدعم إسرائيل[٤٢]. ولا تقف طموحات فولويل عند حدود الوعظ في كنيسته المسماة «كنيسة شارع توماس المعمدانية» في مدينة لينشبرغ، في ولاية فرجينيا،

(٣٦) Wolf Blitzer, *Between Washington and Jerusalem: A Reporter's Notebook* (New York: Oxford University Press, 1985), p. 198.

(٣٧) Jerry Falwell, *Listen America* (New York: Doubleday, 1980), p. 113.

(٣٨) Blitzer, Ibid., p. 193.

(٣٩) المصدر نفسه، ص ١٩٣.

(٤٠) Merrill Simon, *Jerry Falwell and the Jews* (New York: Jonathan David Publishers, 1984), pp. 64-65.

(٤١) المصدر نفسه، ص ٧.

(٤٢) Louis Decaro, *For All the Falwells*, report no. 49 (New York: American Jewish Alternative to Zionism, 1985).

بل تعدت ذلك إلى بناء مؤسسات تعليمية، وتملُّك أجهزة اعلامية، وتأسيس منظمة سياسية للعمل السياسي، وغدت جماعة ضغط منظمة تضم في أعضائها أكثر من ٦,٥ ملايين ونصف مليون شخص، ولها جذورها العميقة في الثقافة الأمريكية(٤٣). ورغم اشاراته المتكررة إلى نفي اهتمام حركته بحكم الولايات المتحدة الأمريكية، إلا أنه يؤكد أن هدفه هو التأثير في اتجاهات المجتمع الأمريكي، وفي اختيار رئيس الجمهورية، وفي كسب تأييد مجلسي النواب والشيوخ(٤٤).

وقد أسس فولويل في عام ١٩٧١ كلية في مدينته التي تقع فيها كنيسته. أسماها «كلية لينشبرغ المعمدانية»، ثم غيّر اسمها لتصبح «كلية الحرية المعمدانية» (Liberty Baptist College)، ثم غيّرها إلى «جامعة الحرية». ويلتحق بها الآن ٦٥٠٠ طالب، وهو يعمل على زيادة هذا العدد في نهاية هذا القرن، ليصل إلى ٥٠ ألف طالب(٤٥). ويتعلم فيها الطلبة «علوم اللاهوت من وجهة نظر يهودية»(٤٦). ويتعلم الطلبة من خلال هذه المناهج المفاهيم الصهيونية لمسائل إسرائيل واليهود، مختلطة بدعاوى وذرائع سياسية واستراتيجية معاصرة. وتقدّم الجامعة تعليماً شاملاً، وتوفّر مناخاً دينياً مسيحياً لطلبتها. وتشمل برامج الدراسة فيها العديد من التخصصات، من بينها المحاسبة، وإدارة الأعمال، وعلم الاحياء، والكيمياء، والعلوم العسكرية، والتربية، والدراما، والتاريخ، والاقتصاد، والصحافة، والاعلام، والرياضيات، والعلوم الاجتماعية، وعلم النفس، والعلوم السياسية، والموسيقى، والمواد التحضيرية لدراسات الطب، والقانون، والتمريض، وتمنح هذه الجامعة دبلوم الدراسات التوراتية(٤٧).

وتشير مطبوعات هذه الجامعة إلى أن الدراسات الدينية تدخل في جميع التخصصات. فهناك سبعة مقررات تعليمية (Courses) دينية مطلوبة في كل التخصصات الجامعية. وهي مقررات تعليمية ليست اختيارية، وتضم الآتي:

- مقررين تعليميين في العهد القديم، ومقررين تعليميين في العهد الجديد، ومقررين تعليميين في اللاهوت (Theology)
- مقرّراً تعليمياً في مذهب «العصمة الحرفية» (Evangelism)(٤٨). وتوضح هذه

---

(٤٣) *Time* (2 September 1985).
(٤٤) *Washington Post* (26 September 1985).
(٤٥) Young, *God's Bullies,* p. 215.
(٤٦) Simon, *Jerry Falwell and the Jews,* p. 108.
(٤٧) *Liberty University Catalog, 1986-87* (Lynchberg, Va.), pp. 6-43.
(٤٨) المصدر نفسه، ص ٤٣.

المطبوعات أيضاً، مبادىء الدراسة في الجامعة، التي تشمل الايمان بالقدوم الثاني للمسيح حيث سيحكم لألف عام سعيد(٤٩)، ونشر وجهات نظر المسيحية الأصولية وقيمها وعقيدتها.

وإذا ما تفحّصنا مواد الدراسات التوراتية، فإننا نجد أنها تضم التاريخ اليهودي، والشعر العبري، والعهدين القديم والجديد، واللغة العبرية وصولاً إلى إسرائيل وقيامها وأوضاعها(٥٠). كما تستخدم الجامعة عدداً من الأساتذة اليهود في هيئة التدريس من أمثال البروفسور هارفي هارتمان (Harvey D. Hartman)، الذي تلقّى دراسته في إسرائيل. وقد التحق بجامعة الحرية منذ عام ١٩٧٧(٥١).

وتضم هذه الجامعة أربع كليات لاهوتية وأكاديمية، من بينها معهد للدراسات التوراتية، يختص بتدريب الطلبة على مسائل الوعظ والشؤون الدينية ويلتحق به المتدربون من جميع أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية، إضافة إلى طلبة من أكثر من ٢٥ دولة أجنبية(٥٢). ويقول جيري فولويل عن هذه الجامعة إنها «تدرّب جيشاً من القيادات للجيل القادم»(٥٣).

ويمارس، من بين هذه القيادات، أكثر من ثلاثمائة خريج سنوياً العمل في قيادة العمل الكنسي، والعمل العام، في أنحاء متفرقة من الولايات المتحدة الأمريكية(٥٤).

وقد أسس فولويل، فضلاً عن هذه الجامعة، عدداً من المدارس للتعليم الابتدائي والثانوي. ويعكس التنامي المتزايد في أعداد المدارس الدينية في العقد الأخير، مدى تأثير الحركة الأصولية، وبخاصة مؤسسات وفكر جيري فولويل والجماعات المشابهة له، على الحياة الاجتماعية والثقافية الأمريكية. خصوصاً حينما نعرف، أن معظم هذه المدارس تدار من قبل الحركة المسيحية الأصولية ذات الاتجاهات الصهيونية. وتقدّر بعض الاحصاءات أن عدد هذه المدارس قد وصل إلى أكثر من عشرة آلاف مدرسة(٥٥)، بينما يقدِّرها جيري فولويل في عام ١٩٨٠ بأكثر من ١٨ ألف مدرسة(٥٦).

---

(٤٩) المصدر نفسه، ص ٦.
(٥٠) المصدر نفسه، ص ١٠٥.
(٥١) المصدر نفسه، ص ١٨١.
(٥٢) المصدر نفسه، ص ٣٠.
(٥٣) Falwell, *Listen America,* p. 22.
(٥٤) *Time* (2 September 1985), p. 58.
(٥٥) المصدر نفسه، ص ٥٢.
(٥٦) Falwell, *Listen America,* p. 20.

ومهما كانت حقيقة عدد هذه المدارس، فإن التعليم فيها يحمل معتقدات **الصهيونية** المسيحية الأصولية. وبخاصة مسألة دعم إسرائيل «دون شرط أو سؤال، ودعم سيادة إسرائيل على الضفة الغربية وغزة والجولان»[٥٧].

أما كنيسته المعمدانية فهي مؤسسة شمولية الأغراض والأهداف. تبدأ من الوعظ والارشاد، من خلال فروعها العديدة المنتشرة في أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية، وتتناول مسائل مناهضة الاجهاض والدعوة إلى الصلاة في المدارس، والعودة إلى مؤسسة العائلة التقليدية، وقضايا الأخلاق، مروراً بالدعوات والمواقف السياسية الداخلية، وانتهاء بالسياسة الخارجية، وعلى رأسها مسألة دعم إسرائيل بلا حدود[٥٨]. كما تعمل في مجال انشاء المراكز والمؤسسات المهتمة بالشباب والأطفال، مثل اقامة المعسكرات الصيفية، وكذلك انشاء مراكز لرعاية المدمنين، ومساعدة النساء الحوامل (بطريق غير شرعي) «ويعمل في مؤسسات الكنيسة أكثر من ألفي موظف»[٥٩].

ويبلغ عدد أعضاء هذه الكنيسة، كما يقول فولويل، أكثر من عشرين ألفاً يمثلون أكثر من ٧ ملايين ونصف مليون عائلة، ويشكلون حوالى ٢٥ مليون شخص، وهؤلاء هم الذين أخاطبهم يومياً، وأعلّمهم أهمية أن يكونوا مؤيدين لإسرائيل والشعب اليهودي[٦٠].

تبيّن مطبوعات الكنيسة المعمدانية مدى تغلغل الصهيونية فيها، فحب اليهود عند الكنيسة نابع من أن «الله يحب اليهود، ولأن الله يتعامل مع الأمم حسبما تتعامل هذه الأمم مع إسرائيل، ومخلصنا المسيح كان يهودياً»[٦١]. وقد جمعت بواسطة التبرعات واستثمارها في شكل عقارات ومصالح مختلفة، أموالاً طائلة، قدِّرت في عام ١٩٨٣ بحوالى مائة مليون دولار. ووفرت لزعيمها جيري فولويل فرصة التنقل بطائرة نفاثة خاصة، تملكها الكنيسة من صنع إسرائيلي[٦٢]، إضافةً إلى ايفاد البعثات التبشيرية إلى أكثر من ٦٥ دولة، ويعمل بعضها في مسائل اللاجئين والاغاثة الدولية[٦٣].

وتتضح نشاطات جيري فولويل الفكرية والفعلية المؤيدة لإسرائيل والداعمة لسياساتها وأهدافها الصهيونية، من خلال كنيسته المرئية ببرامجها المرئية والمسموعة

---

(٥٧) *Time*, Ibid., p. 57.

(٥٨) Simon, *Jerry Falwell and the Jews*, p. 108.

(٥٩) *Time*, Ibid., p. 59.

(٦٠) Simon, Ibid., p. 31.

(٦١) Falwell, *Listen America*, p. 215.

(٦٢) *Washington Post* (17 September 1984).

(٦٣) Simon, *Jerry Falwell and the Jews*, p. 30.

الواسعة الانتشار، وذات الجاذبية الشعبية الكبيرة، والتي تستخدم تقانة الأقمار الصناعية للاتصالات «لنشر تعاليم التوراة في كل أنحاء العالم»[٦٤].

ويبث القس فولويل أهم برامجه المتلفزة واسمه «ساعة من انجيل زمان» بشكل يومي، لمدة ساعة. ويذاع من خلال ٣٩٢ محطة مرئية و٥٠٠ محطة مسموعة. وقد بلغ دخل هذا البرنامج، في عام ١٩٧٨، حوالى ٦٠ مليون دولار[٦٥]. وارتفع هذا الدخل فيما بعد، ووفقاً للتقديرات المحايدة، فإن عدد مشاهدي هذا البرنامج يصل إلى أكثر من ٥ ملايين و٦٠٠ ألف شخص شهرياً، بينما يزعم جيري فولويل أن برنامجه يجتذب ما بين ١٧ ـ ٢٥ مليون شخص[٦٦].

أما برنامجه الآخر فاسمه «جيري فولويل على الهواء مباشرة» (Jerry Falwell Live)، ويُبث أسبوعياً في كل أمسية من أيام الآحاد، ويتلقاه ٣٤ مليون منزل[٦٧].

يؤكد جيري فولويل، من خلال شبكة الكنيسة المرئية والمسموعة باستمرار أن «إعادة تأسيس إسرائيل عند المسيحيين الأصوليين، هو ايفاء بالنبوءات ويتوجب على كل أمريكي بذل كل جهد ممكن لضمان الدعم الكامل لإسرائيل»[٦٨]. ولا يكتفي بالحدود الجغرافية الحالية لإسرائيل، بما فيها الضفة الغربية وغزة والجولان، بل يطالب بامتداد أراضيها من الفرات إلى النيل، فهو القائل في برنامجه اليومي «ساعة من انجيل زمان»، في صيف ١٩٨٢ أثناء غزو إسرائيل للبنان: يذكر سفر التكوين من التوراة أن حدود إسرائيل ستمتد من الفرات إلى النيل. وستكون الأرض الموعودة هي العراق وسوريا وتركيا والسعودية ومصر والسودان وجميع لبنان والأردن والكويت[٦٩]. كما يؤكد باستمرار أن دعم والتزام الولايات المتحدة الأمريكية بإسرائيل مبني على «اعتبارات أخلاقية وروحية وتاريخية وأمنية»[٧٠].

ويهاجم فولويل في برامجه وخطبه الدينية الدول العربية ويرى أن «لا مكان للعرب بيننا. ولا علاقات حسنة معهم، لأنهم ينكرون قيم الولايات المتحدة الأمريكية، وطريقة معيشتها، ويرفضون الاعتراف بإسرائيل»[٧١].

---

(٦٤) Kater, *Christian on the Right*, p. 104.

(٦٥) المصدر نفسه، ص ١٠٦.

(٦٦) المصدر نفسه، ص ١٧.

(٦٧) *Time* (2 September 1985), p. 48.

(٦٨) Simon, *Jerry Falwell and the Jews*, p. 98.

(٦٩) *Times Sunday Telegraph* (6 February 1983).

(٧٠) Simon, Ibid., p. 92.

(٧١) المصدر نفسه، ص ٨٤.

وبهذه البرامج المرئية والمسموعة الاستعراضية، يعتبر جيري فولويل الأكثر تأثيراً من بين كل «الاذاعيين الدينيين»(٧٢).

أما أهم مشروعات ونشاطات القس جيري فولويل، فكان تأسيسه في عام ١٩٧٩ منظمة سياسية اسماها «الأغلبية الأخلاقية» التي يعتبر دعمها لإسرائيل «أهم مظهر لاهتمام الحركة المسيحية الأصولية بأمن وبقاء إسرائيل»(٧٣). وقد أعلنت عن نفسها بوضوح كمنظمة سياسية غير مؤسسة على اعتبارات لاهوتية. وشكّلت قيادة لها تسمّى «القيادة القومية للأغلبية الأخلاقية»، التي يقودها جيري فولويل نفسه. وافتتحت لها فروعاً في كل أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية(٧٤).

وتمسك هذه المنظمة بنظام متطور في مجال التنظيم والاتصال، وإعداد قوائم البريد. وتستخدم الكمبيوتر في إعداد الرسائل، والاحتفاظ بأسماء أعضائها وعناوينهم. ولديها، على سبيل المثال، «ثلاثمائة قائمة للبريد تحوي أسماء وعناوين خمسة وعشرين مليون أمريكي. وترسل بالبريد أكثر من مائة مليون رسالة سنوياً»(٧٥).

وتصدر المنظمة الكتب والمنشورات، وأبرزها التقرير الشهري المسمى «تقرير الأغلبية الأخلاقية» (The M.M. Report). ويصل هذا التقرير إلى مليونين ونصف المليون من المشتركين، بما في ذلك الرئيس الأمريكي وكل أعضاء الكونغرس، وحكام الولايات، وأكثر من اثنين وثمانين ألف رجل دين، فضلاً عن كبار الصحفيين، ومحطات الأخبار المسموعة والمرئية. «ويُنفق على هذا التقرير حوالى مليون و٢٠٠ ألف دولار»(٧٦).

وتضم هذه المنظمة السياسية، إلى جانب أعضائها من المسيحيين الأصوليين، بعض اليهود. ويقع مركزها الرئيسي في واشنطن العاصمة بالقرب من مراكز صنع القرار. ويزعم جيري فولويل أن عدد أعضائها يزيد عن ٦ ملايين ونصف مليون عضو مشارك وملتزم بأهدافها. ويضم برنامجها عشر نقاط تشمل «معارضة الاجهاض والشذوذ الجنسي، وتوفير دفاع قوي للولايات المتحدة الأمريكية، وتدعيم إسرائيل»(٧٧).

يعتبر بند دعم إسرائيل البند الوحيد المتعلق بالسياسة الخارجية المعلنة في برنامج

(٧٢) *Time* (2 September 1985), p. 58.
(٧٣) Blitzer, *Between Washington and Jerusalem: A Reporter's Notebook*, p. 194.
(٧٤) Falwell, *Listen America*, p. 188.
(٧٥) Alan Crawford, *Thunder on the Right* (New York: Pantheon Press, 1981), p. 49.
(٧٦) «تقرير منظمة الأغلبية الأخلاقية،» ١٥/٢/١٩٨٤.
(٧٧) Simon, *Jerry Falwell and the Jews*, p. 7.

المنظمة. ويرى فولويل في هذا البرنامج ومنظمته «وسيلة لحماية وتطوير الموقف بجانب الشعب اليهودي وإسرائيل». . . ويعتقد أن الله قد عيّن حدود إسرائيل وأيّد مطالبها في الأرض، لأن لليهود حقاً تاريخياً ولاهوتياً وقانونياً في الأرض المسماة إسرائيل(٧٨).

وتبرز أهمية هذه المنظمة، في كونها تعمل كمنظمة سياسية شاملة وتسلك وسائل وطرقاً عديدة من أجل تحقيق أهدافها ونفوذها، بما في ذلك تأمين الدعم المالي للمرشحين للمناصب السياسية ممن يؤيدون وجهة نظرها(٧٩).

ومن بين الوسائل التي تستخدمها أيضاً، توعية الأمريكيين وتعليمهم بواسطة أجهزة الإعلام المختلفة، بما في ذلك برامج كنيسة جيري فولويل المرئية والمسموعة والبرامج التدريبية والتثقيفية المختلفة، وتعبئة الملايين من غير المهتمين بالعمل السياسي للانخراط فيه، وممارسة الحقوق الانتخابية إضافة إلى ممارسة أساليب الضغط المكثف في الكونغرس (Lobbying) سواء لانجاح مشروع أو شخص مؤيد لها، أو افشال المعارضين، وكذلك إعلام الأمريكيين بالسجل الانتخابي لممثليهم المحليين والاتحاديين وتدريب القادة واعدادهم. . . إلخ(٨٠).

ولا يتوقف طموح جيري فولويل في العمل الديني والسياسي عند حد معيّن. فقد أعلن في ٣ كانون الثاني/يناير ١٩٨٦ عن تأسيس منظمة سياسية جديدة أسماها «اتحاد الحرية» (Liberty Federation) كمنظمة شقيقة لـ «الأغلبية الأخلاقية» لتكون «بمثابة جماعة ضغط سياسية منظمة ولتوسيع قاعدة تعامله مع القضايا الرئيسية في المجتمع»(٨١). كما قام بشراء شبكة تلفزة في ولاية فلوريدا اسمها «الشبكة المسيحية الوطنية» (The National Christian Network) تبث برنامجاً استعراضياً يومياً لمدة ساعة ونصف، لخدمة أهداف منظمته الجديدة. ويعتقد أن عدد مشاهدي هذه الشبكة المرئية يبلغ خمسة ملايين مشاهد(٨٢).

أما منظمته الأولى «الأغلبية الأخلاقية» فهي تستخدم برامجه الكنسية المرئية السابق ذكرها، كما تصدر تقريراً اذاعياً يشترك فيه أكثر من ألف محطة اذاعية دينية وغير دينية حسب احصاءات عام ١٩٨١(٨٣).

(٧٨) Falwell, *Listen America*, p. 215.
(٧٩) Kater, *Christian on the Right*, p. 15.
(٨٠) Falwell, Ibid., pp. 190-210.
(٨١) *Washington Jewish Week* (2 February 1986).
(٨٢) *Religious Broadcasting Magazine* (February 1986), p. 138.
(٨٣) Falwell, *Listen America*, p. 223.

ولعل أبرز نشاطات منظمة «الأغلبية الأخلاقية» منذ تأسيسها حتى الآن هو دورها السياسي في تعبئة الملايين من الأمريكيين في اتجاه ممارسة الحق الانتخابي. فقد سجلت في انتخابات الرئاسة والكونغرس في عامي ١٩٨٠ و١٩٨٤ ما يقارب من ثمانية ملايين ناخب[٨٤]. وحتى لو كان هذا العدد مبالغاً فيه، فإن نصفه على الأقل يشكّل حدثاً مثيراً ومؤثراً في سير الانتخابات.

وعلى سبيل المثال، فقد سجلت منظمة «الأغلبية الأخلاقية» في انتخابات الكونغرس عام ١٩٨٤، في ولاية كارولينا الشمالية، ما يقارب من مائتي ألف صوت لصالح انجاح السناتور جيسي هيلمز (Jesse Helms)[٨٥].

وقد تحوّل هذا السناتور، بعد أن كان كثير الانتقاد لسياسات إسرائيل وبخاصة غزوها للبنان في صيف عام ١٩٨٢، إلى مناصر وداعم لإسرائيل، وأعلن فولويل بنفسه عن نجاح حملته بتحويل هذا السياسي الأمريكي إلى مصلحة إسرائيل، مما يعكس تأثير «الأغلبية الأخلاقية» السياسي، وأهمية دورها في خدمة الصهيونية[٨٦].

وقد أنفقت منظمة «الأغلبية الأخلاقية» خلال انتخابات عام ١٩٨٤ حوالى مائة مليون دولار على الدعاية في محطات التلفزة، وكذلك على التنظيم والتعبئة السياسية[٨٧] وهو مبلغ يفوق ما أنفقه الرئيس رونالد ريغان ومنافسه المرشح الديمقراطي مونديل معاً خلال حملة الانتخابات[٨٨].

تنظر منظمة «الأغلبية الأخلاقية» إلى مسألة دعم إسرائيل كأحد أهم بنود برامجها. فهي تقود وتنظم زيارات الجماعات المسيحية، وبخاصة من القيادات اللاهوتية، إلى إسرائيل منذ مطلع عام ١٩٨٠. وفي هذا العام زار إسرائيل حوالى ربع مليون أمريكي، كان من بينهم مائة ألف مسيحي أصولي[٨٩]. ويقول رونالد غودوين، نائب رئيس منظمة الأغلبية الأخلاقية، إن منظمته تعمل على ترتيب رحلات إلى إسرائيل، بالتعاون مع شركة طيران العال الإسرائيلية لكي يتمكن أكبر

---

(٨٤) *Time* (2 September 1985), p. 51.

(٨٥) المصدر نفسه، ص ٥١.

(٨٦) Donald E. Wagner and Hassan Haddad, eds., *All in the Name of the Bible* (Chicago, Ill.: Palestine Human Rights Campaign, 1985), p. 20.

(٨٧) *Christian Science Monitor* (30 October 1984).

(٨٨) يعزى نجاح الرئيس ريغان في جذب أصوات أغلبية الطبقة العاملة في الشمال، والبيض في الجنوب، وهما قوتان معروفتان بدعمهما التقليدي للحزب الديمقراطي، إلى تعاونه مع الحركة المسيحية الأصولية بخاصة منظمة الأغلبية الأخلاقية.

(٨٩) *Washington Post* (6 March 1981).

عدد من الأمريكيين من التعرف على طموحات ومشاكل وحاجات إسرائيل المعاصرة[٩٠].

ويقود جيري فولويل بنفسه بعض هذه الجماعات، وخصوصاً من القيادات الدينية. ويلتقي خلالها مع المسؤولين الإسرائيليين، وهو يؤمن بأنه «يتوجب على كل مسيحي أن يجعل من بين أهداف حياته الشخصية زيارة إسرائيل»[٩١].

وقد بدأ زياراته الشخصية لإسرائيل منذ أواخر الستينات. وعقدت منظمة الأغلبية الأخلاقية أول مؤتمر سنوي لها في مدينة القدس في عام ١٩٨٣[٩٢]. وفي هذا العام، قدّم دعماً مالياً لتأسيس منظمة يمينية متطرفة يهودية مشابهة في برامجها لمنظمة «الأغلبية الأخلاقية» هي «اليمين الإسرائيلي الجديد» (The New Israeli Right). وقد أسسها الإسرائيلي المتعصب افيغدور اسكين (Avigdor Eskin) ويعتبرها جيري فولويل «شقيقة» لمنظمته «الأغلبية الأخلاقية»[٩٣]. وعاد، في نهاية عام ١٩٨٣، ٧٠٠ أمريكي، معظمهم من الأصوليين، إلى زيارة إسرائيل، والاستماع إلى أحاديث سياسية فيها، من بينها لقاء المجموعة مع موشي ارينز، وزير الدفاع في ذلك الوقت، الذي تحدث معهم عن أهمية غزو إسرائيل للبنان في خريف عام ١٩٨٢[٩٤].

وقد أسس جيري فولويل مع جماعات أصولية أخرى في مطلع الثمانينات شركة طيران خاصة، بغرض تنظيم رحلات إلى إسرائيل اسمها (The Lord's Airline) أي طيران المسيح ومقرها في ولاية نيو جرسي. وتحمل شعار «بارجة القدس» (Flagship Jerusalem). وقد ساهمت في تنظيم «صلاة إفطار لأجل إسرائيل». ففي شباط/فبراير ١٩٨٦ حضرها أكثر من أربعة آلاف قيادي أصولي[٩٥]. وفي مطلع عام ١٩٨٠، قاد زعيم «الأغلبية الأخلاقية» حملة توقيعات على برقية بعث بها إلى الرئيس ريغان، حثّه فيها على مواصلة ما أعلنه من التزامات تجاه إسرائيل خلال حملته الانتخابية في عام ١٩٨٠. وقد لاقت هذه البرقية ترحيباً واسعاً من قبل إسرائيل ويهود الولايات المتحدة الأمريكية[٩٦].

وحينما ضربت إسرائيل المُفاعل الذري العراقي في حزيران/يونيو ١٩٨١، تلقى

---

(٩٠) *New York Times* (24 February 1982).

(٩١) Simon, *Jerry Falwell and the Jews*, p. 61.

(٩٢) *Washington Post* (21 November 1984).

(٩٣) Donald E. Wagner, «A Ministry of Advocacy for Palestinian Justice within American Evangelical Christian Zionism,» (Ph. D. Thesis, University of Chicago, 1984), p. 57.

(٩٤) المصدر نفسه، ص ٥٦.

(٩٥) *Washington Jewish Week* (13 February 1986).

(٩٦) **Blitzer**, *Between Washington and Jerusalem: A Reporter's Notebook* p. 193.

جيري فولويل مكالمة هاتفية من مناحيم بيغن، رئيس وزراء إسرائيل في ذلك الحين، طلب فيها مساعدته لتعبئة الرأي العام الأمريكي وراء دعم العمل العسكري الإسرائيلي ضد المُفاعل الذري العراقي(٩٧). وقد تولى بعد ذلك جيري فولويل ابلاغ الرسالة الإسرائيلية إلى أكثر من ثمانين ألف واعظ يتبعون منظمته. وأخذ ينشر البيانات، ويتحدث في برامجه الكنسية المرئية والمسموعة عن أن «الوقوف ضد إسرائيل هو وقوف ضد الله»(٩٨). ويردد التبريرات الإسرائيلية نفسها حول العملية العسكرية، القائلة بأنها كانت دفاعاً عن النفس، ولحماية أطفال إسرائيل(٩٩). كما بعث ببرقية إلى رئيس وزراء إسرائيل، مناحيم بيغن، يقول فيها: مبروك عليك هذه المهمة، التي جعلتنا فخورين جداً لأننا صنعنا هذه الطائرة إف ـ ١٦ (١٠٠). وحينما قصفت الطائرات الإسرائيلية المدنيين في جنوب لبنان وبيروت في تموز/يوليو ١٩٨١، وقتلت أكثر من مائتي مدني، قام زعيم «الأغلبية الأخلاقية» جيري فولويل، بالاتصال تلفونياً برئيس وزراء إسرائيل آنذاك، من أجل «تشجيع وابهاج روحه» وذلك في الوقت الذي كانت فيه قيادات يهودية أمريكية تعلن أن مناحيم بيغن ليس هو إسرائيل، وتوجِّه نقداً قاسياً إلى الحكومة الإسرائيلية(١٠١).

ولا يجد زعيم «الأغلبية الأخلاقية» حرجاً في الاعلان عن صهيونيته فيقول:

«إنني صهيوني، وأؤمن نظرياً ونبوءةً وسياسياً بأن أرض فلسطين والأردن هي للشعب الإسرائيلي، ولا أحبذ أن تتخذ إسرائيل أي قرار بإعادة أي أرض لجيرانها العرب، فإذا لم تكن إسرائيل موجودة فإن المصالح الغربية ستكون مهدده من قبل العرب، ولذلك فلا بد أن تكون إسرائيل قوية»(١٠٢).

وحينما حدثت مجازر اللاجئين الفلسطينيين في صبرا وشاتيلا في أيلول/سبتمبر ١٩٨٢، أصدرت منظمة «الأغلبية الأخلاقية» بياناً تدافع فيه عن دور إسرائيل، وتهاجم فيه الصحافة العالمية، وتتهمها بالكذب وتدافع عن مناحيم بيغن قائلة: «إنه كان كبش الفداء، وضحية تحيّز الصحافة العالمية، رغم أنه قائد شعب حر وانُتخب ديمقراطياً»(١٠٣). ومن هنا يفهم، لماذا يقول أحد مساعدي مناحيم بيغن عن «الأغلبية الأخلاقية» بأنها

---

(٩٧) المصدر نفسه.

(٩٨) Falwell, *Listen America*, p. 114.

(٩٩) Richard H. Curtis, *A Changing Image: American Perceptions of the Arab-Israeli Dispute* (New York: American Educational Trust, 1982), p. 136.

(١٠٠) *Washington Star* (6-7 July 1981).

(١٠١) Curtis, Ibid., p. 137.

(١٠٢) Simon, *Jerry Falwell and the Jews*, p. 98.

(١٠٣) المصدر نفسه، ص ٨٤.

«أحد أهم أعمدة إسرائيل في الولايات المتحدة الأمريكية، وإن عددهم عشرة أضعاف عدد اليهود فيها»(١٠٤).

تقف «الأغلبية الأخلاقية»، ضد سياسة بيع العرب أية أسلحة متطورة أمريكية. فقد قاد جيري فولويل وجماعات أصولية أخرى حملة ضغط منظمة في تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨١، ضد شراء المملكة العربية السعودية أسلحة أمريكية. ونشرت هذه الجماعات اعلاناً باهظ الثمن في عدد من الصحف الرئيسية، يشير إلى أن وجود الأسرار العسكرية الأمريكية في أيدي العرب، هو تهديد للأمن الأمريكي، وأن المملكة العربية السعودية أعلنت الجهاد المقدس ضد إسرائيل(١٠٥). وحث الاعلان الكونغرس على رفض هذه المبيعات للعرب.

لعبت منظمة «الأغلبية الأخلاقية» في عام ١٩٨٤ دوراً مؤثراً في اجتذاب التأييد في الكونغرس والرأي العام، لمصلحة مشروع القرار الذي طُرح في الكونغرس بنقل سفارة الولايات المتحدة من تل أبيب إلى القدس(١٠٦). وتوضح شهادة الاستماع، التي أدلى بها القس جيري فولويل زعيم «الأغلبية الأخلاقية»، أمام اللجنة الفرعية لأوروبا والشرق الأوسط، التابعة للجنة الشؤون الخارجية بمجلس النواب في ١٩٨٤/٥/١ أثناء بحثها لمشروع القرار هذا، مدى عمق صهيونيته، والتزامه بإسرائيل وسياساتها، وعدائه للعرب والاسلام.

فقد ذكر في شهادته: أنه منذ أكثر من عشرين عاماً وهو يدعم إسرائيل والشعب اليهودي، وأن القدس عاصمة اليهود منذ آلاف السنين، وأن نقل السفارة الأمريكية اليها خطوة مبررة دينياً وصحيحة سياسياً، وأن إسرائيل هي الدولة الوحيدة في العالم التي يُنكر حقها في اختيار مكان عاصمتها (١٠٧).

وقد كان لنشاط الجماعات المسيحية الأصولية، ومنها «الأغلبية الأخلاقية»، تأثير في اتجاهات الادارة الأمريكية في النصف الأول من الثمانينات. فهي تعمل في الداخل باتجاه تدعيم وتبني برامجها، وبخاصة الصلاة في المدارس ووصول قيادات منها إلى مراكز رئيسية في الادارة مثل وزير التربية وليام بينيت ومساعده رويت بيلنغز، الذي كان يعمل كعميل (Lobby) لهذه المنظمة(١٠٨). كما قام الرئيس الأمريكي ريغان

---

(١٠٤) *Washington Post* (6 March 1981).

(١٠٥) *Washington Post* (26 October 1981).

(١٠٦) *Washington Jewish Week* (23 February 1984).

(١٠٧) المصدر نفسه.

(١٠٨) *Time* (2 September 1985), p. 51.

بالتداول مع جيري فولويل قبل تعيين امرأة في المحكمة العليا[١٠٩]، كما شكّل الأصوليون ٢٢ بالمائة من الأصوات الانتخابية في عام ١٩٨٤[١١٠]. وتعمل في الخارج باتجاه تقديم أكبر عون لإسرائيل، ودعم لسياساتها وممارسة الضغوط المنظمة على الكونغرس، والادارة الأمريكية، والتأثير في الرأي العام لمصلحتها.

وتؤمن منظمة «الأغلبية الأخلاقية» بأن أفضل مال تنفقه الولايات المتحدة الأمريكية هو المال الذي تقدمه إلى إسرائيل[١١١]. وعقد فولويل في آذار/مارس ١٩٨٥، مؤتمراً في مدينة القدس المحتلة حول «النبوءة التوراتية» حضره أكثر من ٨٣٠ من أعضاء وقيادات «الأغلبية الأخلاقية»، كما حضره وزراء إسرائيليون وعسكريون[١١٢].

وقد عبّرت المنظمات الصهيونية في الولايات المتحدة الأمريكية، وحكومة إسرائيل عن اعجابها وتقديرها للقس جيري فولويل ومؤسساته الاعلامية ومنظمته السياسية. وأقام الصندوق القومي اليهودي في نيويورك في مطلع عام ١٩٨٠ حفلاً لتكريمه، وقدّمت إليه إسرائيل في هذا الحفل ميدالية الزعيم الصهيوني زئيف غابوتنسكي في ذكرى ميلاده المائة، وقد سلّمه إياها رئيس وزراء إسرائيل الأسبق مناحيم بيغن تقديراً لخدمات فولويل البارزة لدولة إسرائيل والشعب اليهودي[١١٣]. كما زرعت إسرائيل غابة باسم جيري فولويل في أحد جبال القدس[١١٤].

٢ - بات روبرتسون وشبكة الاذاعة المسيحية

يعتبر القس بات غوردون روبرتسون، أحد الأوائل من رجال الكنيسة الذين تنبهوا إلى أهمية تأثير الكنيسة المرئية العام وقوة هذا التأثير. فقد قام منذ عام ١٩٦١ بشراء محطة تلفزة في بورتسموث في فرجينيا، وأصبحت الآن شبكة واسعة من المحطات تغطي الولايات المتحدة الأمريكية إضافة إلى ٦٠ دولة أجنبية. وتستخدم قمراً صناعياً في البث الاذاعي والتلفزيوني. وبلغ صافي دخلها السنوي ٢٣٣ مليون دولار في عام ١٩٨٥[١١٥]. وتعود أصول هذا القس إلى أسرة هاريسون الأمريكية.

(١٠٩) *Christian Science Monitor* (19 March 1986).
(١١٠) Ibid. (3 October 1984).
(١١١) *Washington Jewish Week* (13 February 1986).
(١١٢) *Washington Times* (4 March 1985).
(١١٣) Blitzer, *Between Washington and Jerusalem: A Reporter's Notebook,* p. 194.
(١١٤) يحظى جيري فولويل كلما زار إسرائيل باستقبال حار وتغطية إعلامية واسعة.
(١١٥) Young, *God's Bullies,* pp. 200-210.

وكان أحد أفرادها ممن وقّع على اعلان الاستقلال الأمريكي. وكان والده عضواً في مجلس الشيوخ لمدة ٣٤ عاماً. أما في عام ١٩٨٨ فإن روبرتسون أعلن نفسه أحد المرشحين لرئاسة الولايات المتحدة الأمريكية في انتخابات الرئاسة[١١٦]. وبذلك يكون ثاني قس في التاريخ الأمريكي يرشح نفسه لرئاسة الجمهورية بعد القس جيسي جاكسون في عام ١٩٨٤. ويقف روبرتسون على رأس مؤسسة منظمة، متشعبة الأغراض والوسائل، ولها جذور شعبية وتأثير واسع[١١٧]. ويعتقد روبرتسون أنه الأكثر جدارة لمواصلة برنامج الرئيس الأمريكي رونالد ريغان بعد انتهاء ولايته في عام ١٩٨٨[١١٨]. كما يعتبره الحزب الديمقراطي أكثر قيادات اليمين تطرفاً في الولايات المتحدة الأمريكية[١١٩]. وتعتبر أجهزة روبرتسون، وبخاصة شبكته الاعلامية المسمّاة «شبكة الاذاعة المسيحية» (Christian Broadcasting Network) واختصارها CBN، من بين الشبكات الأكثر حداثة وتجهيزاً في عالم التلفزة. كما أنه الأكثر حذقاً ونشاطاً في توصيل رسالته في عالم الكنيسة المرئية[١٢٠]. وتقف هذه الشبكة الاذاعية المسيحية، وبرامجها، على رأس قائمة أهم الشبكات المسيحية المرئية والمسموعة، وأكثرها اجتذاباً للمشاهدين. كما تحتل الموقع الرابع بعد شبكات التلفزة الرئيسية الثلاث في الولايات المتحدة الأمريكية[١٢١].

وتملك هذه الشبكة المسيحية أربع محطات تلفزة وشبكة سلكية (Cable)، وبرنامجاً استعراضياً يعرض عدة مرات يومياً يسمى «سبعمائة نادٍ» (700 Club) وهو يُبث في جميع أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية ومعظم دول «العالم الحر»[١٢٢]. كما تبث برنامجاً اخبارياً ليلياً مدته نصف ساعة على محطاتها التلفزيونية الرئيسية في بورتسموث ودالاس وبوسطن.

وتملك مؤسسة روبرتسون أيضاً جامعة معتمدة منذ عام ١٩٧٧ هي جامعة سي. بي. إن. (CBN University)، وهي تمنح درجة الماجستير إضافة إلى الشهادات

(١١٦) *Religious Broadcasting Magazine* (February 1986), p. 65.
(١١٧) المصدر نفسه، ص ٦٦.
(١١٨) *Newsweek* (3 March 1986), p. 72.
(١١٩) *Washington Times* (11 February 1986).
(١٢٠) Welsey Granberg, *The Evangelical Right and Israel* (Washington, D.C.: American-Arab Anti-Discrimination Committee, 1982), p. 5.
(١٢١) الشبكات التلفزيونية الثلاث الرئيسية هي (NBC)، (ABC)، (CBS). كما تقدر مجلة التايم أن شبكة الاذاعة المسيحية تصل إلى ٣٠ مليون منزل. انظر: *Time* (2 September 1985).
(١٢٢) *Religious Broadcasting Magazine* (February 1986), p. 66.

الجامعية الأخرى. وفيها كليات للاعلام والتربية وادارة الأعمال والقانون والدراسات التوراتية[١٢٣]. كما تصدر نشرة إخبارية شهرية تضم ربع مليون مشترك وتسمى (Pat's Perspective) أي «مواقف بات روبرتسون». وقد اعتاد أن يقول فيها إن «إسرائيل هي أمّة الله المفضّلة» (God's Favoured Nation)[١٢٤]، وأن يدعو إلى الدعم الأمريكي لإسرائيل، ويؤيد احتلالها الأراضي العربية، ويقف ضد إقامة دولة للفلسطينيين.

ولعل أبرز نشاطات روبرتسون وأكثر منابره تأثيراً وجماهيرية برنامج الكنيسة المرئية المسمّى «السبعمائة نادٍ» (700 Club) ويذاع عدة مرات يومياً في محطات البث العادية وبخاصة القناة رقم ١٠، وأربع مرات يومياً من خلال شبكة سي. بي. إن. ويجذب هذا البرنامج ٤ ملايين و٤٠٠ ألف شخص يومياً، وبخاصة في قطاع النساء، فضلاً عن المشاهدين في سن الشباب. كما يظهر هذا البرنامج لمدة ساعة ونصف في أكثر من ١٣٠ محطة تلفزة، وفي ٦٢٨٨ محطة سلكية تلفزيونية، بالإضافة إلى المحطات التلفزيونية الأربع التي تملكها شبكة سي. بي. إن.[١٢٥].

ويقول روبرتسون عن برنامجه «السبعمائة نادٍ»، إنه أكثر جاذبية من مجلات وأفلام الجنس، لأن برنامجه ليس دينياً فقط، بل هو ترفيهي ويعالج مسائل السياسة والفن والرياضة والكوميديا...[١٢٦].

ويقول أيضاً إن برنامجه يتسلّم أكثر من أربعة ملايين مكالمة تليفونية سنوياً، تطلب ارشادات واستشارات منه، مما يجعله على رأس قائمة مستخدمي الخط التليفوني المجاني رقم (٨٠٠) في كل أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية[١٢٧]. ويدل ذلك على مدى تأثير هذا النوع من البرامج في ثقافة الشعب الأمريكي.

وقد لاحظت خلال مشاهدتي المتكرّرة لهذا البرنامج، في الفترة من عام ١٩٨٠ حتى منتصف عام ١٩٨٦، أنه يبدأ عادة بالتحدث عن الأحداث السياسية والاجتماعية الجارية في الولايات المتحدة الأمريكية وفي العالم. ويتناول ذلك بأسلوب جذّاب موجّهاً عنايته للمشاهد، محاولاً اكتساب موافقته على تحليله للأخبار.

ثم ينتقل بعد ذلك إلى أحاديث المجتمع ممزوجة بخليط من الأنباء والمقابلات

(١٢٣) المصدر نفسه، ص ٧٦.

(١٢٤) Pat Robertson, «Pat's Perspective,» *Sojourners* (September 1979), p. 18.

(١٢٥) News From CBN (25 October 1985).

(١٢٦) *Religious Broadcasting Magazine* (February 1986), p. 68.

(١٢٧) المصدر نفسه، ص ٦٦.

والقراءات التوراتية والموسيقى والمناقشات المتنوعة مع ضيوف برنامجه. ويبدو باستمرار راغباً في بناء جسور بين كل الطوائف المسيحية. ويُكثر من الحديث عن التراث المسيحي - اليهودي المشترك[١٢٨].

ويقول روبرتسون عن برامجه ونشراته الاخبارية، إنها تصل إلى عدد من المشاهدين والقراء يفوق اعداد الذين تصلهم مجلات التايم ونيوزويك وصحف واشنطن بوست ونيويورك تايمز ولوس انجلوس تايمز مجتمعة[١٢٩].

ولا يوجد في عقل بات روبرتسون سوى الأيام الأخيرة من هذا الزمان، وغزو السوفيات والعرب لإسرائيل، واللامسيحية، وتزايد الزلازل والبراكين. والمجيء الثاني للمسيح[١٣٠]. وتتمحور الاجابة عن هذه القضايا عنده في أن إعادة مولد إسرائيل هي الاشارة الوحيدة إلى أن العدّ التنازلي لنهاية الكون قد بدأ، كما أنه مع مولد إسرائيل، فإن بقية النبوءات أخذت تتحقق بسرعة[١٣١].

ويبدو برنامجه باستمرار معادياً للعرب، وهو يعتبرهم «أعداء الله» «ويعتبر أنه لا مجال للعدل مع الفلسطينيين طالما أن رغبة الله هي في تأسيس إسرائيل، وفي تعيين حدودها»[١٣٢]. ولا مجال لديه في برنامجه لأي حوار مع المسيحيين العرب. لكنه يفتح برنامجه لضيوف من إسرائيل، ومن الجماعة اليهودية الأمريكية. كما يحتفل في برنامجه بأعياد اليهود باستمرار. وقرّر روبرتسون عن بداية تصميمه العمل لصالح إسرائيل، قائلاً: «لقد أقسمت نذراً لله، بأنه رغم المعارضة لإسرائيل من حولي، فإننا سنقف بجانب إسرائيل مهما يكن...». وقد كان ذلك نقطة تحوّل لعموم رعوية مؤسسات الشبكة الاذاعية المسيحية[١٣٣].

ومن الأمثلة على ما يدور في برنامجه «السبعمائة نادٍ» من دعم لنصرة إسرائيل وخدمتها، استضافته في ٢٨ تموز/يوليو ١٩٨١ مخرج فيلم «تفاحات الله» (Apples of God) وهو عبارة عن فيلم وثائقي عن تاريخ الصهيونية، وقيام إسرائيل، وقد قدّم المخرج قائلاً: «نعرف نحن المسيحيين من صميم قلوبنا، أن الله يقف بجانب إسرائيل، وليس بجانب العرب الارهابيين»[١٣٤].

(١٢٨) *Time* (2 September 1985).

(١٢٩) *New York Times* (19 August 1984).

(١٣٠) Kater, *Christian on the Right,* p. 56.

(١٣١) المصدر نفسه، ص ٥٧.

(١٣٢) Granberg, *The Evangelical Right and Israel,* p. 6.

(١٣٣) من نص رسالة بات روبرتسون إلى أصدقاء شبكة الاذاعة المسيحية في:
Pat Robertson, «Pat's Perspective,» *Religious Broadcasting Magazine* (April 1982).

(١٣٤) *Washington Post* (23 August 1981).

وقدم في ٥ نيسان/ابريل ١٩٨٢، في البرنامج عدداً من قيادات منظمة صهيونية مسيحية (السفارة المسيحية الدولية ـ القدس). وفي اليوم التالي استضاف البرنامج القس مايك ايفانز، صاحب البرنامج الكنسي المرئي المسمّى «إسرائيل: مفتاح أمريكا للبقاء» (Israel: America's Key to Survival)، وأعاد تقديمه مرة ثانية في ١٩ أيار/مايو ١٩٨٢.

ويعتبر روبرتسون نفسه خبيراً في شؤون الشرق الأوسط وبخاصة في شؤون لبنان. ويرى في هذه الخبرة أحد المؤهلات لترشيح نفسه لرئاسة الجمهورية عام ١٩٨٨[١٣٥]. ونتيجة اهتمامه بإسرائيل فقد قام في ١٠/٤/١٩٨٢ بامتلاك وادارة القناة التلفزيونية ١٢ المسماة «نجمة الأمل» (Star of Hope) في جنوب لبنان. وبدأت تبث الأخبار يومياً مفتتحة مرحلة ما زالت مستمرة حتى الآن، من الانخراط في سياسة المنطقة وفي مشكلة الصراع العربي ـ الإسرائيلي[١٣٦]. وتبث هذه المحطة التلفزيونية إرسالها من المنطقة التي يسيطر عليها الجيش المنشق عن الجيش الشرعي اللبناني بقيادة الرائد سعد حداد (ومن بعده انطوان لحد)، والمتعاون مع إسرائيل، إذ يسمح لهؤلاء المتعاونين مع إسرائيل باستخدام هذه المحطة. وحينما اشترى روبرتسون هذه المحطة من القس الصهيوني جورج اوتس، مؤسس منظمة صهيونية مسيحية أخرى تسمى «رعوية المغامرة الكبرى» (High Adventure Ministry)، هاجم في حفل الافتتاح الاسلام والعرب وقال: «لا يسد القرآن والتعاليم الاسلامية أعمق حاجات الروح الانسانية... هذه هي أيام عصيبة حيث يستند الإسلام إلى عقيدة منقسمة على نفسها وتتطلع إلى الشيوعية أو المادية طلباً للاجابة... ومع وجود مشاعر سلبية عميقة لدى المسلمين، فهناك انفتاح جديد عندهم لتقبّل رسالة الانجيل، إذا ما قُدّمت إليهم بواسطة التلفزيون»[١٣٧].

وتحدث روبرتسون أيضاً عن «الشر الكبير الموجود لدى العرب لأنهم أعداء إسرائيل»... وينفق روبرتسون بسخاء على هذه المحطة التلفزيونية. ويلقى التشجيع من حكومة إسرائيل التي تزود المحطة بالأخبار والتعليقات السياسية[١٣٨].

وفي أثناء غزو إسرائيل للبنان في صيف عام ١٩٨٢، طلب روبرتسون في برنامجه «السبعمائة نادٍ» إلى المشاهدين أن «يكتبوا إلى الرئيس ريغان، ويدعوا أعضاء الكونغرس إلى حث إسرائيل على مواصلة غزوها للبنان، إلى الحد الذي تراه إسرائيل ضرورياً»[١٣٩]. ورأى في

(١٣٥) *Religious Broadcasting Magazine* (February 1986), p. 66.
(١٣٦) Robertson, «Pat's Perspective,» *Religious Broadcasting Magazine* (April 1982).
(١٣٧) دير، الحلف الآثم، ص ٦.
(١٣٨) المصدر نفسه، ص ٧.
(١٣٩) المصدر نفسه، ص ٦.

عملية الغزو خدمة يؤديها الجيش الإسرائيلي إلى الشعب اللبناني[١٤٠].

وقد ظهر روبرتسون في التاسع من حزيران/يونيو ١٩٨٢، وفي أثناء حصار قوات الغزو الإسرائيلي لبيروت، في برنامجه «السبعمائة نادٍ»، وفسّر المعركة الجارية في لبنان لاتباعه ومشاهديه. وبعد أن شرح لهم استراتيجية المعركة من وجهة نظر إسرائيلية، بدأ يكرر بهدوء الواثق من الخلاص من الشر في معركة **هرمجدّون**. ثم أخذ يقول: «إنني أضمن لكم أنه بحلول خريف ١٩٨٢، ستنزل ضربة القضاء على الدنيا. وسيحلّ الحكم النهائي على الاتحاد السوفياتي. فالروس هم الذين سيقومون بالمغامرات العسكرية وسوف يُضربون...»[١٤١]. ثم نظر إلى لوحة معلقة على الحائط أمام الكاميرا، وأشار إلى خريطة الشرق الأوسط وكرّر كلاماً من التوراة يتحدث عن تجمّع يقوده ياجوج (وفسّره على أنه الاتحاد السوفياتي) في أرض ماجوج (فلسطين) وستنضم إليه شعوب بيت توجارما (أرمينيا) ويوت (أي ليبيا)، وروش (أثيوبيا)، وجومر (اليمن الديمقراطية) وفارس (ايران)[١٤٢]. وتحدّث بعد ذلك عن دور الولايات المتحدة الأمريكية ودعمها لإسرائيل، واستخدامها حق الفيتو في مجلس الأمن للحيلولة دون إدانة غزو إسرائيل. وخلص إلى القول بحتمية المعركة النهائية، واشتعال المنطقة، باعتبار ذلك أحد معتقداته التوراتية بنهاية الأزمنة. وفي نهاية البرنامج كرّر روبرتسون طلبه إلى المشاهدين، ضرورة الاسراع للاتصال بالبيت الأبيض والكونغرس والمطالبة باستمرار دعم إسرائيل وتأييد غزوها للبنان.

يشير روبرتسون في نشراته إلى قصة استيلاء إسرائيل على القدس في حرب حزيران/يونيو ١٩٦٧. ويعتبر أن ذلك «أهم حدث تنبؤي في تاريخ حياتنا... وأن زمان غير اليهود قد قارب على النهاية... وأن شبكته الاذاعية ستكون جزءاً حيوياً من حركة الآلة نحو دعم إسرائيل»[١٤٣].

وكان روبرتسون ضمن الوفد الرسمي الأمريكي المرافق لنائب الرئيس بوش في زيارته الرسمية إلى السودان في شباط/فبراير ١٩٨٥. وقد وُقّع على أثرها اتفاق أمريكي ـ سوداني بترحيل يهود أثيوبيا (الفلاشا) إلى إسرائيل[١٤٤].

كما بعث روبرتسون بحمولة طائرة نفاثة إلى السودان في مطلع عام ١٩٨٥،

(١٤٠) المصدر نفسه، ص ٧.
(١٤١) المصدر نفسه، ص ٧.
(١٤٢) المصدر نفسه، ص ١٤.
(١٤٣) Robertson, Ibid.
(١٤٤) *New York Times* (1 March 1985).

محملة بالطعام والأدوية إلى اليهود اللاجئين فيها[١٤٥]. ويقوم باستمرار بتقديم تبرعات مالية إلى المنظمة الصهيونية المساة «النداء اليهودي الموحد». وافتتح في مطلع عام ١٩٨٢ مكتباً للأنباء في القدس لتغطية أخبار إسرائيل وتوزيعها على أجهزة الإعلام الأمريكية[١٤٦].

وتأتي معظم موارد روبرتسون المالية من حصيلة التبرعات، ومن استشاره لمحطات وبرامج كنيسته المرئية والمسموعة. ويقوم عادة بطلب دعم برامجه خلال عمليات البث المرئية. ويتلقى المتبرع نشرات مؤسسات روبرتسون، وأشرطة تسجيل أحاديثه، وبطاقة عضوية برنامج «السبعمائة نادٍ» وشهادة بهذه العضوية[١٤٧].

وقد كان للحركة المسيحية الأصولية أثر كبير في اتجاهات الانتخابات الأمريكية في عامي ١٩٨٠ و١٩٨٤. ويبرز تأثير قوة هذه الحركة واضحاً ومؤثراً حينما يُطرح الصراع العربي - الإسرائيلي للنقاش. فبات روبرتسون ينظر إلى العرب على أنهم أعداء الله، لأنه يعتبر صراع العرب مع إسرائيل ومعارضتهم لها تحدياً لإرادة الله. ويزرع هذه الأفكار ويغذيها في برامجه ونشراته ومؤسساته التعليمية، وشبكته الاذاعية والمرئية الممتدة داخل عشرات من الدول الأجنبية، ومن بينها جزء من الوطن العربي من خلال بثه لمحطة تلفزيون «نجمة الأمل» في جنوب لبنان، التي يغطّي بثها أجزاء من سوريا والعراق وتركيا ومصر وغيرها.

كما تبرز أهمية روبرتسون ومؤسساته المنظمة في طموحاته السياسية للوصول إلى رئاسة الجمهورية في انتخابات عام ١٩٨٨. وبخاصة أن أكثر من ٢٢ مليون مسيحي أصولي أصبحوا أعضاء في الحزب الجمهوري، بفعل نشاط روبرتسون وحلفائه في الحركة المسيحية الأصولية[١٤٨].

٣ - جورج أوتيس ومنظمة «رعوية المغامرة الكبرى»

القس جورج أوتيس هو أحد أبرز القياديين في الكنيسة المرئية والصهيونية المسيحية المنظمة. وقد مارس العمل الاستعراضي الكنسي المرئي منذ أوائل السبعينات في ولاية كاليفورنيا. وظل صديقاً للرئيس رونالد ريغان منذ أن كان حاكماً لهذه الولاية، وبعد أن وصل إلى البيت الأبيض اعتباراً من عام ١٩٨٠.

(١٤٥) المصدر نفسه.

(١٤٦) Wagner, «A Ministry of Advocacy for Palestinian Justice within American Evangelical Christian Zionism,» p. 92.

(١٤٧) Kater, *Christian on the Right*, p. 105.

(١٤٨) *Washington Times* (11 February 1986).

ويترأس جورج أوتيس منظمة سياسية دينية تسمّى «رعوية المغامرة الكبرى» (High Adventure Ministry). وتؤمن هذه المنظمة بمبدأ عصمة التوراة وبدور إسرائيل الحديثة في تقريب موعد العودة الثانية للمسيح، وبالالتزام بدعم إسرائيل والدفاع عن سياساتها.

وقد كانت «رعوية المغامرة الكبرى» من بين المنظمات الصهيونية المسيحية التي صاغت وموّلت الاعلانات الباهظة الثمن في كبريات الصحف الأمريكية عقب غزو إسرائيل لبنان في صيف ١٩٨٢. ومما جاء في هذه الاعلانات: «نحن ملتزمون بأمن إسرائيل، كما نؤمن بأن كل الأرض المقدسة هي ميراث للشعب اليهودي غير قابل للنقل أو التصرف، وهو الوعد الذي أعطي إلى ابراهيم واسحق ويعقوب ولم يُلغَ قط. كما أن إنشاء إسرائيل الحديثة هو ايفاء لا ينازع للنبوءة التوراتية ونذير بمقدم المسيح. . . ونعتقد أن اليهود في أي مكان ما زالوا هم شعب الله المختار وأن الله يبارك من يباركهم»[١٤٩].

ومن أبرز نشاطات «رعوية المغامرة الكبرى» ومؤسسها ورئيسها جورج أوتيس، الانخراط المباشر في الصراع العربي - الإسرائيلي، بالتواجد المادي الملموس على أرض الصراع في جنوب لبنان. وهي أول منظمة صهيونية مسيحية تفتح الشرق الأوسط أمام الاذاعات المسيحية[١٥٠].

وكانت أول منظمة صهيونية مسيحية في العصر الحديث تقيم كنيسة مرئية ومسموعة على أرض عربية تسيطر عليها إسرائيل. فبعد غزو إسرائيل جنوب لبنان في صيف ١٩٧٨، وتأسيسها منطقة تحت سيطرتها، بتعاونها مع أحد الضباط المنشقين عن الجيش اللبناني (سعد حداد)، الذي أعلن عن تسميته هذه المنطقة «لبنان الحر»، وبتشجيع من حكومة إسرائيل، قام جورج أوتيس بافتتاح محطة اذاعية في ٩ أيلول/سبتمبر ١٩٧٩ أطلق عليها اسم «صوت الأمل» (Voice of Hope) تبث برامج معبرة عن الصهيونية المسيحية، إضافة إلى الموسيقى والأخبار والبيانات السياسية التي تصدرها مجموعة الرائد المنشق سعد حداد.

ويكشف أوتيس عن دور إسرائيل في إقامة هذه المحطة فيقول: «إن مساندة إسرائيل كانت معجزة، فهل تصورتم أنه سيأتي اليوم الذي يدفعنا فيه اليهود إلى إقامة محطة مسيحية»[١٥١].

(١٤٩) *New York Times* (11 November 1982).

(١٥٠) *Religious News Service* (23 April 1982), p. 5.

(١٥١) Findley, *They Dare to Speak Out: People and Institutions Confront Israel's Lobby,* p. 242.

وتأتي هذه المحطة المسموعة كتعبير عن الالتزام المعنوي والديني والسياسي للحركة المسيحية الأصولية بدعم الدولة اليهودية. فمن خلال اذاعة الرسائل والبيانات في المحطة المذكورة، يتم نشر الغايات العسكرية الإسرائيلية لحلفائها في جنوب لبنان[١٥٢].

ولم تمضِ عدة شهور حتى أقدم أوتيس ورعويته على تأسيس محطة مرئية، في المنطقة نفسها في جنوب لبنان، لتنضم إلى المحطة المسموعة. وأطلق عليها اسم «نجمة الأمل» كما يسميها أحياناً «تلفزيون الشرق الأوسط». وقد أنشئت اعتباراً من ١٩٨١/٣/٨ [١٥٣]. وقام القس بات روبرتسون بشراء هذه المحطة فيما بعد.

ويتم تمويل هاتين المحطتين من التبرعات النقدية المعفاة من الضرائب، كما أن شراء أجهزتها قد تم بأموال من متبرعين أمريكيين[١٥٤].

وتشكّل موضوعات وأحاديث «الرعوية الكبرى» في مضمونها صهيونية سياسية، مع أجزاء ثانوية حول المسيحية وارشاداتها، والتي لا تخرج عن تفسيرات التوراة بما يخدم غرض دعم إسرائيل ومساعدتها، ومهاجمة من يعترض طريقها. وتوضح قراءة منشورات وتقارير أوتيس ورعويته تعدّد لقاءاته مع مسؤولين إسرائيليين، وبخاصة مع رئيس وزراء إسرائيل الأسبق مناحيم بيغن.

ويذكر أوتيس في احدى هذه المطبوعات حواراً له مع مناحيم بيغن. حيث يقرأ أوتيس نصوصاً توراتية تشير إلى أن «مجد هذا البيت الأخير، سيكون أعظم من البيت السابق»[١٥٥]. وهي مقارنة ما بين إسرائيل المعاصرة وبين ملوك بني إسرائيل الواردة أخبارهم في الكتب الدينية المقدسة. ويشيد مناحيم بيغن بما سمع، ويطلب منه أن يشكر المسيحيين المؤيدين لإسرائيل والذين «جعلوا من هذا العمل الجيد في لبنان (محطتي الاذاعة والتلفزة) شيئاً ممكناً»[١٥٦].

وقد مارست فرق «رعوية المغامرة الكبرى» عملها الانجيلي الصهيوني أثناء غزو إسرائيل لبنان في صيف ١٩٨٢ في مدن جنوب لبنان الرئيسية. فقدمت إلى السكان منشوراتها ونسخ التوراة، بالإضافة إلى مواد غذائية[١٥٧]. كما ساعدت في بناء بعض

(١٥٢) المصدر نفسه، ص ٢٤٣.
(١٥٣) *Washington Post* (23 March 1981)
(١٥٤) Findley, Ibid., p. 242.
(١٥٥) George Otis, in: *High Adventure Broadcasting Network* (California), (Summer 1982), p. 4.
(١٥٦) المصدر نفسه.
(١٥٧) المصدر نفسه.

المنازل المتهدمة بفعل الغزو. وأسعفت جرحى بما تملكه من سيارات إسعاف وطائرات صغيرة، معلنة أنها تعمل في نطاق جماعة سعد حداد، وأنها «لن تقدم أية مساعدة إنسانية إلى أية أسرة فلسطينية»[١٥٨].

وقد نعت هذه المنظمة الرائد المنشق سعد حداد إثر وفاته في ١٩٨٤/١/١٤، واعتبرته «أحد أعضاء حركة المسيحيين ممن ولدوا من جديد»[١٥٩]. كما وفرت له في حياته وسيلة اتصال قوية بحكومة الولايات المتحدة الأمريكية وشعبها. وكسبت له التأييد المالي والمعنوي في أوساط المسيحيين الأصوليين الأمريكيين[١٦٠].

ومن بين الوسائل المتبادلة بين سعد حداد و«رعوية المغامرة الكبرى»، ما جاء في رسالته في ١٢ حزيران/يونيو ١٩٨٣ إلى مجلس الرعوية: «أشكركم على صلواتكم... فنحن ما كنا لنعيش لولاها... لقد قدّم الكثيرون منكم تقارير عنا لكنيستكم وجريدتكم، وهذا يساعدنا... إن أموالنا قليلة إلى حد مخيف. وإذا استطعتم أن تقدموا إلينا ما نساعد به شعبنا مادياً، فسأشكركم»[١٦١].

وقد دمرت المقاومة الوطنية اللبنانية، أجهزة وأبنية البث المرئي والمسموع، التي تملكها «رعوية المغامرة الكبرى» في مدينة مرجعيون في جنوب لبنان في ١٧ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨٥. ورغم أن خسائر الدمار قُدِّرت بأكثر من ٢٠٠ ألف دولار، فإن المحطتين واصلتا البث بعد عدة أيام من داخل حدود المنطقة التي تسيطر عليها إسرائيل داخل الأراضي اللبنانية[١٦٢]. وسبق أن ضُربت محطة التلفزيون المسماة «محطة الشرق الأوسط» في تموز/يوليو ١٩٨٣، وقدرت خسائرها بحوالى نصف مليون دولار. لكنها أصرت على مواصلة رسالتها الصهيونية المسيحية، التي تذيعها على مدى ١٨ ساعة يومياً، وبعشر لغات، من بينها اللغات العربية والانكليزية والفرنسية والروسية. لكنها لا تبث باللغة العبرية بناء على اتفاق مع الحكومة الإسرائيلية[١٦٣]. وقد ذكرت الأنباء الواردة من قرية المطلة المحتلة أن أكثر من مائة مسيحي أصولي أمريكي قد شاركوا في ١٩٨٩/٣/١٧ في احتفال بافتتاح مقر جديد لاذاعة «صوت الأمل» وبحضور الجنرال زيف زهارين، قائد قوات الاحتلال الإسرائيلي في جنوب لبنان[١٦٤].

(١٥٨) المصدر نفسه.
(١٥٩) Wagner, «A Ministry of Advocacy for Palestinian Justice within American Evangelical Christian Zionism,» p. 61.
(١٦٠) ديمر، الحلف الآثم، ص ٩.
(١٦١) المصدر نفسه، ص ٩.
(١٦٢) *Religious Broadcasting Magazine* (December 1985), p. 8.
(١٦٣) المصدر نفسه، ص ٨.
(١٦٤) **الاتحاد** (أبو ظبي)، ١٨/٣/١٩٨٩.

٤ ـ مايك ايفانز وبرامجه المرئية

يعتبر مايك ايفانز من أكثر الأصوليين إعلاناً عن علاقاته بإسرائيل. وهو الوحيد من بين المسيحيين الأصوليين من أم يهودية ويرى نفسه في مهمة ربانية . . . لحث الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل على العمل معاً من أجل الله[١٦٥].

يتمتع هذا القس بصلات واسعة مع المسؤولين الإسرائيليين. فقد التقى مع مناحيم بيغن تسع مرات خلال عامين، ويدّعي أن مناحيم بيغن أعلمه بقرار إسرائيل غزو لبنان في صيف ١٩٨٢ قبل يومين من بدء هذا الغزو[١٦٦].

وأبرز برنامج له هو البرنامج الاستعراضي المرئي المسمّى «إسرائيل: مفتاح أمريكا للبقاء» (Israel: America's Key To Survival). وقد اعتاد أن يستضيف فيه قيادات الحركة الصهيونية المسيحية، والحركة الصهيونية اليهودية، ومسؤولين إسرائيليين، فيتحدثون عن الدور الحاسم الذي تلعبه إسرائيل في المصير الروحي والسياسي للولايات المتحدة الأمريكية، وذلك عبر بث هذا البرنامج لمدة ساعة يومياً في أكثر من ٥٠ محطة مرئية (عام ١٩٨٣) كانت تغطّي أكثر من ٢٥ ولاية أمريكية[١٦٧]. وقد اعتبر القس ايفانز أن تخلي إسرائيل عن الضفة الغربية سوف يجر الدمار على إسرائيل وعلى الولايات المتحدة الأمريكية من بعدها[١٦٨].

ويناشد ايفانز الشعب الأمريكي التقدم لتأييد أفضل صديق للولايات المتحدة الأمريكية، وذلك بتوقيع اعلان البركة لإسرائيل، لأن الرب أمره بوضوح بإنتاج هذا البرنامج الخاص بإسرائيل[١٦٩]. وينشر ايفانز اعلاناته عن برامجه باللغة العبرية أحياناً، ويصف نفسه فيها بأنه رئيس جماعة عشاق إسرائيل[١٧٠].

وقد نشر في كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٣ اعلاناً في صفحة كاملة في جريدة نيويورك تايمز لحساب لجنة العمل السياسي الوطنية جاء فيه: «ان بقاء إسرائيل حيوي لبقائنا، وإن الإيمان بإسرائيل يعزز موقف الولايات المتحدة الأمريكية»[١٧١]. وقدّم في مطلع عام ١٩٨٤، «بيان مباركة» (Proclamation Of Blessing) إلى الرئيس الأمريكي رونالد

(١٦٥) Mike Evans, «Ministries Fund Raising Letter,» (Fall 1983).
(١٦٦) Mike Evans Audio Cassette, «Israel-America's Key to Survival,» (Texas, 1984).
(١٦٧) Findley, *They Dare to Speak Out: People and Institutions Confront Israel's Lobby,* p. 240.
(١٦٨) المصدر نفسه.
(١٦٩) المصدر نفسه، ص ٢٤١.
(١٧٠) ديمر، الحلف الآثم، ص ١٨.
(١٧١) *New York Times* (18 December 1983).

ريغان، وإلى مناحيم بيغن رئيس وزراء إسرائيل في ذلك الوقت، بعد أن وقّعه الآلاف من الأمريكيين. ودعا فيه الرئيس الأمريكي إلى الوقوف إلى جانب إسرائيل وإقرار حقوق إسرائيل بالأراضي المحتلة[١٧٢]. وأصدر في آب/أغسطس من العام نفسه نداء، من خلال برامجه الكنسية المرئية ومنشوراته الدورية، وأجهزة الإعلام الأمريكية، لام فيه الولايات المتحدة الأمريكية على مآسي إسرائيل الاقتصادية، لأن الولايات المتحدة الأمريكية شجعت إسرائيل على التخلّي عن سيناء ونفطها فخسرت ٧ مليارات و١٠٠ مليون دولار، ولأن إسرائيل ساعدت الولايات المتحدة للدفاع عن مصالحها في الشرق الأوسط، فقد باتت إسرائيل على شفا انهيار اقتصادي[١٧٣].

وقد أنتج مايك ايفانز، بالتعاون مع قيادات صهيونية مسيحية أخرى، فيلماً تلفزيونياً جديداً اسماه «القدس دي. سي.» (Jerusalem, D.C.) ويعني ذلك القدس، عاصمة داود، مستخدماً حرفي دي. سي. اي عاصمة داود (David's Capital) ليرتبط هذا المسمى في أذهان الأمريكيين بحرفي دي. سي. أي مقاطعة كولومبيا (District Of Colombia) في واشنطن العاصمة، بهدف ترشيح الانطباع عند الشعب الأمريكي بأن القدس هي عاصمة إسرائيل، مثلما أن واشنطن هي عاصمة الولايات المتحدة الأمريكية.

وقد أعلن عن نيته لانتاج هذا الفيلم الصهيوني المسيحي، حينما بث برنامجاً تلفزيونياً من القدس المحتلة بواسطة الأقمار الصناعية يوم ٢٠ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨٤. وقد نقلت هذا البرنامج أكثر من ٢٥٠ محطة تلفزيونية، وشاهده عشرات الملايين من الأمريكيين والأوروبيين ومن شعوب أمريكا اللاتينية[١٧٤].

وتحدّث في هذا البرنامج عدد من القيادات الصهيونية المسيحية، وأشاروا إلى أن المسيحيين في هذه الأيام لن يخلدوا للنوم، مثلما نام العالم، حينما قررت النازية الألمانية تحطيم شعب الله المختار قبل ٤٥ عاماً[١٧٥]. واعتبروا أن هذا البرناج التلفزيوني المبثوث من القدس هو صلاة خاصة للقدس، والإجابة الانجيلية للحل الوسط السياسي، والذي كانت تطرحه الادارة الأمريكية في تلك الأيام للرد على المشروع المطروح على احدى لجان الكونغرس، والمتعلق بنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب الى القدس[١٧٦].

(١٧٢) *Middle East News Alert,* vol. 1, no. 4 (Spring 1984), p. 3.
(١٧٣) Findley, *They Dare to Speak Out: People and Institutions Confront Israel's Lobby,* p. 241.
(١٧٤) Wagner and Haddad, eds., *All in the Name of the Bible,* p. 21.
(١٧٥) *Middle East News Alert,* vol. 2, no. 4 (October 1984).
(١٧٦) المصدر نفسه.

ويقول القس مايك ايفانز في منشور له وُزِّع في كل أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية، ومؤرخ في ١٠/٩/١٩٨٤، وعنوانه «القدس دي. سي.» - «الحدث النبوئي للسنة»: «عزيزي صديق إسرائيل، أكتب إليك اليوم لثلاثة أسباب مهمة جداً:

١ - أن تضع القدس دي. سي (البرنامج والفيلم) على رأس قائمة أولويات صلاتك، لأن الشيطان جادّ لوقف بث هذا الحدث العظيم.

٢ - لدعوتك للتأكد من وضع الملصق في مكان رئيسي، لعله يشجع الكثير من الناس لمشاهدة هذه المناسبة التاريخية الخاصة، ومن الأماكن المهمة مثلاً: ساحة ومدخل الكنيسة، وصفوف مدارس الأحد، وأماكن الصلاة أو تجمعات دراسة التوراة، أو في أي مكان مهم آخر يمكن لمئات من الناس مشاهدته.

٣ - لدعوتك إلى طلب عون الله لمساعدتك على تقديم أعظم هدية مالية تقدر عليها، لمساعدتي في دفع تكاليف ضمان اصدار وبث الحقيقة من القدس، إيفاءً للنبوءة، وعلى شاشات أبرز المحطات التلفزيونية»[١٧٧].

ويخاطب ايفانز من يسميهم أصدقاء إسرائيل، وبخاصة الملايين غير القادرين على زيارة القدس ورؤيتها، ويطالبهم بالتبرع بأقصى ما لديهم من امكانات وتضحيات ويقول: «إذا لم ننفّذ هذا البرنامج والفيلم فإنه قد لا تتوفر فرصة أخرى لاقتسام حب الله»[١٧٨].

ويشير في منشوره إلى أن المسيحيين اليوم يعيشون «زمن تحقيق النبوءات، لجعل القدس مدينة أبدية حيث اختارها إلهنا لفرض اسمه»[١٧٩]. ويحدد القس ايفانز مطلبه بالتبرع كحد أدنى بـ ٢٥ دولاراً فما فوق. ويعد اتباعه من «أصدقاء إسرائيل» المسيحيين بأن يبعث إلى كل متبرع بـ «شيء نادر يُدخل بكل تأكيد السرور إلى قلوب المتبرعين»، وهذا الشيء - حسب ما يقول وما نصه: «أود أن أبعث إليكم بأهم شريط نبوئي أرسلته إلى أي انسان في حياتي. إنه شريط نادر لآخر لقاء لي مع مناحيم بيغن، رئيس وزراء إسرائيل. لن أنسى أبداً ذلك المنظر المؤثر حينما شاهدت وآخرين الدموع المنسابة على وجه بيغن المتعب، حينما كنا نتقاسم حب الله معه، ونعلمه أن المسيحيين في أمريكا يصلّون من أجله، وأن المسيحيين الحقيقيين مهتمون به وبإسرائيل»[١٨٠]. ويضيف القس ايفانز في منشوره قائلاً: «لقد أعلمني مناحيم بيغن، أن الرئيس السابق كارتر - وأثناء اتفاقات كامب ديفيد - قال إنه لا يعترف بالقدس كعاصمة تاريخية لإسرائيل. فردّ عليه بيغن قائلاً: «أعذرني، أيها الرئيس، لكن التوراة تعترف بها، والله القدير إله التوراة يعترف بها، ولذلك فإننا لا نعترف بعدم اعترافك»[١٨١].

---

(١٧٧) Evans, «Ministries Fund Raising Letter,» (10 September 1984).

(١٧٨) المصدر نفسه.

(١٧٩) المصدر نفسه.

(١٨٠) المصدر نفسه.

(١٨١) المصدر نفسه.

ويمضي ايفانز في رسم صورة مؤثرة حزينة مؤمنة يجسّدها مناحيم بيغن، الذي أخذ يطالبه بطمأنته عما إذا كان هناك موقف مسيحي حقيقي في أمريكا لمواجهة «الموجة الشيطانية التي تجتاح الكرة الأرضية، والتي يقودها هؤلاء الذين لا يعترفون بالقدس عاصمة أبدية شرعية لإسرائيل، ولا يعترفون بكلمة الله»[١٨٢]، فيقول: لقد أعلمت بيغن - القائد اليهودي - أن «الحبيبة «القدس. دي. سي.» ستبين لإسرائيل أن كثيراً منا سوف يقف مع إسرائيل حينما تهبّ العواصف... من أجل ذلك أريد دعمكم وبطريقة قوية فعالة»[١٨٣].

ويذكر ايفانز في بيانه شامير، رئيس وزراء إسرائيل، الذي خلف بيغن في الحكومة الإسرائيلية، وقد أبدى تأثره البالغ واعجابه بنشاط ايفانز وبالبرنامج والفيلم الذي يعده عن القدس دي. سي. ويقول إنه حينما تساءل شامير بنغمة حزينة، عما إذا كان صحيحاً أن المسيحيين في أمريكا مهتمون بإسرائيل، كان الرد: «نعم إنهم مهتمون، فهم لا يكتفون بالصلاة من أجل إسرائيل بل راغبون ويعملون باهتمام لأجلها».

ويعلن ايفانز عن مفاجأة جديدة في منشوره، فيقول إنه سيرسل إلى المتبرعين بنسخة من كتابه الجديد المسمى أيضاً «القدس. دي. سي.» عاصمة داود... ويطالبهم، إضافة إلى التبرعات، بتوقيع بيان دولي موجّه إلى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، ورئيس وزراء إسرائيل. ومما جاء فيه ما يلي: «بيان القدس د. سي. عاصمة داود إلى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، ورئيس وزراء إسرائيل» نحن نؤمن بأن القدس تخص الله القدير، وأن كلمة الله غير قابلة للتفاوض. ونحن نؤمن، علاوة على ذلك، بأن الكتب المقدسة تعترف بالقدس عاصمة روحية لإسرائيل، وبأن المسيح اليهودي سيعود إليها كذلك. من أجل هذا، قد تعاهدنا على الصلاة من أجل شعب إسرائيل، والوقوف معه في كفاحه من أجل الحرية والسلام.

نحن نؤمن بكلمة الله حينما تقول: سوف أبارك من يباركهم وألعن من يلعنهم. «... نحن نؤمن بأنه يتوجب على أمريكا الوقوف بجانب إسرائيل... وكلمة الله تعترف بالقدس وعلينا واجب الاعتراف بكلمة الله»[١٨٤].

لقد توقّع ايفانز أن يوقّع أكثر من مليون أمريكي على هذا البيان الدولي الذي سيرسله بدوره إلى الرئيس الأمريكي، ورئيس وزراء إسرائيل.

وقد أخذت صورة البيان شكل الشهادة التقديرية، حيث برزت نجمة داود على

---

(١٨٢) المصدر نفسه.

(١٨٣) المصدر نفسه.

(١٨٤) المصدر نفسه.

قمة طرفها الأيسر. وقرر ايفانز اضافة «ختم» خاص تُوثّق به هذه الشهادة. ويتم تزويد المتبرع أو الموقّع على البيان به، بحيث يظهر هذا الخاتم ما بين توقيع اسم المتبرع واسم القس ايفانز وتوقيعه، ويتمكن بذلك «المسيحي المؤمن صديق إسرائيل» من وضع هذه الشهادة في مكان مناسب في منزله كبيّنة على «اخلاصه لله».

ومن المتوقع أن تكون ملايين من الدولارات قد انهمرت على هذا البرنامج والفيلم والكتاب. ومن المعروف أن هذه التبرعات لا تشكّل عبئاً مالياً على الفرد الأمريكي بشكل مباشر لأنها مخصومة من الضرائب التي يدفعها، لكنها في المحصلة تشكّل خسارة للاقتصاد الأمريكي بشكل عام.

يواصل القس ايفانز دعوته الصهيونية المسيحية دون كلل، ويستثمر المناسبات والأحداث بشكل مناسب وسريع. وقد بثّ طوال صيف عام ١٩٨٥ برنامجاً تلفزيونياً اسماه «دع شعبي يرحل» (Let My People Go) ركز فيه على مسألة هجرة اليهود من الاتحاد السوفياتي إلى إسرائيل. كما بث، في شباط/فبراير ١٩٨٦ برنامجاً جديداً حول عودة المسيح الثانية، ودور إسرائيل في تقريب موعد هذه العودة وأسماه «العودة» (The Return).

ويُصدر أيفانز منشوراً دورياً باسمه، وآخر يسميه «نذير أنباء الشرق الأوسط» (M.E. News Alert). ويدّعي أن صوته يصل إلى ٢٤ مليون نسمة، وبخاصة في ولايات الجنوب والغرب، كما يشارك بفعالية في العديد من التجمعات الصهيونية المسيحية الأخرى، وفي الصلوات المسيحية الخاصة بإسرائيل، ومنها على سبيل المثال (صلاة إفطار من أجل إسرائيل).

وفي تقديري أن قيادات ومنظمات المسيحية المرئية قد أدركت بوعي، التحوّل الكبير الذي طرأ على أساليب العمل السياسي، وعلى وسائل الاتصال مع الجماهير نتيجة عصر التلفزيون الملون والأقمار الصناعية.

وقد وعت أن العمل السياسي أصبح نوعاً من التأثير بالانطباع أكثر منه بالاقتناع. كما فهمت ضرورة وحيوية الاستعانة بفنون البرامج الاستعراضية والسينما ابتداء من الأضواء والألوان إلى التصوير والاخراج.

وقد استثمر رجال الكنيسة الأصولية عصر تقانة الصور المرئية بكل أحكامه وأدواته وأساليبه، واستخدموا نتائج ثورة العلوم والتقانة والادارة والاتصالات، ووجدوا في الصور المرئية خير وسيلة إلى أوسع الجماهير التي أصبحت «متفرجا» داخل البيوت.

ثالثاً: جماعات الضغط المسيحية الأصولية المعاصرة

يرتبط مفهوم جماعات الضغط بالعمليات السياسية، وبمحاولة التأثير على صانعي القرارات في النظام السياسي، من أجل تحقيق غرضها ووفق مصالحها[١٨٥].

وتستخدم جماعات الضغط وسائل متنوعة في ممارسة نشاطاتها، منها وسيلة اللوبي[١٨٦]، إذ يتولى تقديم المعلومات بهدف الاقناع والتأثير على قرارات الآخرين، وبخاصة في المؤسستين التشريعية والتنفيذية، فضلاً عن التأثير على الجماهير من خلال تأثيرها في اتجاه الفرد ورأيه، ومواقفه السياسية، وكذلك على التنظيمات الجماعية الأخرى. ومنها أيضاً محاولة التأثير لانجاح، أو عدم تأييد مرشحين في الانتخابات، وتقديم المساعدات المالية، والمعنوية، والاعلامية في سبيل ذلك.

وقد شكّلت الحركة المسيحية الأصولية العديد من جماعات الضغط، ولا سيما بعد أن امتلكت وأدارت بفعالية عالية الكنيسة المرئية ومنظماتها، وبعد أن «أصبحت قوة مهمة ومؤثرة في الثقافة الأمريكية وواثقة من نفسها»[١٨٧]. وتعاونت جماعات الضغط المسيحية الأصولية مع جماعات أخرى، وبخاصة في حركة اليمين المحافظ في عهد الرئيس رونالد ريغان. ومن المعلوم أن برامج هذه الحركة السياسية شملت مبادىء دينية. وأعلنت عن نيتها بتغيير المجتمع الأمريكي جذرياً[١٨٨]، فضلاً عن حماستها ودعمها الكبيرين لإسرائيل. وقد أشار الملك حسين، ملك المملكة الأردنية الهاشمية، إلى هذا الموقف في خطاب له حينما قال: «اليمين الأمريكي هو الحليف المتحمس لتوجهات التطرف الإسرائيلي»[١٨٩].

وبذلك صار من الصعب فصل جماعات اليمين المحافظ السياسية عن الحركة المسيحية الأصولية وجماعات ضغطها[١٩٠].

ويرد رئيس أكبر المنظمات السياسية لليمين المحافظ، واسمه هوارد فيليبس (Howard Phillips)، وهو مؤسس تنظيم «التجمع المحافظ» (The Conservative

---

(١٨٥) ابراهيم درويش، **النظام السياسي**، ط ٤ (القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٧٨)، ص ١٨١.

(١٨٦) اللوبي معناه رواق أو جناح. وقد اختيرت هذه الكلمة لأن الذين يقومون بها كانوا في البداية يلتقون المتنفذين في الأروقة.

(١٨٧) *Time* (2 September 1985), p. 49.

(١٨٨) William A. Rucher, *The Rise of the Right* (New York: William Morrow and Co., 1984), pp. 40-52.

(١٨٩) من خطاب الملك حسين بتاريخ ١٩/٢/١٩٨٦ (منشورات وزارة الاعلام الأردنية).

(١٩٠) Young, *God's Bullies*, p. 60.

Caucus) مقولات الحركة المسيحية الأصولية نفسها، فهو القائل: إن حقوقنا تأتي من الله ومما تقوله التوراة وليس من الحكومة[191].

ولقياس فاعلية جماعات الضغط المسيحية الأصولية، يمكن وضع عدة خطوط عريضة للاسترشاد بها لتقدير هذه الفعالية وهي:

١ ـ **وحدة جماعة الضغط وتنظيمها**: تتميز هذه الجماعات باتفاق أعضائها على أهداف محددة، وترابط ببناء منظّم مؤسسي، مما يسهّل تحقيق أغراضها.

٢ ـ **حجم جماعات الضغط**: يشكّل كبر حجم أعضائها وانتشارهم الواسع في مذهب ديني واحد، عاملاً مهماً في فاعلية نشاطها.

٣ ـ **قيادة جماعة الضغط**: تتميز قيادات جماعات الضغط المسيحية الأصولية بمهارتها وكفاءتها العالية في القيادة، واستقطاب الجماهير، وفي استخدام أجهزة الإعلام المتاحة، وبخاصة التلفزة، وإقامة علاقات مع القيادات السياسية في المؤسسة التنفيذية والقيادات التشريعية في الكونغرس.

٤ ـ **تمويل جماعة الضغط**: سلكت جماعات الضغط المسيحية الأصولية سبلاً كثيرة في تمويل نفسها. من بينها تنظيم رحلات سياحية دينية سياسية إلى الأراضي المقدسة في فلسطين المحتلة، وجمع التبرعات، وتنظيم المؤتمرات والحفلات، وتأسيس الجامعات والمدارس، وتملّك مؤسسات الإعلام المختلفة، ونشر الكتب والمجلات، فضلاً عن سبل الاستثمار المالي المتعدد الأشكال.

٥ ـ **استراتيجية وتكتيك جماعة الضغط**: اتبعت جماعات الضغط المسيحية الأصولية أساليب عصرية، تنسجم مع أساليب المجتمع الأمريكي ولغته ونفسيته، لخدمة استراتيجيتها في التأثير على صانعي القرارات والرأي العام. ومن بين هذه التكتيكات الناجحة، صلاة الإفطار السنوية التي تقيمها جماعة الضغط المسماة «المائدة المستديرة» لمصلحة إسرائيل، فضلاً عن المسيرات الدورية، والمنشورات، وانشاء الصناديق التمويلية لخدمة أهدافها الاستراتيجية.

٦ ـ **أهداف جماعة الضغط**: عملت جماعات الضغط المسيحية الأصولية على إبعاد أهدافها عن المصالح والبواعث الشخصية المباشرة لقادتها، وحددتها بأهداف دينية لخدمة وارضاء الله وتحقيق النبوءات التوراتية، وأغراض عامة تتعلق بخدمة المجتمع وأعضائه.

---

(١٩١) المصدر نفسه، ص ١١٦.

ويبرز مدى فعالية جماعات الضغط المسيحية الأصولية بوضوح في انتشار أهداف وآراء هذه الجماعات خارج نطاق كنائسها وتبني «الكثيرين ممن لا ينتمون إلى هذه الكنائس أهدافها»[192].

وفيما يلي أهم جماعات الضغط المنظمة المسيحية الأصولية:

١ ـ السفارة المسيحية الدولية ـ القدس

جاءت ولادة هذه المنظمة الصهيونية المسيحية تعبيراً عن أهمية مدينة القدس لدى الحركة المسيحية الأصولية وتأكيداً لأهمية «العمل المسيحي نيابةً عن إسرائيل»[193].

وقد تم اعلان تأسيس هذه المنظمة في ٣٠ أيلول/سبتمبر ١٩٨٠، في مدينة القدس المحتلة، وفي القسم الغربي منها، وبحضور أكثر من ألف رجل دين مسيحي، يمثلون ٢٣ دولة، إضافةً إلى عدد من كبار المسؤولين الإسرائيليين. ومن بين مؤسسي هذه المنظمة الدكتور دوغلاس يونغ (D. Young) مدير المعهد الأمريكي لدراسات الأرض المقدسة[194]. وقد اختير رجل دين أصولي من هولندا اسمه جان فان دير هوفين (Jan Van Der Hoeven)، لرئاستها وقد افتتحت لها فروعاً في ٣٧ دولة، في اوروبا الغربية وافريقيا وكندا واستراليا. كما أسست فروعاً لها في الولايات المتحدة الأمريكية، بلغت عشرين فرعاً واتخذت من مدينة مونتريت (Montreat)، في ولاية كارولينا، مقراً رئيسياً لإدارة هذه الفروع[195]. وقد أطلقت على نفسها اسم «السفارة المسيحية الدولية ـ القدس» (International Christian Embassy - Jerusalem)، وذلك كردّ فعل على الرضى الدولي لقرار الحكومة الإسرائيلية، اعتبار مدينة القدس عاصمة موحّدة أبدية لإسرائيل في صيف عام ١٩٨٠. وجاء تأسيسها مباشرة إثر قيام ١٣ دولة أجنبية بنقل سفاراتها من القدس إلى تل أبيب، كتعبير عن رفضها القرار الإسرائيلي[196]. وأطلقت على فروعها في العالم اسم «قنصلية». ويديرها أصوليون متعصبون، ممن يحملون مشاعر العداء تجاه العرب والمسلمين بشكل عام، وتجاه الفلسطينيين بشكل خاص[197].

---

(١٩٢) *Time* (2 September 1985), p. 49.

(١٩٣) *Chicago Tribune* (20 February 1984).

(١٩٤) *Washington Post* (23 March 1981).

(١٩٥) Wagner, «A Ministry of Advocacy for Palestinian Justice within Evangelical Christian Zionism,», p. 64.

(١٩٦) المصدر نفسه، ص ٦٥.

(١٩٧) المصدر نفسه، ص ٦٥.

ويقول المنشور التأسيسي لهذه المنظمة الصهيونية المسيحية: «إنه من الواضح أن الله وحده، هو الذي أنشأ هذه السفارة المسيحية الدولية، في هذه الساعات الحرجة، من أجل تحقيق الراحة لصهيون، واستجابة حب جديدة لإسرائيل»(١٩٨).

تعتمد هذه المنظمة في تمويلها بشكل رئيسي، على تبرعات من أفراد ومؤسسات في جنوب افريقيا، وأوروبا الغربية، والولايات المتحدة الأمريكية(١٩٩)، كما تتلقى الدعم المادي والمعنوي من الحكومة الإسرائيلية(٢٠٠).

وقد اختصر مؤسس السفارة ومديرها أهدافها بقوله: «إننا صهاينة أكثر من الإسرائيليين أنفسهم، وإن القدس هي المدينة الوحيدة التي تحظى باهتمام الله، وإن الله قد أعطى هذه الأرض لإسرائيل إلى الأبد»(٢٠١).

ويرى أعضاء هذه السفارة أنه إذا لم تبقَ إسرائيل، فإنه لا مكان للمسيح عند مجيئه الثاني. ولا تكتفي هذه المنظمة بدعمها وجود إسرائيل، بل تدعم سياساتها التوسعية، بما فيها اعتبار الضفة الغربية وغزة حقوقاً أعطاها الرب للشعب اليهودي(٢٠٢).

وفي تقديرنا أن قرار انشاء هذه المنظمة الصهيونية المسيحية كان قراراً سياسياً إسرائيلياً. وقد تم على أعلى مستوى في الحكومة الإسرائيلية بما في ذلك رئيس وزراء إسرائيل الأسبق مناحيم بيغن(٢٠٣).

أعلنت هذه السفارة، إثر بدء أعمالها، عن أهداف سبعة لها، خصصت ستة أهداف منها لإسرائيل والشعب اليهودي. أما الهدف السابع، فقد كان للوعظ المسيحي الموجّه إلى اليهود. ولكن تحت ضغوط اليهود المتعصبين في إسرائيل، تم اسقاط هذا الهدف. وبقيت الأهداف الستة التي تتمحور حول تحالف سياسي وثيق مع الصهيونية(٢٠٤). ويمكن تلخيص هذه الأهداف بما يلي(٢٠٥):

أ ـ إبداء الاهتمام البالغ بالشعب اليهودي، وبدولة إسرائيل الحديثة.

---

(١٩٨) *Evangelical Christian Zionism in America* (Chicago), (April 1985).
(١٩٩) المصدر نفسه.
(٢٠٠) Wagner and Haddad, eds., *All in the Name of the Bible*, p. 21.
(٢٠١) *Washington Post* (21 April 1984).
(٢٠٢) المصدر نفسه.
(٢٠٣) Wagner and Haddad, eds., *All in the Name of the Bible*, p. 31.
(٢٠٤) المصدر نفسه، ص ٣٢.
(٢٠٥) International Christian Embassy, Jerusalem, U.S. Branch (Special Report, October 1980).

ب ـ تذكير وتشجيع المسيحيين للصلاة من أجل القدس، وأرض إسرائيل.

ج ـ تعليم المسيحيين في جميع أنحاء العالم، وتثقيفهم بكل ما يجري في إسرائيل.

د ـ حث القيادات المسيحية والكنائس والمنظمات الدينية، على ممارسة النفوذ المؤثر في بلادها، لمصلحة إسرائيل والشعب اليهودي.

هـ ـ انشاء مشروعات، أو مساعدة مشروعات في إسرائيل، بما فيها المشاريع الاقتصادية لمصلحة رفاهية اليهود في إسرائيل.

و ـ ممارسة نفوذ وفاقي بين العرب واليهود.

وقد بدأت فور تأسيسها بتنفيذ برنامجها الصهيوني. فأقامت الصلوات لأجل إسرائيل. وأنشأت شبكة من أجهزة النشر والمعلومات لنشر سياساتها. فأصدرت مجلة شهرية اسمها «الرعوية» (Ministries) ومجلة سنوية اسمها «استعراض الماضي» (The Review). وأنتجت فيلماً اسمه «تفّاحات الله». كما اعتادت مجلة «القدرة الجاذبية الحارقة» (Charisma) على نشر أخبارها ونشاطاتها وتقاريرها، وهي احدى المجلات الصهيونية المسيحية التي توزع أكثر من مائتي ألف نسخة في الولايات المتحدة الأمريكية وفي الخارج. كما نظمت السفارة التظاهرات والمسيرات، وعقدت المؤتمرات الصحفية، وقدمت العرائض وأدارت حملات البريد المباشر، ونظّمت الرحلات السياحية إلى إسرائيل. وقامت بحملات تبرّع بالدم، وتقديمه إلى جيش الدفاع الإسرائيلي خلال غزوه لبنان في صيف عام ١٩٨٢. وسوّقت السندات والمنتوجات الإسرائيلية بين الكنائس المسيحية وبين أعضائها في الولايات المتحدة الأمريكية(٢٠٦). كما شكلت لجاناً للعمل السياسي لمصلحة إسرائيل. وصارت السفارة المسيحية الدولية احدى المنظمات الرئيسية التي تُدعى لجلسات الاستماع أمام لجان الكونغرس الأمريكي، عند طرح قضايا الصراع العربي ـ الإسرائيلي، وبخاصة مسألة القدس. ويعمل مديرها جان هوفين «ليل نهار لصالح إسرائيل»(٢٠٧). ويرى أن إسرائيل بحاجة إلى الضفة الغربية، من أجل إيجاد مكان يتسع ليهود الاتحاد السوفياتي(٢٠٨).

ولعل أبرز نماذج أنشطة السفارة الدولية خلال النصف الأول من ثمانينات هذا القرن، نشاطان صهيونيان بارزان، نالا التدعيم المباشر من الحكومة الإسرائيلية ومن منظمات الحركة الصهيونية اليهودية في الولايات المتحدة الأمريكية، وهما:

---

(٢٠٦) Wagner and Haddad, eds., Ibid., p. 21.
(٢٠٧) *Washington Post* (21 November 1984).
(٢٠٨) المصدر نفسه.

أ ـ احتفالات عيد العريش في القدس

بدأت السفارة فور تأسيسها بالاحتفال الدوري سنوياً بالعيد اليهودي المسمى عيد العريش (Feast Of Tabernacles)، في مدينة القدس المحتلة. ونجحت في حشد الآلاف من المسيحيين من جميع أنحاء العالم للمشاركة في هذا العيد وتحويله إلى مهرجان تأييد مسيحي لإسرائيل ولسياساتها. وقد شارك في عام ١٩٨٠، وهو عام تأسيسها، أكثر من ألف رجل دين مسيحي في احتفالات هذا العيد. وحضر في عام ١٩٨٢ للاشتراك فيه، ثلاثة آلاف رجل دين مسيحي. واستمرت الاحتفالات ثمانية أيام. وقد تنوعت برامجها، وشملت زيارات للمستوطنات، وللمزارع (الكيبوتز)، وزراعة الأشجار، وتلقّي دروس اللغة العبرية، وإقامة الصلاة لمصلحة إسرائيل، التي يقول عنها منشور لهذه السفارة: «إن الصلاة الحقيقية من أجل إسرائيل، هي التي تقودنا إلى عمل حقيقي، والصلاة للشعب اليهودي تتطلب الدفاع عنه. وسواء كنا نصلي للقدس الموحدة تحت الحكم الإسرائيلي، أو للافراج عن يهود الاتحاد السوفياتي، فإننا نملك الشجاعة للتحدث بصوت عالٍ لمصلحة إسرائيل، وكل رسالة نبعث بها إلى قيادات حكوماتنا ستفيد الشعب الإسرائيلي»[٢٠٩].

اشترك في احتفالات السفارة المسيحية الدولية في عام ١٩٨٣ بهذا العيد، حوالى أربعة آلاف مسيحي، قدموا من أربعين دولة. وقد تظاهروا دعماً لإسرائيل، وطالبوا بحرية خروج اليهود من الاتحاد السوفياتي إلى إسرائيل[٢١٠].

وفي تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨٤، حشدت السفارة المسيحية الدولية سبعة آلاف من الحجاج المسيحيين من أكثر من ٥٠ دولة، زاروا المستوطنات الإسرائيلية في الضفة الغربية. وشاركوا في ندوات دينية سياسية، تحث المسيحيين على دعم إسرائيل. وقد شارك في هذه الاحتفالات رئيس وزراء إسرائيل في ذلك الوقت (مناحيم بيغن) وكبار رجال الحكومة الإسرائيلية. وكان عنوان هذه الاحتفالات «القدس عاصمة أبدية موحّدة لإسرائيل»[٢١١]. وكان من بين هؤلاء المشاركين في هذه الاحتفالات أكثر من ألف رجل دين أصولي من الولايات المتحدة الأمريكية، ممن يمارسون الضغوط المؤثرة على صانعي القرار السياسي للاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل، وبدعم إسرائيل وسياساتها[٢١٢].

وتنظّم شركة طيران العال الإسرائيلية رحلات خاصة للمشاركين في هذه

---

(٢٠٩) International Christian Embassy, Jerusalem, U.S. Branch, «A Brochure to Friends of the I.C.E., Israel: You Are Not Alone,» (April 1982).

(٢١٠) *Chicago Tribune* (20 February 1984).

(٢١١) *Washington Post* (13 October 1984).

(٢١٢) *Washington Post* (21 November 1984).

الاحتفالات. وتوضع لهم برامج للعمل كمتطوعين في مزارع الكيبوتز. وقد سمحت لهم الحكومة الإسرائيلية بإنشاء مكاتب ومكتبات للسفارة المسيحية في عدد من المدن الإسرائيلية[٢١٣].

ب ـ مؤتمر دولي للصهيونيين المسيحيين

عقدت السفارة المسيحية الدولية أول مؤتمر صهيوني مسيحي دولي لها، في المكان نفسه الذي انعقد فيه أول مؤتمر صهيوني يهودي في مدينة بال في سويسرا، في آب/أغسطس ١٨٩٧. وقد دعت السفارة المسيحية الدولية لعقده في الفترة من ٢٧ ـ ٢٩ آب/أغسطس ١٩٨٥. وحضره ستمائة من القيادات المسيحية، قدموا من سبع وعشرين دولة إضافة إلى مثل هذا العدد حضروا كمراقبين من الصين والهند وسري لانكا ونيجيريا والغابون وساحل العاج وزائير[٢١٤].

وضمّ المؤتمر قيادات عدد من المنظمات اليهودية الرئيسية وبخاصة من الولايات المتحدة الأمريكية. كما حضره أكاديميون إسرائيليون[٢١٥].

ويقول أحد المشاركين في هذا المؤتمر، وهو القس الأمريكي ديفيد لويس (D. Leuis)، رئيس منظمة «مسيحيون متحدون لأجل إسرائيل» (Christians United For Israel):

«لقد بدأ الآن أعظم حوار لاهوتي في تاريخ المسيحية، داخل الكنائس حول العلاقات المسيحية اليهودية، ووحدة المسيحية واليهودية، ودعم المطالبة باعتراف الفاتيكان بإسرائيل»[٢١٦].

وقد أعلن متحدث باسم السفارة المسيحية الدولية في نهاية المؤتمر، عن انشاء صندوق دولي برأسمال قدره مائة مليون دولار للاستثمار في إسرائيل، ومقرّه في امستردام. كما أعلن أن الأولوية في هذه الاستثمارات ستعطى للتقانة المتقدمة والبناء والسياحة.

ولقد أصدر هذا المؤتمر أربعة عشر قراراً، ليس من بينها سوى قرار واحد، وهو رقم (١٤)، الذي يتحدث عن الصلاة لعودة المسيح الثانية. أما القرارات فهي على الشكل التالي:

---

(٢١٣) *Chicago Tribune* (20 February 1984).

(٢١٤) **وكالة الأنباء الفرنسية** (باللغة العربية)، ١٩٨٥/٨/٣١.

(٢١٥) *Washington Post* (31 August 1985).

(٢١٦) المصدر نفسه.

١ ـ عدم تقديم تنازلات من الغرب إلى الاتحاد السوفياتي، طالما أنه لا يسمح بهجرة اليهود منه إلى إسرائيل مباشرة. كما نطالب إسرائيل بدعوة كل الأسر اليهودية في الاتحاد السوفياتي للعودة إلى بيتها في إسرائيل.

٢ ـ تشجيع إسرائيل ومواطنيها على المشاركة الكاملة في كل الهيئات والمؤسسات الدولية الحكومية منها وغير الحكومية. ونطالب وفودنا الرسمية وغير الرسمية بدعم المشاركة الإسرائيلية في كل الاجتماعات، أو الانسحاب منها إذا ما رُفضت عضوية إسرائيل فيها.

٣ ـ على كل الأمم الاعتراف بإسرائيل، وإقامة علاقات دبلوماسية كاملة معها. ونخص بالذكر حكومة الفاتيكان، واسبانيا، والاتحاد السوفياتي والكتلة الشرقية، فضلاً عن الدول العربية ودول العالم الثالث.

٤ ـ يعلن المؤتمر بأن يهودا والسامرة هما بالحق التوراتي، والقانون الدولي، وبحكم الواقع، جزء من إسرائيل. وعلى إسرائيل أن تعلن ضمهما على هذا الأساس. ونطالب مجتمعاتنا وكنائسنا بـ«التوأمة» مع مثيلاتها في يهودا والسامرة والمساهمة في تأسيس حدائق عامة وغابات فيها.

٥ ـ نطالب كل الأمم بالاعتراف بالقدس عاصمة أبدية موحّدة لإسرائيل وبنقل سفاراتها من تل أبيب إلى القدس.

٦ ـ مطالبة الدول الصديقة لإسرائيل، بالتوقف عن تزويد أية دولة في حالة حرب مع إسرائيل بالأسلحة، بما في ذلك مصر التي وقّعت اتفاقية مع إسرائيل، ما لم تلتزم بنصوص الاتفاقية لانشاء علاقات طبيعية مع إسرائيل، بما في ذلك العلاقات التجارية والسياحة.

٧ ـ مطالبة كل الحكومات بنبذ منظمة التحرير الفلسطينية، وعدم تقديم أي عون أو مساعدة لها أو الاعتراف بها، أو بالمنظمات التابعة لها باعتبار أنها منظمات ارهابية تهدف إلى تدمير إسرائيل وشعبها (وتأتي هذه المطالبة تنفيذاً لما ورد في التوراة حول أن الله يبارك من يبارك اليهود ويلعن من يلعنهم).

٨ ـ ادانة كل أشكال معاداة السامية (Anti-Semitism)، وتشمل اللاسامية عداء اليهودية والصهيونية وإسرائيل.

٩ ـ الدعوة لتذكّر كل الفظائع التي ارتكبتها ما تسمّى الحضارة المسيحية، وما يسمّون المسيحيين، ضد اليهود على مر العصور. وبخاصة المذابح الجماعية في الحرب العالمية الثانية، والالتزام بالعمل على عدم تكرارها مرة ثانية.

١٠ ـ العمل نحو توطين اللاجئين العرب الذين تركوا إسرائيل عام ١٩٤٨، وبناء على دعوات قادة العرب، والهادفة إلى اخلاء أرض المعارك من المدنيين العرب لتدمير إسرائيل وشعبها، وبحيث يتم توطينهم في البلدان التي رحلوا إليها. كما يطالب المؤتمر بالعدالة لليهود الذين فقدوا أسرهم وأملاكهم وبيوتهم خلال عمليات قمعهم في البلدان العربية، وأجبروا على طلب اللجوء إلى إسرائيل ودول أخرى.

١١ ـ مساعدة إسرائيل اقتصادياً، وذلك بانشاء صندوق استثمار دولي برأسمال قدره مائة مليون دولار، للاستثمار في تطوير إسرائيل. وبخاصة في مجال السياحة والصناعات التقانية المتقدمة.

كما يعلن المؤتمر عن التزام أعضائه بالعمل على تشجيع استيراد وشراء البضائع الإسرائيلية، والخدمات الإسرائيلية في أوطانهم، وكذلك تشجيع الاستثمار الخاص في إسرائيل.

١٢ ـ مطالبة كل المسيحيين، وكل الأمم بعدم الخضوع لأنظمة المقاطعة العربية لإسرائيل.

١٣ ـ دعوة مجلس الكنائس العالمي في جنيف إلى الاعتراف بالصلة التوراتية التي تربط بين الشعب اليهودي وبين أرضه الموعودة وكذلك بالبعد التوراتي والنبوئي لدولة إسرائيل.

١٤ ـ يصلي أعضاء المؤتمر (وينظرون بلهفة) لليوم الذي تصبح فيه القدس مركزاً لاهتمام الانسانية، حينما تصير مملكة الرب حقيقة واقعة[٢١٧].

ويتضح من وثائق وقرارات هذا المؤتمر، حرص قيادة السفارة المسيحية الدولية، وقيادات الحركة المسيحية الأصولية، على ابراز اتجاهاتهم الصهيونية دون مواربة. فانعقاد المؤتمر في المكان نفسه الذي انعقد فيه أول مؤتمر للحركة الصهيونية اليهودية، يدل على مدى التزام الحركة المسيحية الأصولية بالأهداف الأساسية للصهيونية السياسية، وبمشروعها اقامة دولة إسرائيل الكبرى، واكتمال هذا المشروع ودعمه اقتصادياً، وسياسياً، وعسكرياً، وكسب الاعتراف الدولي به.

لقد أكّد المؤتمر على أهمية الدور الضاغط والمؤثر الذي تمارسه الحركة المسيحية الأصولية على صانعي القرارات السياسية والتشريعية، وعلى الرأي العام في الولايات المتحدة الأمريكية لمصلحة إسرائيل، ودعماً لسياساتها. ولعل أبرز نتائج هذا المؤتمر

(٢١٧) Declaration of the International Christian Zionist Leadership Congress, Basel (Switzerland), 27-29 August 1985, pp. 2-5.

العملية هو انشاء صندوق الاستثمار المسيحي الدولي برأسمال قدره مائة مليون دولار لدعم الاقتصاد الاسرائيلي، الذي كان يعاني أزمات حادة[218].

وأوضح المؤتمر أن ممارسة قياداته لنفوذهم في بلادهم لمصلحة الأهداف الصهيونية السياسية، تجاوز جهات صنع القرارات إلى ممارسة الضغوط والنفوذ داخل الجسم الكنسي ومؤسساته الدولية، لمصلحة الاعتراف بالصلة التوراتية بين اليهود وما يسمّى أرضهم الموعودة في فلسطين. اضافة إلى الاعتراف بالبعد التوراتي والنبوئي لقيام إسرائيل. كما تجاوز فهمهم معنى معاداة السامية المتداول، والمتعلق باليهود، ليصبح عندهم شاملاً لمعاداة الصهيونية ولمعاداة إسرائيل، أو معارضة لسياساتها ولأهدافها.

ولم تكتفِ هذه القيادات الصهيونية المسيحية بالاعتذار عما أصاب اليهود من عنت في الماضي، واستنكار صمت المسيحيين على هذا العنت، وإنما اعتبروا أن أي تجاهل لما قد يلحق من أذى باليهود وإسرائيل هو خطيئة دينية[219].

ومن ناحية أخرى، يستشعر مسيحيو عرب فلسطين المحتلة، مدى خطورة نشاطات السفارة المسيحية الدولية. فيقول المطران ايليا خوري، مساعد مطران الأسقفية البروتستانتية في القدس وعضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية سابقاً، والذي أبعدته سلطات الاحتلال الإسرائيلي عن مدينة رام الله عام ١٩٦٩، في مؤتمر صحفي عقده في لندن في أواخر شهر تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٤: «إن وراء قيام السفارة المسيحية الدولية، مجموعة من المتطرفين المسيحيين المهووسين، وبتشجيع واعتراف القيادة الصهيونية الإسرائيلية، بدعاوى الحفاظ على مصالح المسيحيين في فلسطين. وأنني أؤكد ان المسيحيين براء من هذه السفارة، وعلى رأسهم المسيحيون العرب... إذ إن دعم إسرائيل لهذه السفارة هو لمآرب سياسية»[220].

٢ ـ المائدة المستديرة الدينية

أسس هذه المنظمة في أيلول/ستمبر ١٩٧٩ عدد من القيادات المسيحية الأصولية والسياسية، من أمثال القس جيري فولويل، زعيم منظمة «الأغلبية الأخلاقية»، وبول ويريش، رئيس منظمة سياسية يمينية محافظة تسمّى «لجنة ابقاء كونغرس حر» (Committee For The Survival Of Free Congress) وقد ترأس

(٢١٨) لمزيد من التفاصيل، انظر: يوسف الحسن، **من أوراق واشنطن** (القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٨٧).

(٢١٩) Blitzer, *Between Washington and Jerusalem: A Reporter's Notebook*, p. 195.

(٢٢٠) **الشرق الأوسط** (لندن)، ٣٠/١١/١٩٨٤.

منظمة المائدة المستديرة الدينية (Religious Round Table) القس ادوارد ماك أتير (Edward Mc Ateer). وهدف هذه المنظمة هو تنظيم لقاءات بين القيادات السياسية، والقيادات الأصولية والانجيلية بشكل عام. واعداد ندوات لـ «تعليم المتدينين السياسة»[221] وقد عقدت في بداية عام ١٩٨٠، ١٤ ندوة، حضر إحداها المرشح للرئاسة (رونالد ريغان)، وتحدث في اجتماعاتها. كما قدِّر عدد المشاركين في هذه الندوات بحوالى أربعين ألف شخص. وقد أسست فروعاً في معظم الولايات الأمريكية[222].

وأبرز نشاطات المائدة المستديرة حفلات الإفطار السنوية التي تقيمها للصلاة من أجل إسرائيل ودعم سياساتها وأغراضها. ودرجت على إصدار بيان عقب الصلاة تبارك فيه إسرائيل باسم ما يزيد عن ٥٠ مليون مسيحي يؤمنون بالتوراة في الولايات المتحدة الأمريكية[223]. ويتضمن البيان الصادر عن هذا اللقاء، والذي تحضره قيادات سياسية ودينية ورجال أعمال بارزون، وممثلون عن الحكومة الأمريكية، دعماً واضحاً لسياسات إسرائيل. ففي مؤتمر «مائدة أفطار وصلاة من أجل إسرائيل» لعام ١٩٨٣، والذي عُقد في العاصمة الأمريكية، تضمّن البيان نقاطاً دينية وسياسية وعسكرية لمصلحة إسرائيل كان من بينها:

أ ـ دعوة للتعاون الاستراتيجي بين الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل. وقد أعقب ذلك قراءة مختارات من التوراة تؤكد حق اليهود في أرض فلسطين.

ب ـ دعوة لنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس، إذ رأى البيان أن حدود الأرض المقدسة التي رسمها الكتاب المقدس، لا يمكن أن تغيّرها رمال المقتضيات السياسية والاقتصادية المتحركة[224].

وقد عقد في الأول من شباط/فبراير ١٩٨٤ زعماء واتباع منظمة المائدة المستديرة صلاة إفطار أخرى لمصلحة إسرائيل، في فندق شورهام في العاصمة واشنطن. وأتيحت للباحث فرصة حضورها، فلاحظ وجود نسخ كثيرة على موائد الأفطار من كتاب إسرائيلي يتحدث بالصورة والكلمة عن الغزو الإسرائيلي للبنان في صيف عام ١٩٨٢، وعما أسماه عملية تحرير لبنان من الارهاب.

(٢٢١) Young, *God's Bullies*, p. 121.

(٢٢٢) المصدر نفسه، ص ١٢١.

(٢٢٣) Findley, *They Dare to Speak Out: People and Institutions Confront Israel's Lobby*, p. 244.

(٢٢٤) المصدر نفسه، ص ٢٤٤.

لقد حضر هذه الصلاة أكثر من ٥٠٠ شخص، وشاركت فيها بعض القيادات الصهيونية اليهودية مثل اليك ريسنك، رئيس المنظمة الصهيونية الأمريكية، إضافة إلى السفير الإسرائيلي في واشنطن، كما شارك فيها المدعي العام الأمريكي ادوين ميس (E. Meese)، والسفير الأمريكي لدى منظمة دول أمريكا اللاتينية وليام ميندوروف، والسناتور تشارلز جراسلي، والدكتور مارشال بريجر، المساعد الخاص للرئيس رونالد ريغان[٢٢٥]. وترأس الصلاة القس ادماك اتير، رئيس المائدة المستديرة وشاركه في هذه الصلاة النائب الجمهوري من ميتشيغن مارك سيلجاندر، الذي تحدث عن العلاقات الميثاقية بين الله والشعب اليهودي، وعن «المسؤولية الفريدة من نوعها الملقاة على عاتق المسيحيين للوقوف بجانب إسرائيل، تنفيذاً لهذا الميثاق التوراتي»[٢٢٦].

ويشكّل الحديث عن دعم إسرائيل وأمنها وعاصمتها الموحدة، محور منشورات هذه المنظمة ونشاطها. وهي تشارك في تنظيم الرحلات والزيارات من الولايات المتحدة الأمريكية إلى إسرائيل، وتقوم بإرسال البرقيات والرسائل إلى مراكز القرار السياسي الأمريكي لمصلحة إسرائيل.

٣ ـ مؤسسة جبل المعبد

ومن بين المنظمات الصهيونية المسيحية ذات الأهداف الصهيونية المحددة، والتي لها امتدادات داخل إسرائيل نفسها، منظمة تسمّى «مؤسسة جبل المعبد» (Temple Mount Foundation) وتركّز هدفها على انشاء المعبد في القدس ويقع مقر هذه المنظمة في لوس انجلس، في ولاية كاليفورنيا. وقد تفرّع عنها عدة لجان ومنظمات ومعاهد لخدمة أغراضها، من بينها «المنتدى الأمريكي للتعاون المسيحي اليهودي».

ويرئس هذا المنتدى رجل أعمال يدعى تيري رايزنهوفر (Terry Risenhoover)، من ولاية أوكلاهوما. وكذلك اللجنة الانجيلية وتعمل في مدينة القدس، وتترأسها قيادة ثلاثية تضم إضافة إلى رايزنهوفر رجل أعمال من كاليفورنيا هو تشاك كريغر (Chuck Krieger)، وكذلك رجل دين بروتستانتي وأصولي جيمس ديلوش (J. Deloach). كما أسس كريغر ورايزنهوفر معهداً سمياه «معهد البحث عن المعبد في القدس». وتم تسجيله في الولايات المتحدة الأمريكية كمؤسسة دينية معفاة من الضرائب[٢٢٧].

وقد برزت نشاطات اللجنة الانجيلية وفروعها في مطلع عام ١٩٨٣ حينما

(٢٢٥) *Washington Jewish Week* (9 February 1984), p. 3.

(٢٢٦) المصدر نفسه، ص ٣.

(٢٢٧) Wagner and Haddad, eds., *All in the Name of the Bible*, p. 22.

دافعت عن المعتقلين من الإسرائيليين المتطرفين، الذين قاموا بتخريب واتلاف أجزاء من المسجد الأقصى في ١٠ آذار/مارس ١٩٨٣. فبعد ثلاثة أسابيع من هذا التاريخ نُشر اعلان في صحيفة «جيروسالم بوست» يطالب بالإفراج عن المعتقلين، ويشيد بهم على اعتبار أنهم «أبناء إسرائيل المخلصون»[٢٢٨]. ولوحظ أن الجهة التي تبنت هذا الاعلان هي اللجنة الانجيلية التي وصفت نفسها بأنها «المهتمة بحرية العبادة في جبل المعبد»[٢٢٩]. ويشكّل بناء المعبد اليهودي عند هذه المنظمة الصهيونية المسيحية واحدة من آخر الاشارات التي تسبق العودة الثانية للمسيح[٢٣٠].

ويقول الصهيوني المسيحي القس هال ليندسي (H. Lindsey): لقد تحققت نبوءات التوراة، فها هي إسرائيل تولد من جديد في فلسطين... وها هي تمسك بالقدس القديمة والأماكن المقدسة الأخرى، وسوف تعيد بناء معبدها القديم في موقعه التاريخي[٢٣١]. ومن أجل هذه الغاية، فإن أعداداً من المسيحيين الأصوليين الأمريكيين يجمعون الأموال، ويمارسون الضغوط المنظمة في سبيل إقامة هذا المعبد مكان المسجد الأقصى بعد هدمه كما يدفعون الرسوم القانونية، وأتعاب المحاماة، للدفاع عن الإسرائيليين المعتقلين بتهمة محاولة تخريب المسجد الأقصى، وإقامة معبد يهودي مكانه[٢٣٢].

وقد قدّم رايزنهوفر حوالى ٥٠ ألف دولار كمساهمة من أجل بناء مقر لمؤسسة المعبد في إسرائيل. وتسلّم هذا المبلغ ستانلي غولدفوت الذي يعمل سكرتيراً لهذه المنظمة في القدس. وقد سبق له أن عمل كرجل استخبارات لمصلحة منظمة شتيرن الصهيونية في الأربعينات من هذا القرن. وله صلات واسعة الآن مع جماعة جوش ايمونيم اليهودية المتطرفة في إسرائيل[٢٣٣].

أما القس ديلوش، وهو راعي الكنيسة المعمدانية الثانية في مدينة هيوستن الأمريكية، ويدير في الوقت نفسه فرع منظمة جبل المعبد في هيوستن، فقد أعلن «أن الدفاع القانوني عن أولئك الذين اقتحموا المسجد الأقصى، يكلّفنا المال الكثير». ويضع ديلوش في أصبعه خاتماً من الألماس رُسم عليه الصليب ونجمة داود معاً، ويحمل على صدره شارة رسم عليها العلمان الأمريكي والإسرائيلي[٢٣٤].

(٢٢٨) المصدر نفسه، ص ٢٢.

(٢٢٩) المصدر نفسه، ص ٢٣.

(٢٣٠) المصدر نفسه، ص ٢٣.

(٢٣١) Lindsey, *The Late Great Planet Earth* (New York: Bantam Books, 1970), p. 43.

(٢٣٢) *New Republic* (18 June 1983).

(٢٣٣) Wagner and Haddad, eds., *All in the Name of the Bible*, p. 23.

(٢٣٤) الخليج (الامارات العربية المتحدة)، ١٩/٩/١٩٨٤.

وفي بداية عام ١٩٨٤ استضاف رايزنهوفر أربعمائة شخصية من البروتستانت الأصوليين، وكذلك عدداً من اليهود الأمريكيين، على مأدبة افطار صلاة من أجل إسرائيل وشارك فيها السفير الإسرائيلي المعتمد لدى الولايات المتحدة الأمريكية، كما تحدَّث فيها رايزنهوفر نفسه، وطالب بنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس[٢٣٥].

ويبعث أثرياء أمريكيون تبرعات مالية معفاة من الضرائب الى إسرائيل، عبر «مؤسسة جبل المعبد» وفروعها وبخاصة «المنتدى الأمريكي للتعاون المسيحي اليهودي»، والذي يشارك فيه «رجال دين أصوليون متحمسون لتدمير المسجد الأقصى وإقامة المعبد اليهودي مكانه»[٢٣٦].

يقول عضو الكنيست الإسرائيلي ياهودا بيراش «ان لدى مؤسسة جبل المعبد الآن عشرات الملايين من الدولارات، كما أن أكثر من ٢٠ صاحب ملايين أمريكي مستعدون لتدعيم هذه المؤسسة بمساعدات مالية اضافية»[٢٣٧].

وتتحدث الكاتبة الأمريكية غريس هالسيل (G. Halsell) عن الخطط اليهودية والمسيحية الأصولية لتدمير المسجد وبناء المعبد اليهودي، فتقول: «إن الزائر لمدينة القدس يسمع المتطرفين اليهود وهم يتحدثون بصراحة وعلانية عن خططهم لهدم المسجد، وبناء هيكل سليمان مكانه... ويتحدث المرشدون السياحيون الإسرائيليون عن الخطط الجاهزة لذلك، بما فيها مواد البناء، وإعداد لوازم الهيكل، والثياب الحريرية التي سيرتديها كهنة الهيكل بعد انجازه»[٢٣٨]. وتقول أيضاً على لسان عالم آثار أمريكي يعيش في القدس اسمه غوردون فرانز: «يوجد مسيحيون متعصبون يشاركون اليهود القول بهدم المسجد الأقصى... كما شكّل الصهاينة من المسيحيين واليهود مؤسسة هدفها بناء الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى»[٢٣٩]. وتضيف الكاتبة أيضاً على لسان أحد المرشدين السياحيين الإسرائيليين الذي كان يقود رحلة إلى عدد رجال الدين الأصوليين الأمريكيين: إن بناء الهيكل ستفهمه شعوب الأرض على أنه تم بناء على ارادة الله... وإننا نفضّل أن يكون المكان خالياً لبناء الهيكل... ومن الممكن أن ينهار المسجد والصخرة بإرادة الله أو نتيجة زلزال أو أي شيء آخر[٢٤٠].

(٢٣٥) المصدر نفسه.
(٢٣٦) *New Republic* (18 June 1983).
(٢٣٧) الخليج، المصدر نفسه، نقلاً عن دافار، ٢٣/١/١٩٨٣.
(٢٣٨) الشرق الأوسط، ٦/٢/١٩٨٤.
(٢٣٩) المصدر نفسه.
(٢٤٠) المصدر نفسه.

ومن جانب آخر، تقوم «مؤسسة معبد القدس» بتقديم المساعدات المالية لتدريب عدد من الكهنة اليهود على كيفية خدمة المعبد الذي تنوي بناءه[٢٤١]. كما يتعاون معها الدكتور لامبرت دولفن (L. Dolphin)، وهو من العلماء البارزين في «معهد أبحاث ستاندفور» في ولاية كاليفورنيا. ويتولى هذا العالم تزويد المؤسسة بأجهزة حديثة للتصوير والتنقيب المتعلق بالآثار، ويضع خبراته ومعداته وأبحاثه لخدمة غرض التنقيب الأرضي عن المعبد. وقد أمضى عدة أسابيع عام ١٩٨٣ في القدس، في مهمة لحساب مؤسسة جبل المعبد. وقام خلالها باستخدام أجهزة رادارية للبحث والتصوير الأرضي تحت المسجد الأقصى والصخرة[٢٤٢].

تتمتع مجموعة رايزنهوفر بصلات واسعة مع المنظمات والقيادات الصهيونية المسيحية. ولها منافذ مفتوحة على البيت الأبيض ووزارة الخارجية الأمريكية. وكان رايزنهوفر أحد أفراد القيادة المسيحيين الأصوليين الذين دعاهم البيت الأبيض في ١٩ آذار/مارس ١٩٨٤ لكسب تأييدهم لبرنامج الادارة الأمريكية الداخلي والخارجي. وقد شارك في هذا الاجتماع عدد من القيادات الصهيونية اليهودية مثل كينين، مؤسس اللجنة الأمريكية الإسرائيلية للشؤون العامة المعروفة باسم ايباك (Aipac)، وهي جماعة الضغط الرسمية لإسرائيل وكذلك رئيس المنظمة الصهيونية العالمية[٢٤٣].

وقام رايزنهوفر بشراء أراض في الضفة الغربية المحتلة، وبخاصة في مدينة القدس، لمصلحة إسرائيليين. ويظلّ هدفه الأساسي بناء «المعبد الثالث» في المكان نفسه الذي يقع عليه المسجد الأقصى حالياً[٢٤٤].

ومن هنا يتضح أن لمسألة القدس والمعبد فيها موقعاً خاصاً في رؤية هذه الجماعة الضاغطة المسيحية الأصولية. وتشكّل هذه الرؤية تهديداً لحرية العبادة في الأماكن المقدسة، وبخاصة للمسلمين العرب. كما تشكّل قلقاً لدى العالم الاسلامي إذا ما تعرّض المسجد الأقصى لنوع من الدمار أو التخريب. ويُخشى أن يتطور هذا القلق إلى صدامات مسيحية اسلامية يصعب حصرها.

٤ - مؤتمر القيادة المسيحية الوطنية لأجل إسرائيل

التقت في مطلع عام ١٩٨٠ عدة جماعات ومنظمات وقيادات صهيونية غير يهودية تحت مظلة واحدة. وشكلت تحالفاً من أجل إسرائيل سمّي مؤتمر «القيادة المسيحية

(٢٤١) Grace Halsell, *Prophecy and Politics: Militant Evangelists on the Road to Nuclear War* (Westport, Conn.: Lawrence Hill and Co., 1986), p. 101.
(٢٤٢) المصدر نفسه، ص ١٠٢.
(٢٤٣) Wagner and Haddad, eds., *All in the Name of the Bible*, p. 22.
(٢٤٤) *Evangelical Christian Zionism in America* (April 1985).

الوطنية لأجل إسرائيل» (The National Christian Leadership Conference For Israel)، واتخذ مدينة نيويورك مقراً له.

وقد أسس هذا التجمع الصهيوني المسيحي فرانكلين ليتيل (Franklin H. Littell)، الأستاذ في جامعة تيمبل في ولاية نيويورك، ويرئسه حالياً الأب ادوارد فلانيري (E. Flannery). وقد شكّل الاهتمام ببقاء ودعم إسرائيل، ورفاهيتها، القضية الوحيدة التي تعاونت فيها المنظمات المشكلة لهذا التجمع[٢٤٥].

تمارس هذه المنظمة الصهيونية المسيحية نشاطاتها بأشكال وأساليب متعددة، منها النشاطات اللاهوتية والمؤتمرات والمسيرات، ووسائل الضغط المنظمة والاعلانات. وعقدت في تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨١ مؤتمرها السنوي في واشنطن العاصمة وكُرّس لخدمة إسرائيل. وقد تحدّث فيه العديد من رجال الكونغرس، أمثال النائب جاك كيمب، والنائب الديمقراطي السابق روبرت درينان[٢٤٦].

وقد دعا مؤتمر القيادة في ١٥ حزيران/يونيو ١٩٨٢ للتظاهر دعماً لغزو إسرائيل للبنان. وتحدث المشاركون في التظاهرات التي شملت عدة مدن أمريكية، عن دعم إسرائيل عسكرياً واقتصادياً. وبعث المؤتمر برقية في اليوم نفسه إلى المنظمات والمؤسسات المسيحية الرئيسية، وبخاصة الرابطة القومية للانجيليين، وإلى المجلس القومي للكنائس، ومؤتمر المعمدانيين الجنوبي، ومؤتمر الرهبان الكاثوليك، يشير فيها إلى «فهم القيادات المسيحية لحاجة إسرائيل الماسة لحماية شعبها ضد الارهاب»[٢٤٧].

ونشرت في الأول من آب/اغسطس ١٩٨٢، صحيفتا «واشنطن بوست» و«نيويورك تايمز»، وعدد آخر من كبريات الصحف الأمريكية اعلانات على صفحة كاملة، تحت عنوان «مسيحيون متضامنون مع إسرائيل» ضم أسماء وتوقيعات أكثر من مائة قيادة أمريكية بارزة بينها رجال دين، ورؤساء كنائس، ومنظمات مسيحية، ورؤساء جامعات، وصحفيون، وحكام ولايات، ونجوم الكنيسة المرئية، من أمثال جيري فولويل، وادوارد ماك أتير، وديفيد لويس، وبات روبرتسون. وقد تبنّى هذه الاعلانات مؤتمر القيادة المسيحية الوطني لأجل إسرائيل[٢٤٨]. وبررت هذه الاعلانات

(٢٤٥) Findley, *They Dare to Speak Out: People and Institutions Confront Israel's Lobby*, p. 243.

(٢٤٦) *Christianity Today* (October 1981).

(٢٤٧) David Lewis, *Magog 1982 Cancelled* (Arkansas: New Leaf Press, 1982), pp. 45-47.

(٢٤٨) *New York Times* (August 1982).

عملية الغزو الإسرائيلي للبنان، واعتبرتها حماية للمدنيين الإسرائيليين... وتحريراً للشعب اللبناني من منظمة التحرير الفلسطينية وسوريا... وحثت الحكومة الأمريكية على مواصلة العمل لتعاون أفضل مع إسرائيل... لأنها أكثر حليف لنا يُعتمد عليه في الشرق الأوسط[٢٤٩].

وفي ١١ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٢، عقد «مؤتمر القيادة المسيحية الوطني لأجل إسرائيل» مؤتمراً في أحد المعابد اليهودية في واشنطن العاصمة، تحت شعار «مواجهات المسيحية الأصولية والقيادة اليهودية». وحضرته قيادات بروتستانتية، وكاثوليكية، من بينها القس جيمي الين من كنيسة مؤتمر المعمدانيين الجنوبي، وكذلك جيري فولويل، وادوارد ماك أتير، وعدد آخر من أساتذة اللاهوت والرهبان والقساوسة.

وقد أصدر المجتمعون في نهاية المؤتمر بياناً يؤيد إسرائيل والجماعة اليهودية الأمريكية، ويؤكد على الالتزام بأمن إسرائيل، وبأن «كل الأراضي المقدسة هي ملك للشعب اليهودي... وأن القدس هي العاصمة الموحدة الأبدية لإسرائيل، التي لا يجوز تدويلها أو أن تكون محلاً للتفاوض أو الحلول الوسط... وأن الشعب اليهودي في أي مكان سيظل شعب الله المختار الذي يبارك الله من يباركه ويلعن من يلعنه»[٢٥٠].

وبمناسبة مرور أربعين عاماً على انتهاء الحرب العالمية الثانية، أصدر مؤتمر القيادة المسيحية الوطني لأجل إسرائيل بياناً وجّهه إلى جميع المسيحيين ونشره كإعلان في جريدة نيويورك تايمز جاء فيه: «أعطوا اهتماماً خاصاً لمعنى إسرائيل في فكر الشعب اليهودي وعقيدته وحياته خلال تاريخه الطويل... وارفعوا أصواتكم عالياً ضد اللاسامية التي تختفي وراء معاداة الصهيونية»[٢٥١]. وطالب البيان هيئة الأمم المتحدة التبرؤ من قرار الجمعية العامة الخاص باعلان الصهيونية شكلاً من العنصرية، واعتبر أن هذا القرار قد ولّد شكوكاً جدية في التزامات الأمم المتحدة بمبادئها التي أُنشئت على أساسها، وساهم في فقدان الأمم المتحدة لمصداقيتها. واعتُبر قرار الأمم المتحدة الذي أصدرته الجمعية العامة في ١٠ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧٥ «فضيحة لا بد من إزالتها من سجل الأمم المتحدة... وقد وقّعت هذا البيان المئات من الكنائس البروتستانتية والقيادات الدينية»[٢٥٢].

ويهدف مؤتمر القيادة المسيحية الأصولية، كائتلاف منظمات تعمل من أجل

(٢٤٩) المصدر نفسه.

(٢٥٠) «Evangelical Christian and Jewish Leadership Encounters,» paper presented at: National Christian Leadership Conference for Israel, Washington, D.C., 11 November 1982.

(٢٥١) *New York Times* (10 November 1985).

(٢٥٢) المصدر نفسه.

إسرائيل، إلى تطوير ائتلاف أوسع، وجبهة موحدة لدعم الصهيونية وإسرائيل في وسط المجتمع المسيحي الأمريكي، وإلى جعل هذا المؤتمر أوسع وأقوى جماعة ضغط منظمة للصهيونية المسيحية من أجل المصالح والأهداف الإسرائيلية[٢٥٣].

٥ ـ مسيحيون متحدون من أجل إسرائيل

تأسست هذه المنظمة المسمّاة «مسيحيون متحدون من أجل إسرائيل» (Christians United For Israel) في تموز/يوليو ١٩٧٥ بهدف «تعزيز الموقف الصهيوني المسيحي»[٢٥٤].

وقد تولى القس الكاثوليكي الأصولي ديفيد لويس تأسيس هذه المنظمة، التي تعمل في مجال دعم السياسات والأغراض الصهيونية ودعم إسرائيل.

قام ديفيد لويس بعدة زيارات لإسرائيل. والتقى مع المسؤولين فيها، وبخاصة أثناء تولي مناحيم بيغن رئاسة الوزارة. كما عقد عدة اجتماعات مع الضابط اللبناني المنشق عن الجيش الشرعي سعد حداد، رئيس جماعة «جيش لبنان الحر»، المدعوم من قبل إسرائيل والذي يعمل أتباعه في جنوب لبنان[٢٥٥].

تُصدر هذه المنظمة مجلة ربع سنوية هي «ساعي القدس ومختار النبوءة» (Jerusalem Courier & Prophecy Digest) إضافة إلى نشرة اخبارية شهرية. وتعكس هاتان النشرتان الفكر اللاهوتي الصهيوني المسيحي «وتبدوان غالباً كأنهما نسخة عن الاعلام الإسرائيلي وبيانات الحكومة الإسرائيلية»[٢٥٦].

وينظم القس ديفيد لويس ويقود مجموعات سياحية، بمعدل مرتين سنوياً إلى إسرائيل، حيث يرتب لها اجتماعات مع عناصر سياسية رئيسية إسرائيلية. كما تشارك هذه المجموعات في الاحتفالات الدينية اليهودية التي تنظمها السفارة المسيحية الدولية بالقدس[٢٥٧].

ويعتقد لويس زعيم هذه المنظمة، بأن الغزو الإسرائيلي للبنان في عام ١٩٨٢ قد «حرر شمال إسرائيل من التهديدات المستمرة لارهاب منظمة التحرير الفلسطينية. كما خدم قضية

(٢٥٣) Wagner, «A Ministry of Advocacy for Palestinian Justice within Evangelical Christian Zionism», p. 73.

(٢٥٤) المصدر نفسه، ص ٦٩.

(٢٥٥) المصدر نفسه، ص ٦٩.

(٢٥٦) المصدر نفسه، ص ٦٩.

(٢٥٧) المصدر نفسه، ص ٧٠.

تحرير الشعب اللبناني، وحفظ العالم من احتلال سوفياتي للشرق الأوسط.. ومن كساد اقتصادي في العالم الغربي ومن حرب عالمية ثالثة...»[٢٥٨].

ومن الجدير بالملاحظة، أن كتاب القس لويس الذي أصدره في نهاية عام ١٩٨٢، قد ضم ١٣٢ صفحة من التحليل السياسي المبني على بيانات المتحدث العسكري الإسرائيلي، ومنشورات الحكومة الإسرائيلية، كما شمل العديد من الصور للمؤلف وزوجته مع قيادات ومسؤولين إسرائيليين ولم يزد ما تناوله الكتاب في صفحاته من مواقف لاهوتية مسيحية على ست صفحات وردت في نهاية الكتاب.

٦ ـ المصرف المسيحي الأمريكي لأجل إسرائيل

من المنظمات المسيحية الأصولية الأمريكية التي تكرس نفسها لخدمة إسرائيل وسياساتها التهويدية والتوسعية، وخاصة في شراء الأراضي العربية أو السيطرة عليها، وحيازتها أغراض بناء المستوطنات اليهودية في الضفة الغربية، المنظمة المسماة «المصرف المسيحي الأمريكي لأجل إسرائيل» (The American Christian Trust For Israel) وقد أسستها وتديرها السيدة بوبي هروماس (Bobi Hromas)، لتكون مظلة ووكيلة لعدد كبير من الحركات المسيحية الأصولية، وقناة لنقل الأموال الأمريكية مباشرة إلى إسرائيل، ولاستخدام هذه التبرعات والمساهمات المالية، في شراء الأراضي في الضفة الغربية المحتلة، وتمويل عمليات بناء وتوسيع المستوطنات فيها[٢٥٩].

يقول تشارلز فشبين (Charles Fischbein)، المدير التنفيذي السابق للصندوق القومي اليهودي في منطقة وسط الأطلسي، والذي أبعد عن الصندوق في نهاية عام ١٩٨٢، في رسالة له وجّهها إلى إحدى المنظمات العربية الأمريكية في ٣٠ كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٤: «ان هدف هذه المجموعة في الوقت الحاضر، هو جمع أكثر من مائة مليون دولار لبناء مستوطنات في منطقة الجليل. وقد تم بالفعل تزويد إسرائيل بعشرات الملايين من الدولارات لتهويد الضفة الغربية، تحقيقاً للنبوءة التوراتية»[٢٦٠].

ويقول أيضاً، كاشفاً العلاقات التي تربط بين هذه المجموعة وكبار رجال الادارة الأمريكية، بما فيها القوات المسلحة الأمريكية: «لهذه المجموعة علاقات عميقة مع المنظمات المسيحية الأصولية وقياداتها، مثل جيري فولويل، وبات روبرتسون، وجيمي سواغيرت، إضافة إلى

(٢٥٨) Lewis, *Magog 1982 Cancelled*, p. 11.

(٢٥٩) *Palestine Human Rights Campaign* (Chicago), (15 May 1985).

(٢٦٠) من وثائق اللجنة العربية ـ الأمريكية لمكافحة التمييز العنصري ضد العرب في الولايات المتحدة الأمريكية، واسمها المختصر هو (ADC) ويرئسها حالياً المحامي عابدين جبارة، والمنشورة في المؤتمر السنوي في عام ١٩٨٥.

علاقات حميمة مع أثرياء المجتمع الأمريكي، مثل الثري وولتر انينبرغ، مموّل حملات الرئيس ريغان، وصديقه منذ زمن طويل. وكذلك ادوين ميس وزوجته، وهو أحد كبار المسؤولين في الادارة الأمريكية في عهد الرئيس ريغان، إلى جانب هيرب الينغوود، مستشار الرئيس ريغان، وجيمس ووت، وزير الداخلية السابق في ادارة هذا الرئيس. وعدد آخر من القيادة العليا العسكرية، بما فيها الأميرال شيسي (Checce)، «الذي حضر وساهم في حفلات جمع التبرعات لإسرائيل، والتي أقامتها مجموعة السيدة هروماس المسيحية الأصولية. وفي إحدى هذه الحفلات قدّم هيرب الينغوود إلى السيدة هروماس هدية من الرئيس ريغان، هي عبارة عن نسخة من التوراة موقّعة من الرئيس نفسه»[٢٦١].

وحينما لقي ابن ادوين ميس، المدعي العام الأمريكي الأسبق، مصرعه في حادث سيارة في أوائل الثمانينات، طلب الرئيس ريغان أن تتم زراعة أيكة من الأشجار في منطقة الخليل بالضفة الغربية المحتلة، لتخليد ذكرى سكوت، ابن ادوين ميس. وتولت هذه المجموعة المسيحية الأصولية جمع الأموال لهذا الغرض. وتم زراعة الأيكة بواسطة منظمة السفارة المسيحية الدولية في إسرائيل. كما قام الصندوق القومي اليهودي بزراعة ايكة مماثلة في مدينة القدس، بعد أن التزمت المجموعة المسيحية المذكورة بتغطية تكاليف هذه العملية.

ولا يقتصر عمل هذه المجموعة على توريد الأموال إلى إسرائيل، بل يتعداه إلى توفير فرص التدريب العسكري والتقاني المتقدم للإسرائيليين في الولايات المتحدة الأمريكية. ويتم ذلك بواسطة زوج السيدة هروماس واسمه الدكتور ليس هروماس الذي كان أحد كبار مؤسسي شركة «تي. آر. دبليو لصناعة الكمبيوتر»، ويشغل حالياً منصب مدير قسم تقانة الفضاء في الشركة المذكورة. ويتولى بنفسه دعوة قيادات عسكرية إسرائيلية، وتوفير فرص تدريبية لهم في شركته في كاليفورنيا، واعطاءهم معلومات تقانية حساسة سرية[٢٦٢].

ويقول اليهودي المنشق تشارلز فشبين، «إن رئيس طياري التجارب في شركة «نورثروب للفضاء»، هو صديق شخصي وحميم لأسرة هروماس، ويعمل معها في خدمة الأغراض الإسرائيلية»[٢٦٣].

وتتفرع من هذه المنظمة، مجموعة أخرى تتخذ من ولاية كاليفورنيا مقراً لها تسمّي نفسها «مع الحب» (En Agape)، وتتمتع بصلات واسعة مع أوساط هوليوود وصناعة السينما[٢٦٤]. ويعتبر الثري كلينت يرشاسون صاحب فريق «دالاس كاوبوي»

---

(٢٦١) المصدر نفسه.
(٢٦٢) المصدر نفسه.
(٢٦٣) المصدر نفسه.
(٢٦٤) المصدر نفسه.

لكرة القدم الأمريكية، من أبرز قيادات وممولي هذه المجموعة.

ويتم توريد ملايين الدولارات إلى إسرائيل بعدة طرق، من بينها السفارة الإسرائيلية في واشنطن العاصمة. وكذلك بواسطة السيدة هروماس نفسها، التي تملك منزلاً في القدس، أو من خلال «بنك التراث الدولي» في منطقة باثيسدا ي ولاية ميري لاند. وقد أسس هذا البنك بواسطة الصهيوني دونالد وولب، الرئيس الأسبق للمنظمة الصهيونية في الولايات المتحدة الأمريكية. ويعتبر هذا البنك المؤسسة المصرفية الأمريكية الوحيدة التي لها فرع في إسرائيل[٢٦٥].

٧ ـ منظمات وجماعات ضغط أخرى

يصعب حصر منظمات وجماعات الضغط الصهيونية المسيحية كافة في الولايات المتحدة الأمريكية. فبعضها صغير الحجم من حيث الأعضاء والامكانيات والنفوذ. ويكتفي بعضها الآخر بأنشطة وأعمال تضامنية مع إسرائيل في المواسم الاجتماعية أو السياسية أو الدينية، كما يتخصص بعضها في كتابة الرسائل إلى الصحف المحلية في الولايات وإلى ممثلي مناطقه في المجالس التشريعية المحلية والاتحادية، بينما تكرس جمعيات أخرى نفسها لالقاء المحاضرات وعرض الأفلام والشرائح التصويرية عن رحلات قادتها وأعضائها إلى فلسطين المحتلة. كما تقوم جماعات أخرى بتسيير التظاهرات والمسيرات التضامنية مع إسرائيل، مثل منظمة «تاف» (Tav)، التي أخذت اسمها من الحروف الأخيرة من ألف باء العبرية. وتنظّم هذه المنظمة باستمرار مسيرات تضامن ودعم لإسرائيل، مثل مسيرة «التضامن ليوم السبت مع إسرائيل»، والتي قادتها ودعت إليها في واشنطن العاصمة في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٢.

كما تنشط عناصر قيادية صهيونية مسيحية، من بين هذه المنظمات الصغيرة، داخل التجمعات الشعبية، في الأحياء والمقاطعات، لدعم إسرائيل. وتعتبر مثل هذه الجماعات منظمات ذات جذور شعبية. وتختلف في اعدادها وفي تأثيرها من جماعة إلى أخرى، لكنها تجتمع على التأثير لمصلحة خلق وتعميق تعاطف العامة لدعم إسرائيل وحركتها الصهيونية[٢٦٦].

وتُصدر هذه المنظمات الصهيونية المسيحية، التي يقدَّر عددها بأكثر من ٢٥٠ منظمة، النشرات الاخبارية، والملخّصات المركزة المخصصة لدعم إسرائيل «تنفيذاً

---

(٢٦٥) يوسف الحسن، اندماج: دراسة في العلاقة الخاصة بين الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل (القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٦٨)، ص ٩٣.

(٢٦٦) Routh W. Mouly, «Zionism in American Premillenarian Fundamentalism,» *American Journal of Theology* (September 1983), p. 9.

لرغبة الله»[٢٦٧]. كما تنظّم الرحلات الجماعية إلى الأماكن المسيحية المقدسة في فلسطين المحتلة. وتسوّق السندات الإسرائيلية، والمنتوجات الإسرائيلية، وتحث أعضاءها على كتابة البرقيات والرسائل وإرسالها إلى محرري الصحف وإلى الرئيس الأمريكي، وأعضاء الكونغرس نيابة عن إسرائيل وخدمة لها[٢٦٨].

ومن الأمثلة على هذه الجماعات والمنظمات، المنتشرة في أنحاء الولايات المتحدة الأميركية «اللجنة المسيحية الأمريكية لأجل إسرائيل»، و«رابطة الصهيونية المسيحية لدعم إسرائيل»، وجماعات «ليلة لتكريم إسرائيل»، إضافة إلى «رابطة الصداقة الإسرائيلية الأميركية» (American-Israel Friendship League) ومقرها في نيويورك، ويضم مجلس ادارتها أكثر من خمسين نائباً برلمانياً، من أمثال جوزيف أدابو وجيرالدين فيرارو، التي رُشِّحت كنائبة لرئيس الجمهورية الديمقراطي في انتخابات الرئاسة لعام ١٩٨٤. وكذلك النائب جاك كيمب، المرشح للرئاسة في انتخابات عام ١٩٨٨، فضلاً عن عدد من أعضاء مجلس الشيوخ أو حكام بعض الولايات. وتُصدر هذه الرابطة نشرة إخبارية باسمها، مكرسة لخدمة أهداف إسرائيل، وتوسيع الدعم والتفهم لإسرائيل وسط الأمريكيين، وضمان «ان العلاقات الاستراتيجية والأخلاقية والتاريخية مع إسرائيل مستمرة وقوية»[٢٦٩].

يقول أحد أعداد نشرتها الاخبارية ان «مهمة كل أمريكي، يحب الحرية، ويخدم حقوق الانسان، هي دعم إسرائيل وتحسين صورتها في الولايات المتحدة الأمريكية»[٢٧٠]. وتنظّم هذه الرابطة الندوات والمؤتمرات والدورات التدريبية «لتطوير وتعميق قواعد فهم أفضل لحاجات وأهداف إسرائيل»[٢٧١].

ويشير برنامج منظمة صهيونية مسيحية أخرى تسمى «وسطاء لأجل إسرائيل» (Intercessors For Israel)، إلى عقد «الندوات والدورات التعليمية لأعضاء الكنائس» وإقامة الصلوات المستمرة لمصلحة إسرائيل في المدن الرئيسية، وتنظيم الرحلات إلى إسرائيل، وتعلّم الموسيقى والرقص الإسرائيليين، ودعم بيت الأطفال التابع لمنظمة نساء «بناي بريث» أي أبناء العهد، الصهيونية في القدس، وإرسال العرائض لدعم إسرائيل، إلى البيت الأبيض وأعضاء الكونغرس، وتدعيم حرية يهود

(٢٦٧) المصدر نفسه، ص ٩.
(٢٦٨) المصدر نفسه، ص ٩.
(٢٦٩) *American - Israel Friendship League News* (New York), (July 1982).
(٢٧٠) المصدر نفسه.
(٢٧١) المصدر نفسه.

الاتحاد السوفياتي، وترتيب لقاء قيادات إسرائيلية وأمريكية مع الصحافة المسيحية وبرامج الكنائس المرئية[٢٧٢].

ويقع مقر هذه المنظمة في مدينة كنساس، وتطلق على نفسها تسمية «المؤسسة القومية لأصدقاء إسرائيل المسيحيين»[٢٧٣].

وقد جرت التحالفات بين اليمين المحافظ السياسي في عهد ادارة الرئيس رونالد ريغان وبين الحركة الصهيونية المسيحية، بهدف التأثير المشترك في اتجاهات السياسة الأمريكية داخلياً وخارجياً، وأبرزها التحالف المسمى «الائتلاف الأمريكي للقيم التقليدية» (American Coalition For Traditional Values). وهو ائتلاف يعبر في اطاره العام عن الاتجاه المسيحي الأصولي، ويمارس الضغوط المنظمة لمصلحة دعم إسرائيل. وقد أسسته عدة قيادات ومنظمات مسيحية أصولية عام ١٩٨٤، من بينها منظمة «الأغلبية الأخلاقية». وقد ترأس القس تيم لاهيه (T. Lahaye) هذا التحالف الذي يصدر مجلة دورية تسمّى «صوت المسيحية» (Christian Voice)، توزع أكثر من مليون ومائتي ألف نسخة[٢٧٤].

ومن بين المنظمات الصهيونية المسيحية أيضاً منظمة «الكونغرس المسيحي الوطني» (The National Christian Congress) وقد تم انشاؤها في عام ١٩٨٠، بهدف توحيد المسيحيين من الطوائف والمنظمات كافة من أجل أمن الوطن القومي اليهودي[٢٧٥]، وقد شارك في حفل انشائها ممثلون عن المؤتمر الوطني للرهبان الكاثوليك، والمجلس الوطني للكنائس. وتحدّث في الحفل النائب الجمهوري عن نيويورك جاك كيمب، الذي أعلن أن إنشاء إسرائيل عام ١٩٤٨ هو إيفاء للنبوءة التوراتية[٢٧٦].

(٢٧٢) *Intercessors for Israel 1983 Programs* (Kansas City), (A Brochure).
(٢٧٣) المصدر نفسه.
(٢٧٤) *Christian Science Monitor* (6 November 1984).
(٢٧٥) Halsell, *Prophecy and Politics: Militant Evangelists on the Road to Nuclear War*, p. 179.
(٢٧٦) المصدر نفسه، ص ١٧٩.

الفصل الخامس

رُؤيةٌ مُسْتَقبَليّة
لِلحركَةِ المسِيحيّةِ الأصُوليّةِ الأمريكيّة

أولاً : الخلافات بين الحركة المسيحية الأصولية وبين الحركة الصهيونية اليهودية وإسرائيل

تمارس الحركة المسيحية الأصولية نفوذها بأشكال متنوعة ووسائل عديدة، من بينها الأجهزة الاعلامية، كالصحافة والتلفزة والاذاعة، وانشاء المؤسسات التعليمية، كالمدارس والجامعات للتربية والتثقيف والتدريب، واستخدام أسلوب المقاطعة الاقتصادية للأفراد والمؤسسات والبرامج المعارضة لوجهات نظرها. إضافةً إلى المشاركة في الانتخابات المحلية والاتحادية، سواء بالعمل على اسقاط المرشح المعادي لاتجاهاتها، أو بدعم وانجاح عناصر صديقة لها وموالية لتوجهاتها. وتمارس الدعم أو المناهضة بوسائل ضغط وتأثير متنوعة، وعلى مختلف المستويات، سواء في الشارع أو في الكونغرس والبيت الأبيض، أو في أجهزة الاعلام.

ويتسع برنامج الحركة المسيحية الأصولية ليشمل مناهضة الدعوات والتشريعات الليبرالية، والمتعلقة بالاجهاض والتحرر الاجتماعي والحرب النووية، والدعوة للصلاة في المدارس، ومناهضة أنشطة المنظمات النسائية، وبمعنى آخر أن لا يعود ثمة فاصل بين الدين والسياسة في الحياة الأمريكية.

أما على المستوى الخارجي، فإن برنامج الحركة المسيحية الأصولية يشمل محاربة الشيوعية والاتحاد السوفياتي، ودعم وتأييد إسرائيل وسياساتها التوسعية والاستيطانية، فضلاً عن التبشير المسيحي في العالم الثالث.

وقد أوضحنا في الفصول السابقة التزايد الملحوظ في إعداد ونفوذ وموارد الحركة

المسيحية الأصولية. وبدا أنها كانت تشكّل التيار الرئيسي في المؤتمر القومي للحزب الجمهوري المنعقد في آب/أغسطس ١٩٨٤، في مدينة دالاس. وغدت مسألة الدين وعلاقته بالدولة إحدى أهم القضايا الرئيسية في معركة الانتخابات لعام ١٩٨٤. ولم يكتفِ الرئيس رونالد ريغان ليلة اعادة ترشيحه لرئاسة الجمهورية بالتأكيد على «أنه بغير الدين فإن الديمقراطية الأمريكية لا يمكن أن نستمر وتزدهر»[1]، بل حضر صبيحة انتخابه حفل «إفطار وصلاة»، نظّمته المنظمات المسيحية الأصولية، وحضره أكثر من عشرة آلاف رجل دين وسياسة. وخاطب الرئيس الحفل بـ «لهجة السياسي ورجل الكنيسة معاً، مؤكداً أن لا فصل بين الكنيسة والدولة»[2].

وقد أدى تزايد هذه الاتجاهات الدينية، وتنامي نفوذ التيار المسيحي الأصولي على الصعيد السياسي، إلى بروز خلافات بين الحركة الصهيونية اليهودية والحركة المسيحية الأصولية.

ورغم ما تملكه الجماعات الصهيونية اليهودية من جيوب داخل التيار المسيحي الأصولي، وما تقدمه النظرية التوراتية إلى هذا التيار من دعم للدولة اليهودية، سواء من حيث وجودها واستمراره، أو دعم كيانها وسياساتها، فإن الحركة الصهيونية اليهودية في الولايات المتحدة الأمريكية، أخذت تبدي قلقها وخشيتها من تعاظم قوة الحركة المسيحية الأصولية وتزايد نفوذها.

ورأت في هذا النهوض الأصولي القوي والنفوذ المتنامي إمكانية رحبة ومناخاً مناسباً لِـ «مسحنة» (Christianize) الولايات المتحدة الأمريكية. وتخشى الجماعة اليهودية أن تنعكس هذه «المسحنة» سلباً على أوضاعها المالية والاقتصادية والاعلامية والسياسية المميزة. كما تخشى أن يؤدي ذلك إلى صعوبة في التأثير على مسار وتوجهات ومواقف التيار المسيحي الأصولي مستقبلاً.

وتتذكر الجماعات اليهودية أن الحزب الديمقراطي نفسه، الذي يعتبره اليهود حزبهم المسجّلة أغلبيتهم في عضويته، كان حتى الربع الأول من القرن العشرين حكراً على البروتستانت. وتتذكر الجماعات اليهودية أيضا كيف ساهمت المسيحية الأصولية في إسقاط زعيمين من أبرز العناصر الصهيونية في مجلس الشيوخ عام ١٩٨٠، وهما فرانك شيرش، وجاكوب جافتس، بسبب قيادتها لحملة إباحة الاجهاض.

---

(١) *Washington Post* (24 August 1984).

(٢) المصدر نفسه.

من هنا ثارت مخاوف الصهيونية اليهودية. وقد عبّرت عن رأيها المناهض للحركة المسيحية الأصولية بشأن «مسحنة» الولايات المتحدة الأمريكية، على لسان هوارد فريدمان، رئيس «اللجنة اليهودية الأمريكية» حينما قال «يجب على الدولة ألا تتصرف وكأنها كنيسة»[3].

لقد أضحى المسيحيون الأصوليون مشكلة خلافية داخل اطار الجماعة اليهودية نفسها. واعتبر أحد كبار حاخامات اليهود الكسندر شندلر أن تنامي قوة المسيحية الأصولية مقلق للغاية وقال: «يوجد صلة بين صعود المسيحية الأصولية وتنامي معاداة الساميّة في الولايات المتحدة الأمريكية، ولا بد من تعاون اليهود مع المسيحية المعتدلة والسود لتشكيل تحالف مناسب ضد قوة هذه الحركة المتطرفة، التي تسبب القشعريرة»[4]. وقال أيضاً: إنه «من الغباء ومن الانتحار أن يتعاون اليهود مع المسيحية الأصولية المتطرفة بحجة دعمها لإسرائيل في الوقت الذي تشكّل تهديداً ليهود الولايات المتحدة الأمريكية»[5].

من الخلافات البارزة بين الحركة الصهيونية والجماعات اليهودية الأمريكية من ناحية، والحركة المسيحية الأصولية من ناحية أخرى، الموقف من قضايا التحرر الاجتماعي، والاجهاض، والصلاة في المدارس، والتبشير المسيحي، والمرأة، والشذوذ الجنسي، وانتهاءً بما يؤمن به الأصوليون من ضرورة تهيئة اليهود للاعتراف بيسوع مسيحاً لهم عند عودته الثانية، وقبل مجيء ما يسمّى المعركة الفاصلة بين الخير والشر.

ورغم هذه الخلافات، فإن الجماعة اليهودية الأمريكية ظلت على تحالفها مع الحركة المسيحية الأصولية. ووجدت الحركة الصهيونية اليهودية أن المنافع التي يقدمها المسيحيون الأصوليون إلى الصهيونية وإسرائيل، تتفوق كثيراً على هذه الخلافات العقائدية والاجتماعية.

وقد عُرف عن الحركة الصهيونية اليهودية طوال تاريخها، «ذرائعية» من النوع النادر. فقد تعاونت في سبيل أهدافها البعيدة، مع النازية[6]. وتسرّبت إلى الحركات اليسارية السياسية في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. كما برزت في الحركات السياسية اليمينية[7]. وأعطت أصواتها في الانتخابات الأمريكية للجمهوريين والديمقراطيين معاً. لكنها ظلت طوال الوقت تراهن على الحصان الرابح، وتفضّله ضعيفاً، مهتزاً دائماً، وجديداً على المسرح، حتى تسهل قيادته والتأثير عليه، وبخاصة

---

(٣) *Wall Street Journal* (18 September 1984).

(٤) *Washington Star* (22 November 1986).

(٥) المصدر نفسه.

(٦) محمود عباس، **العلاقات السرية بين النازية والصهيونية** (عمّان: دار ابن رشد، ١٩٨٤)، ص ٦.

(٧) نصر شمالي، **إفلاس النظرية الصهيونية** (بيروت: منشورات فلسطين المحتلة، ١٩٨١)، ص ١١٨.

إذا ما كان يتطلع إلى فترة أخرى في الحكم المحلي أو الاتحادي الأمريكي.

وقد نقلت مواقعها الرئيسية وغيرت في تحالفاتها، تبعاً لتغيّر مصالحها ودون اهتمام لمسائل الأخلاق والقيم والمثل الإنسانية. واتخذت كافة الاجراءات لـ «منع اندماج اليهود، ولخلق الصعوبات في وجه هجرتهم من شرق أوروبا إلى غربها، وشجعت الاتجاهات اللاساميّة والقوانين الحكومية التي كانت تحول دون الاندماج وتعرقل الهجرة»(٨).

لقد تم ذلك بانسجام كبير بين جهود الحركة الصهيونية اليهودية وجهود الصهيونية المسيحية. ووقفت الحركة الصهيونية اليهودية مع انتخاب الرئيس جيمي كارتر في عام ١٩٧٦، لكنها تخلت عنه في انتخابات عام ١٩٨٠، ولم تمنحه من أصوات الجماعة اليهودية سوى ٣٠ بالمائة(٩)، رغم أنه أنجز في عهده توقيع اتفاقات كامب ديفيد بين جمهورية مصر العربية وإسرائيل في أيلول/سبتمبر ١٩٧٨.

وفي تقديري أن اليهود لا يقترعون في الانتخابات كجماعة يهودية فقط، بل تبعاً لعوامل سياسية واجتماعية وعقائدية أخرى.

وقد حاول بعض قادة اليهود الأمريكيين التقليل من أهمية الخلافات الصهيونية اليهودية مع المسيحية الأصولية، بمقارنتها بخلافات حادة حول مسائل سياسية ودينية بين الكاثوليك والبروتستانت.

ويتوجه بعض قادة الصهيونية المسيحية بالنقد والهجوم على الفاتيكان، ولا يرون فيه مصدراً للإثراء الروحي للمسيحيين. وفي ذلك يقول القس جيمي سواغيرت، وهو أحد أبرز قادة الحركة المسيحية الأصولية من البروتستانت: «ان الذين يقبّلون خاتم البابا أو يده، يخدعون أنفسهم، لأن بابا الفاتيكان غير قادر على خلاصهم»(١٠).

وقد واجهت عملية اعادة العلاقات الدبلوماسية الأمريكية مع الفاتيكان في كانون الثاني/يناير ١٩٨٤، حملة انتقاد واسعة من قبل الجماعات البروتستانتية الأصولية والانجيلية، ورفعت أربع منظمات بروتستانتية دعوى قضائية ضد الحكومة الأمريكية، بسبب اقامتها هذه العلاقات مع الفاتيكان، وإرسالها سفيراً أمريكياً مقيماً لديه. ومن بين هذه الجماعات الدينية كنيسة المعمدانيين، و«كنيسة الاخوان»، والمؤتمر الوطني للكنيسة المعمدانية السوداء التقدمية، والرابطة القومية للانجيليين، وغيرها.

(٨) المصدر نفسه، ص ١٠٤.

(٩) *Washington Jewish Week* (15 November 1984).

(١٠) *Washington Post* (27 September 1984).

وقد اعتبرت هذه الكنائس في دعواها القضائية أن قرار الحكومة الأمريكية هو تفضيل دين على دين آخر، وانتهاكاً لمبدأ فصل الكنيسة عن الدولة(١١).

ومن الملاحظ أن المسيحية الأصولية تكون مع مبدأ فصل الكنيسة عن الدولة حينما يتعلق الأمر بالفاتيكان، مما يرضي اليهود والحركة الصهيونية، لكنها تعارض هذا الفصل حينما يكون داخل الولايات المتحدة الأمريكية. أما يهود هذه البلاد فهم ضد «مسحنة» الولايات المتحدة الأمريكية، التي يدين ٩٥ بالمائة من سكانها بالمسيحية، ويقفون ضد اذاعة شعائر الاحتفال بأعياد الميلاد ويعارضون الصلاة المسيحية في المدارس، بينما يفرضون التعاليم اليهودية على أبنائهم، ويقيمون صلواتهم في مدارسهم، ويحتفلون بأعيادهم بشكل ملفت للنظر، كما يدعمون قيام واستمرار وتوسع دولة يهودية عنصرية في فلسطين.

وقد نجحت جهود الجماعة اليهودية في تغيير أسماء الأعياد المسيحية التي تحتفل بها بعض المدارس الأمريكية، واستبدلتها بأسماء غير دينية مثل «اجازة عيد الميلاد» التي تحولت إلى «إجازة الشتاء»، كما تغيّر اسم «إجازة عيد الفصح» ليصبح «اجازة الربيع»(١٢). وأدى ذلك الى استثارة حفيظة عدد من المسيحيين من أمثال الصحفي المعروف باتجاهاته الصهيونية جورج ويل (G. Will) فكتب مقالاً بعنوان: «لا تسرقوا عيد الميلاد منا»(١٣). وقد احتج فيه على اعتراضات اليهود على احتفالات المسيحيين بهذه الأعياد. كما اعترض اليهود على قرار «مصلحة الحدائق الوطنية» بتزيين الحدائق بمناظر لوحات تمثّل مريم العذراء، ونماذج للمذود الذي ولد فيه يسوع المسيح أثناء الاحتفال بأعياد الميلاد، وطالبوا بإزالتها تماماً «لأن الولايات المتحدة الأمريكية - باعتقادهم - ليست مسيحية»(١٤).

ومن أبرز الأمثلة على محاربة الجماعة اليهودية أي مظهر ديني مسيحي في الولايات المتحدة الأمريكية، ما جرى في احتفالات أعياد الميلاد في كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٤. فقد كان مسموحاً للجماعة اليهودية اقامة «منارة الزينة» في عيد «هانوكاه» أو عيد الأنوار، في الحديقة العامة المسمّاة «حديقة لافاييت» أمام البيت الأبيض، وذلك على مدى السنوات الخمس السابقة. ورغم هذا السماح، فقد احتجت الجماعة اليهودية حينما تقرر السماح بإقامة الزينات للاحتفال بميلاد عيسى عليه

(١١) *Christian Science Monitor* (14 September 1984).

(١٢) *Washington Post* (30 August 1984).

(١٣) *Newsweek* (17 December 1984).

(١٤) *New York Times* (30 November 1984).

السلام، في الحديقة العامة المذكورة. وقد قبلت الجماعة اليهودية التوقف عن إقامة المظاهر الاحتفالية اليهودية في الحديقة، شرط إزالة المظاهر الاحتفالية المسيحية في المقابل[١٥].

ويقول مدير «الكونغرس اليهودي الأمريكي» في واشنطن العاصمة: «ان وجود زينة ومناظر للمذود، وميلاد المسيح في الأماكن العامة، يُشعر اليهود بأنهم غرباء في وطنهم»[١٦].

واحتجت منظمات صهيونية يهودية مثل «اللجنة اليهودية الأمريكية» ورفعت دعوى قضائية أمام المحكمة العليا ضد تزيين الحديقة العامة المركزية في نيويورك بلوحة المذود وميلاد السيد المسيح في أعياد الميلاد لعام ١٩٨٤، باعتبار أن الولايات المتحدة الأمريكية هي دولة علمانية[١٧]. وطالبت المنظمات اليهودية بـ «عدم تزيين الأماكن العامة، بالمظاهر والاحتفالات الدينية والاكتفاء باجرائها في البيوت والملكيات الخاصة»[١٨].

ويأتي هذا الاعتراض اليهودي رغم كون الولايات المتحدة الأمريكية البلد الأكثر تديّناً في العالم الغربي بعد ايرلندا[١٩]. وبحسب استقصاءات معهد غالوب في عام ١٩٧٧، فإن أكثر من ٩٤ بالمائة من سكان الولايات المتحدة الأمريكية يؤمنون بالله، وان ٧١ بالمائة من سكانها أيضاً يؤمنون بالبعث بعد الموت. وتأتي بعدها كندا بنسبة ٥٤ بالمائة، ثم فرنسا والمانيا الغربية والدول الاسكندنافية[٢٠].

وأما مسألة التنصير داخل إسرائيل، فإن بعض الجماعات اليهودية المتعصبة أخذت تنظر إليها بقلق بالغ، وبخاصة في ما يتعلق بالأنشطة التبشيرية لمنظمة «السفارة المسيحية الدولية بالقدس».

شكّل نشاط رجال «السفارة المسيحية» نوعاً من المعضلة. فمن ناحية تقدّر إسرائيل لهم دعمهم الذي هي بحاجة إليه، ولكن من ناحية أخرى، وعلى المدى الطويل، فإن لديها بعض المخاوف والخشية من حدوث عمليات تنصيرية بين اليهود[٢١].

وقد عمدت إسرائيل منذ سنوات عديدة إلى محاربة المسيحية نفسها، سواء

(١٥) *Washington Times* (12 December 1984).

(١٦) المصدر نفسه.

(١٧) *New York Times* (20 December 1984).

(١٨) المصدر نفسه.

(١٩) *Commentary* (March 1980), p. 30.

(٢٠) المصدر نفسه.

(٢١) *Chicago Tribune* (20 February 1984).

كانت تبشيرية أو غير تبشيرية. وقد اطلعت على كتاب إسرائيلي مدرسي في الرياضيات، فوجدت أنه تم إلغاء علامة الجمع أو الزائد في الرياضيات التي تشبه الصليب (+)، وحولتها إلى علامة (T)[٢٢].

ويقول المؤلف ورجل الدين المعمداني ستان ريتينهاوس: «إن الصهيونية التي تحكم إسرائيل اليوم هي معادية للمسيح وللمسيحية، بسياساتها وأفعالها وقوانينها»[٢٣]. كما يقول: «لقد أصدرت إسرائيل قانوناً في ١٩٦٥/١/٢١، لا يُسمح فيه بإرسال أطفال يهود إلى مدارس مسيحية، أو أية مدارس من ديانة أخرى، رغم قول قادة إسرائيل بحرية العبادة الدينية المكفولة بإعلان الاستقلال والقوانين الأساسية»[٢٤]. لكن مخاوف التبشير المسيحي وسط اليهود تظل تقلق بال الإسرائيليين.

وقد لاحظت جريدة أمريكية في لوس أنجلس «أن المبشرين المسيحيين الأصوليين في إسرائيل، ينشطون كثيراً وسط المسيحيين العرب في الأراضي المحتلة، مثلما ينشطون في اتجاه تنصير عدد من اليهود»[٢٥]. كما أشارت إلى أنهم يقدمون خدمات ترفيهية ومالية كثيرة إلى منظمات يهودية، وبخاصة وسط جنود الجيش الإسرائيلي. كما يقدمون دعماً سياسياً إلى إسرائيل[٢٦]، مما يعني تغاضي الحكومة الإسرائيلية عن أنشطتهم التبشيرية، مقابل ما يقدمونه من دعم سياسي لها. وقد قامت بعض لجان الكنيست وبخاصة لجنة التعليم، بالتحقيق في الاتهامات الموجهة إلى المبشرين المسيحيين، وخصوصاً من اتباع منظمة «الأغلبية الأخلاقية»، حول أنشطتهم وسط الأطفال اليهود. وفسر اتباع هذه المنظمة السياسية الدينية نشاطهم التبشيري بأنه ممارسة طبيعية في البلد الذي وُلد فيه المسيح[٢٧]. ورغم أن عدد المتنصرين من اليهود غير معروف، فإن المصادر الرسمية الإسرائيلية لا تذكر سوى أنهم لا يزيدون عن سبعة أشخاص أو ثمانية سنوياً. لكن منظمات اليهود المتطرفة تقول إن «الأعداد هي أكبر بكثير وتقدّرها بالمئات، وإن أكثر من ثلاثة آلاف يهودي قد اعتنق المسيحية منذ قيام إسرائيل حتى الآن»[٢٨]. وتشير هذه المنظمات اليهودية إلى أن أبرز البعثات التبشيرية المسيحية في إسرائيل هي جماعة «السفارة المسيحية الدولية بالقدس». وتنفي قيادة هذه «السفارة» المزاعم اليهودية، وتؤكد وقوفها مع

(٢٢) يوسف الحسن، **من أوراق واشنطن** (القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٨٦)، ص ١٦٤.

(٢٣) Stan Ritten House, *For Fear of the Jews* (Va: The Exhorters, Inc., 1982), p. 104.

(٢٤) المصدر نفسه.

(٢٥) *Los Angeles Times* (18 March 1984).

(٢٦) المصدر نفسه.

(٢٧) المصدر نفسه.

(٢٨) المصدر نفسه.

إسرائيل في كل الأحوال[٢٩]. لكن أحد المسؤولين الإسرائيليين يشكك في الأمر فيقول: إن السؤال المطروح هو، هل تؤيد جماعة «السفارة» ما تحتاج إليه إسرائيل، أو تؤيد ما تعتقد أن إسرائيل بحاجة إليه؟[٣٠]. ويسأل آخر: «هل حب مسيحيي الولايات المتحدة الأمريكية لإسرائيل، هو من أجل إسرائيل، أم من أجل المسيح نفسه؟»[٣١].

ويثار في داخل الحكومة الإسرائيلية الائتلافية التساؤل نفسه، عن «المدى» «الذي يجب على إسرائيل أن تكون فيه علاقاتها مع جماعة جيري فولويل، والذي تشكّل بعض وجهات نظره الاجتماعية مصدراً للتشكك والقلق في أوساط الجماعات اليهودية الأمريكية»[٣٢].

وتشكّل من ناحية أخرى محطتا التلفزة والاذاعة (الشرق الأوسط) أو «صوت ونجمة الأمل» في جنوب لبنان، معضلة تبشيرية أخرى. فهما تذيعان رسائل دينية إيحائية، وقراءات مقاطع من العهد القديم. ويصل بثهما إلى معظم أجزاء إسرائيل، وأجزاء أخرى من الجمهورية العراقية، والجمهورية التركية، وجمهورية مصر العربية، والجمهورية اللبنانية. ويقول مدير محطة التلفزة، وهو أمريكي من كاليفورنيا، إن محطته تُستخدم لتلبية النبوءة باقتراب يوم القيامة، وتهيئة اليهود للاعتراف بيسوع مسيحاً لهم قبل مجيء المعركة الفاصلة بين الخير والشر[٣٣].

ورغم أن التبشير الديني المسيحي ممنوع بتاتاً في إسرائيل، فإن الحكومة الإسرائيلية شجعت منذ البداية على إقامة المحطتين في الجنوب اللبناني. وقدمت إليهما كل التسهيلات والدعم المالي والمعنوي والفني والإخباري، كما ورد ذلك مفصّلاً في فصل سابق.

وعلى الرغم من هذه الفوائد المتعددة الجوانب التي تستفيد منها إسرائيل والحركة الصهيونية اليهودية في الولايات المتحدة الأمريكية، فإن بعض اليهود في إسرائيل، وأحياناً في الولايات المتحدة الأمريكية، لا يُخفون قلقهم من تأثيرات هاتين المحطتين الاعلاميتين في مجال التبشير المسيحي. وقد خرج في منتصف آب/اغسطس ١٩٨٤، نحو خمسين يهودياً من حركة «يد لحيم» اليهودية المتطرفة في تظاهرة في القدس المحتلة، تحتج فيها على ما أسمته الدعاية المسيحية التي تبثها هاتان المحطتان في جنوب لبنان،

(٢٩) *Jewish Press* (New York), (16 March 1984).
(٣٠) *Los Angeles Times* (18 March 1984).
(٣١) المصدر نفسه.
(٣٢) *Washington Post* (21 November 1984).
(٣٣) المصدر نفسه.

«اللتان تبثان برامجهما بالعربية والانكليزية ويتابعهما عشرات الآلاف من يهود شمال ووسط إسرائيل»[٣٤].

وأجرت هذه الحركة اليهودية المتطرفة اتصالات مع بعض الأحزاب الدينية الإسرائيلية من أجل وقف البرامج التبشيرية.

وحينما سمع المسؤولون الإسرائيليون، وبخاصة العسكريين منهم، بهذا الاحتجاج، استغربوا هذه التظاهرة، وقالوا إنها «حملة حمقاء»، «لأن هاتين المحطتين تُعدّان من وسائل الاعلام النادرة في العالم التي طالما اتخذت مواقف موالية لإسرائيل»[٣٥].

وقد نشرت جريدة نيويورك تايمز تقريراً خاصاً من إسرائيل، حول تنظيم اليهود المحافظين حملة ضد عمليات التنصير التي تقوم بها بعض البعثات المسيحية التبشيرية في إسرائيل. وقالت الصحيفة: «يوجد في إسرائيل أكثر من ستة آلاف مبشر مسيحي من الكنيسة البروتستانتية الانجيلية الأمريكية. وقد نجحوا في تنصير أكثر من ألفي يهودي. لكن هؤلاء اليهود المتنصرين ظلوا على ولائهم لإسرائيل»[٣٦].

لقد أثار تبنّي الرئيس ريغان للحركة المسيحية الأصولية، المخاوف لدى اليهود، وخشيتهم من حصول الرئيس على حرية الحركة في الولاية الثانية من حكمه بعد نجاحه في انتخابات عام ١٩٨٤، وبخاصة باتجاه مسحنة الولايات المتحدة الأمريكية، وتنفيذ برامجه الأصولية مثل الصلاة في المدارس، وتعيين عدد من قضاة المحكمة العليا ممن يؤيد اتجاهات الأصوليين. ومن هنا ذهب بعض قيادات اليهود إلى القول «إن معركة السنوات الأربع القادمة لن تكون في البيت الأبيض، بل في الكونغرس والمحكمة العليا»[٣٧]. فقرارات المحكمة العليا هي قرارات نافذة في الولايات المتحدة الأمريكية ولا سيما حينما ستُطرح قضايا الاجهاض، والصلاة في المدارس، وحقوق الانسان... إلخ. كما أن أعضاء كثيرين من المرشحين للكونغرس قد طرحوا أنفسهم وبرامجهم على أسس مسيحية. وعلى سبيل المثال، فقد بعث النائب مارك سيليغاندر، من ولاية الينوي، إلى الناخبين برسائل يقول فيها: «نحن بحاجة إلى إنجاح مسيحي آخر في الكونغرس»[٣٨].

(٣٤) وكالة الأنباء الفرنسية (باللغة العربية)، ١٥/٤/١٩٨٤.
(٣٥) المصدر نفسه.
(٣٦) *New York Times* (15 January 1984).
(٣٧) المصدر نفسه.
(٣٨) المصدر نفسه.

وبذل اليهود جهوداً وأموالاً خيالية لإسقاط السناتور هيلمز، أحد أبرز زعماء اليمين السياسي، والمتحالف مع الحركة المسيحية الأصولية. لكن جذوره الشعبية في ولايته، ودعم اليمين السياسي له، كانا أقوى من جهود اليهود وأموالهم. وبشكل عام تحوّل عامل القلق اليهودي من المسيحيين الأصوليين، ليصبح أهم العوامل التي وقفت وراء «اعطاء اليهود معظم أصواتهم إلى مونديل (حوالى ٦٨ بالمائة)»(٣٩)، إضافة إلى العوامل الأخرى المتعلقة بشخص مونديل وشبكة اليهود الاستشارية حوله، وتاريخه الطويل المؤيد لإسرائيل، والفرصة الأخرى للرئاسة، والتي تظل شغله الشاغل في سنوات حكمه الأولى، وحيث تزداد إمكانية رضوخه للابتزاز الصهيوني. وتظل الذرائعية متجذرة في فكر الحركة الصهيونية وممارساتها التي تعمل دائماً على امتصاص الخلافات مع حلفائها، واستخراج وابتزاز المواقف والدعم، الذي قد يعوض شيئاً عن هذه الخلافات، ويجعلها هامشية بحيث لا تؤثّر في عمق التحالفات.

وقد برز سؤال في الأيام السابقة لبدء انتخابات عام ١٩٨٤، بين القيادات اليهودية الأمريكية حول التصويت في انتخابات الرئاسة، وبعد أن أعلن المرشحان للرئاسة أقصى ما عندهما لدعم إسرائيل. وكان نص السؤال هو: من هو أكثر اثارة لمخاوف اليهود، جيسي جاكسون، المرشح الأسود أم جيري فولويل الأصولي؟ وتقول قيادات بارزة في الحركة الصهيونية اليهودية: لقد برزت لأول مرة منذ الأربعينات مخاوف اليهود واضحة وعالية، أولاً، بسبب نجاح جيسي جاكسون في توصيل حملته المناهضة للساميّة إلى المستمعين على مستوى الولايات المتحدة الأمريكية كلها؛ وثانياً، بروز الحركة المسيحية الأصولية، ومهاجمتها قضية فصل الكنيسة عن الدولة وتشجيع رئيس الجمهورية لها...(٤٠). وتضيف هذه القيادات قائلة: «... لكن رغم نجاح جيسي جاكسون في الحيلولة دون اتخاذ المؤتمر القومي للحزب الديمقراطي قراراً يدين فيه الحملات المعادية للسامية، فإن الحملة ذاتها لا تحظى بتعاطف الرأي العام الأمريكي»(٤١).

ويقول مدير الدائرة المسؤولة عن الاتصالات مع المسيحيين في وزارة الشؤون الدينية الإسرائيلية: «إننا نحاول الموازنة بين ما يقدمه المسيحيون الأصوليون في الخارج من دعم لإسرائيل، وبين أنشطتهم في إسرائيل لتنصير اليهود»(٤٢).

وقد خرج جيري فولويل، أول مرة، عن اتجاهاته الصهيونية، فانتقد قراراً إسرائيلياً. وقد حدث ذلك حينما هاجم في مؤتمر صحفي عقده في ١٥ آذار/مارس

(٣٩) *Washington Post* (2 December 1984).

(٤٠) *Washington Jewish Week* (1 November 1984).

(٤١) المصدر نفسه.

(٤٢) المصدر نفسه.

١٩٨٤، قرار الحكومة الإسرائيلية الذي يحظر على المبشرين المسيحيين في إسرائيل تقديم أموال إلى الأشخاص الذين يتنصرون(٤٣). لكنه في الوقت نفسه أعاد تأكيد تأييده الكبير لإسرائيل، ولنقل السفارة الأمريكية للقدس. وانتقد الحكومة الأمريكية على دورها في «الحيلولة دون استمرار إسرائيل بتكملة مهمتها في القضاء على منظمة التحرير الفلسطينية في بيروت، قائلاً إن سوريا والمسلمين والدروز يهدفون إلى القضاء على إسرائيل وعلى مسيحيي لبنان أيضاً»(٤٤).

ولا يخفي زعماء الجماعة اليهودية الأمريكية نقدهم لحركة جيري فولويل، وحلفائه الأصوليين، ويعتبرون أن «قلقهم لوجود هذا التيار وسط الحزب الجمهوري، وتأثيره في قرارات حكومة الرئيس ريغان، رئيس الجمهورية في الثمانينات، من العوامل المهمة والرئيسية الداعية إلى تناسي خلافاتهم، وصدامهم مع الجماعة السوداء بزعامة جيسي جاكسون في الحزب الديمقراطي، والوقوف بمعظم أصواتهم إلى جانب مرشح الحزب الديمقراطي مونديل»(٤٥).

ومن ناحية أخرى، رأت الحركة الصهيونية اليهودية أن حملة المسيحيين الأصوليين المتعلقة بقضية الدين والدولة، تلقى تعاطفاً في الرأي العام(٤٦). ومن هنا برز قلق القيادات الصهيونية اليهودية تجاه دعوات وأنشطة الحركة المسيحية الأصولية داخلياً. من أجل ذلك، كان قرار الحركة الصهيونية، بمنظماتها اليهودية المتنوعة، هو اختيار «مونديل ـ جاكسون» ضد «ريغان ـ فولويل». وكان لسان حالها يقول: ان الاختيار الأول لا يروق لمذاقنا، لكن الخيار الثاني شديد الازعاج(٤٧).

وقد أشارت معظم استطلاعات الرأي، بعد انتهاء الانتخابات، إلى أن اليهود قد أعطوا ٣٢ بالمائة من أصواتهم إلى الرئيس ريغان. بينما أعطوا مونديل ٦٨ بالمائة... لكن مجلة «الجمهورية الجديدة» (New Republic)، وهي المجلة الصهيونية المحافظة، رأت أن استطلاعات الرأي كاذبة... وأن اليهود أعطوا حوالى نصف أصواتهم الى الرئيس ريغان(٤٨). وفي تقديري، أن هذا الرأي هو أقرب إلى الصحة. فمعظم يهود الولايات المتحدة الأمريكية يميلون إلى عدم التفرقة بين قيمهم الدينية ومصالحهم.

ورغم هذا التزاوج المصلحي بين المسيحية الأصولية والصهيونية اليهودية، فإن

(٤٣) *Jewish Press* (16 March 1984).

(٤٤) المصدر نفسه.

(٤٥) *Washington Jewish Week* (1 November 1984).

(٤٦) المصدر نفسه.

(٤٧) المصدر نفسه.

(٤٨) *New Republic* (3 December 1984), p. 42.

أصواتاً داخل الجماعة اليهودية الأمريكية، وبخاصة في الحزب الديمقراطي، تعارض حركة وفكر المسيحيين الأصوليين في مجال القضايا الاجتماعية، مثل اباحة الاجهاض، وفرض الصلاة في المدارس، وأي مظاهر مسيحية في الحياة العامة. وقد شكّل أحد زعماء اليهود نورمان ليرز (Norman Lears) منظمة أسماها «أناس على الطريقة الأميركية» (People For The American Way) في عام ١٩٨١، وبرزت كقوة سياسية في عام ١٩٨٦، أثناء المناقشات الواسعة حول الحرية الدينية وعلاقات الدولة بالكنيسة. وقد دعمتها مادياً مجموعات أمريكية غير تقليدية. ونشطت في مجال الدعاية لأفكارها في أجهزة الاعلام ومحطات البث المسموع والمقروء(٤٩).

ورغم هذا الموقف، فإن قادة هذه المنظمة، يعتبرون أن «الحزام التوراتي»، هو حزام سلامة الولايات المتحدة الأمريكية(٥٠). وبذلك يقرون بمدى أهمية ولايات الجنوب، التي تسمّى «حزام التوراة»، لتركز الجماعات المسيحية الأصولية فيها. ورأوا أن ثمن التحالف مع المسيحيين الأصوليين قد يؤثر على المدى الطويل على القيم اليهودية، ويُحرج دعاوى اليهود في التحرر والحرية، ويهدد سلامة الديانة اليهودية ووحدتها(٥١).

وقد أثار المؤتمر السادس الذي درجت على تنظيمه سنوياً ومنذ عام ١٩٨١، منظمة «الاذاعيون الدينيون الوطنيون» (National Religious Broadcasters) في واشنطن العاصمة، تعليق أجهزة الاعلام الصهيونية اليهودية في الولايات المتحدة الأمريكية. وطالبت بضرورة البحث في الثمن الذي سيواجهه اليهود أخلاقياً وسياسياً ودينياً، نتيجة للعلاقة بين اليهود والمسيحيين الأصوليين(٥٢).

ورأى يهود متطرفون في الولايات المتحدة الأمريكية وفي إسرائيل، في التحالف مع المسيحيين الأصوليين «نوعاً من الغباء والانتحار»(٥٣). وكان ما يزعجهم في هذا التحالف معتقدات المسيحيين الأصوليين بـ «الربط بين العودة الثانية للمسيح، وتجميع اليهود في فلسطين تمهيداً لتنصيرهم»(٥٤).

وقد أخذت الحركة المسيحية الأصولية في مطلع الثمانينات من هذا القرن،

---

(٤٩) *Washington Post* (3 February 1986).
(٥٠) *Washington Jewish Week* (13 February 1986).
(٥١) المصدر نفسه.
(٥٢) المصدر نفسه.
(٥٣) *Washington Star* (22 November 1980).
(٥٤) Wolf Blitzer, *Between Washington and Jerusalem: A Reporter's Notebook* (New York: Oxford University Press, 1985), p. 198.

بتحاشي مناقشة المسائل اللاهوتية الخلافية مع اليهود ونفي توجهاتها ونياتها نحو مسحنة الولايات المتحدة الأمريكية(٥٥). كما أخذ بعض قياداتها، مثل القس جيري فولويل، بالمطالبة بالحوار مع القيادات اليهودية السياسية والدينية لاقناعها بمدى «أهميته في دعم إسرائيل وعدم معاداته للسامية»(٥٦).

وكتب إرفنغ كريستول (Irving Kristol)، وهو أحد قادة اليمين السياسي، داعياً اليهود إلى إعادة النظر في مسائل الصلاة في المدارس، وفي علاقة الدولة بالدين، وفي الاجهاض(٥٧)، معتبراً «أن بروز الحركة المسيحية الأصولية، هو عامل جديد ومهم في السياسة الأمريكية لخدمة المصالح اليهودية»(٥٨).

كما اتخذ جيري فولويل، خطوة متقدمة نحو إزالة المخاوف عند الجماعة اليهودية، فتراجع عن شعاره القديم حول كون الولايات المتحدة الأمريكية أمّة مسيحية، وأعلن أنها «جمهورية مسيحية يهودية»(٥٩).

ويؤكد قادة الحركة المسيحية الأصولية، بشكل مستمر، على دعمهم لإسرائيل، وتعاونهم معها، مما يزيد في اعجاب وتقدير إسرائيل لهؤلاء القادة باعتبار ان «دعمهم لإسرائيل هو دون شروط... ولأن إسرائيل هي خط الدفاع الأمريكي في الشرق الأوسط»(٦٠). فضلاً عن اعتقاد الأصوليين بأن «أفضل مال تنفقه الولايات المتحدة الأمريكية هو المال الذي تقدّمه إلى إسرائيل»(٦١).

وفي تقديري، فإن العلاقات المستقبلية بين الحركة المسيحية الأصولية والحركة الصهيونية اليهودية وإسرائيل، مرشحة للتنامي. كما أن مجمل العلاقات بين المسيحيين الأصوليين من جهة، وبين الجماعات اليهودية الأمريكية وإسرائيل من جهة أخرى، ستزداد توثقاً مع الأيام، للاعتبارات التالية:

١ ـ لقد فهمت الحركة الصهيونية اليهودية في مرحلة مبكرة، أنه من دون الاستخدام المنظم لتعاطف الأمريكيين للتأثير في صنع القرار الأمريكي تجاه الشرق الأوسط، فإنه من غير الممكن ضمان التأييد الأمريكي الرسمي للأهداف السياسية

---

(٥٥) المصدر نفسه.
(٥٦) *Commentary* (March 1981), p. 28.
(٥٧) *Commentary* (July 1984).
(٥٨) المصدر نفسه.
(٥٩) *Washington Post* (6 April 1985).
(٦٠) Merrill Simon, *Jerry Falwell and the Jews* (New York: Jonathan David Publishers, 1984), p. 64.
(٦١) *Washington Jewish Week* (13 February 1986).

للحركة الصهيونية. لذلك فإن صياغة تعاطف الولايات المتحدة الأمريكية المسيحية في هذا الاتجاه المطلوب واحدة من أكثر المهام حيوية[٦٢].

٢ ـ وجد كل من الحركة الصهيونية اليهودية وإسرائيل، أن علاقاتها وتحالفاتها مع الحركة المسيحية الأصولية لها فائدة استراتيجية كبيرة وبخاصة في ما يتعلق برؤية هذه الحركة الأصولية لإسرائيل كوطن قومي لليهود، وكقضية ربانية ونبوءة توراتية. كما رأت أن تستمر أيضاً صلات الحركة الصهيونية اليهودية مع كنائس الخط العام المعتدلة في الطوائف المسيحية الأخرى، التي تضع على رأس اهتماماتها مسائل حقوق الانسان في أمريكا اللاتينية وجنوب افريقيا، وليس قضية الصراع العربي ـ الاسرائيلي. ووجدت أيضاً أن مسألة تنصير اليهود تواجه مقاومة يهودية شعبية ورسمية في إسرائيل. واعتبر أن مسألة التنصير المستقبلي لليهود، بعد العودة الثانية للمسيح، هي مسألة مؤجلة لا تستدعي الخوض فيها الآن، حتى لا يؤثر ذلك في تحالفات وعلاقات الصهيونية اليهودية بالمسيحية الأصولية. ويبدو أن كلتا الحركتين تتحاشى الخوض في هذه المسألة الأخيرة.

٣ ـ يعتقد بعض قادة الحركة الصهيونية اليهودية، وبخاصة في أوساط المثقفين، أن المسائل الاجتماعية التي تطرحها الحركة المسيحية الأصولية، لن يكتب لها النجاح في مجتمع متحرر علماني مثل المجتمع الأمريكي[٦٣]. ويبدو أن لهذه القناعة تأثيراً وسط رجال الدين اليهود أنفسهم. فقد سعوا نحو إنشاء صلات تنظيمية ومؤسسية مع الحركة المسيحية الأصولية، وفتح حوار ديني معها. وقد عيّن مجلس الحاخامات اليهود الأمريكيين، الحاخام أبنير ويس (A. Weiss)، ضابط ارتباط مع المسيحيين الأصوليين. كما تبنّى المجلس عقد مؤتمر مشترك مع الحركة المسيحية الأصولية، ضمّ مائة زعيم ديني يهودي ومسيحي أصولي، وقد عقد في مدينة هيوستن في عام ١٩٨٦[٦٤].

٤ ـ اتضح من استقراء تاريخ إسرائيل وسياساتها، انها لا تستطيع تحمّل مسألة التدقيق في قبول الدعم، بل ستأخذه من أي مكان تستطيع الحصول عليه[٦٥]. وكما

(٦٢) فلاديمير بيغون، غزو بلا سلاح، ترجمة عبد الرحمن الخميسي (بيروت: دار الفارابي، (د. ت.])، ص ١٩٨.

(٦٣) *Commentary* (July 1984).

(٦٤) Grace Halsell, *Prophecy and Politics: Militant Evangelists on the Road to Nuclear War* (Westport, Conn.: Lawrence Hill and Co., 1986), p. 159.

(٦٥) *Cleveland Jewish News* (19 February 1982), p. 11.

أكدت الحكومات الإسرائيلية المختلفة أنها لن تُبعد اليد التي تمتد لدعم قضيتها[٦٦] وخصوصاً تلك اليد الممدودة من المسيحيين الأصوليين الذين يعملون ليل نهار لمصلحة إسرائيل... ومن الغباء رفض هذه القوى المقدرة بالملايين[٦٧]، إذ ظهرت صهيونيتها أكثر تشدداً من صهيونية قطاع غير قليل من يهود إسرائيل. ففي مؤتمر بال الذي نظّمه قادة المسيحيين الأصوليين لمصلحة إسرائيل في آب/أغسطس ١٩٨٥، اعترض أحد الإسرائيليين المشاركين في المؤتمر، على اقتراح يحث إسرائيل على ضم الضفة الغربية وقطاع غزة اليها، مقترحاً تخفيفه، بسبب ان استطلاعات الرأي في إسرائيل تشير إلى أن ثلث الإسرائيليين يرغبون في استبدال الأرض بالسلام. فأجابه المتحدث باسم منظمة «السفارة المسيحية الدولية ـ القدس»، وهو الهولندي فان در هوفين (Van Der Hoeven) قائلاً: لا يهمنا تصويت الإسرائيليين، ما يهمنا هو ما يقوله الله، والله اعطى هذه الأرض لليهود... عند ذلك مر الاقتراح بالاجماع[٦٨].

٥ ـ طالما تعتبر إسرائيل أن الدعم المالي والسياسي والعسكري الأمريكي لها، عنصر أساسي في استمرار بقائها، فإنه من الضروري توفير رأي عام أمريكي مناصر ومتواصل، وبشكل مؤثّر في صنع القرار الأمريكي. ويصبح بالتالي اهتمام إسرائيل بالقوة الصاعدة للمسيحية الأصولية وباتجاهاتها الصهيونية، أكثر من مجرد اهتمام أكاديمي، أو لاهوتي، أو اجتماعي، ليتعداه إلى مسألة حيوية وضرورة توفير الأصدقاء والحلفاء في العالم لديها[٦٩].

وقد أدّى هذا الفهم والادراك إلى قيام أحد أبرز منتقدي منظمة «الأغلبية الأخلاقية»، وهو الحاخام الكسندر شندلر (A. Schindler)، رئيس اتحاد المعابد العبرية الأمريكية، الذي التقى مع زعيم المنظمة جيري فولويل عام ١٩٨١، بالاعلان عن اتفاقه مع فولويل على الاختلاف حول كل شيء ما عدا إسرائيل[٧٠].

٦ ـ يوجد قاسم مشترك ما بين الفكر الصهيوني اليهودي والفكر المسيحي الأصولي، من حيث الاعتقاد بالقوة واعتبارها الطريق لتحقيق الأهداف السياسية. فإسرائيل والقوى المسيحية الأصولية يؤمنان بصنع الأسلحة الذرية، وبتسليح قوي للولايات المتحدة الأمريكية ولإسرائيل[٧١].

(٦٦) Paul Findley, *They Dare to Speak Out: People and Institutions Confront Israel's Lobby* (Westport, Conn.: Lawrence Hill and Co., 1985), p. 242.

(٦٧) *Washington Post* (21 November 1984).

(٦٨) Halsell, *Prophecy and Politics: Militant Envangelists on the Road to Nuclear War,* p. 162.

(٦٩) Blitzer, *Between Washington and Jerusalem: A Reporter's Notebook,* p. 195.

(٧٠) المصدر نفسه، ص ١٩٥.

(٧١) *Commentary* (July 1984).

ويتحدث كلاهما عن الابادة الجماعية المسمّاة «المحرقة» (Holocaust)، وعن عداء العرب والسوفيات لليهود والغزو المتوقع لإسرائيل.

يقول جيري فولويل: «سوف يتحرك السوفيات إلى الشرق الأوسط، وبالذات إلى إسرائيل، لأنهم يكرهون اليهود. وفي هذا الوقت، حينما تُفتح أبواب الجحيم، ستقع ابادة جماعية ذريّة على الأرض وسيجري الدم في الشوارع»[72].

وحينما دمرت إسرائيل المفاعل الذري العراقي في حزيران/يونيو ١٩٨١، هنّأ جيري فولويل رئيس وزراء إسرائيل (مناحيم بيغن، في ذلك الوقت)، وأشاد بهذا العمل العدواني.

٧ ـ تحقق إسرائيل فوائد عديدة من تحالفها مع المسيحيين الأصوليين وتأييدهم لها. فهم يشكّلون قوة عددية ونفوذاً كبيرين في المجتمع الأمريكي، ويخدمون الأهداف الإسرائيلية الرئيسية داخل الولايات المتحدة الأمريكية التي تشمل:

ـ الدعم المالي والعسكري والسياسي. وقد قدمت الولايات المتحدة الأمريكية إلى إسرائيل عام ١٩٨٥ «ما يقارب خمسة مليارات دولار، وهي تشكّل ثلث المساعدات الخارجية الأمريكية»[73].

ويلعب المسيحيون الأصوليون دوراً مؤثراً في الضغط على الكونغرس، وهو المؤسسة التشريعية التي تفحص، وتناقش مسائل المساعدات الخارجية، وتصوّت لصلحة دعم إسرائيل. وقد تعاونت الحركة الصهيونية اليهودية مع الحركة المسيحية الأصولية في إسقاط تشارلز بيرسي، رئيس لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ عام ١٩٨٤، ودعمت نجاح بول سيّمون الذي يؤيد إسرائيل ١٠٠ بالمائة[74].

كما تعاونت «لجنة الشؤون العامة الأمريكية الإسرائيلية»، وهي جماعة الضغط الرسمية لمصلحة إسرائيل في الولايات المتحدة الأمريكية، مع جماعة مسيحية أصولية تسمّى «أمريكيون لصالح إسرائيل آمنة» (Americans For A Safe Israel) «تعمل على توفير المساعدات والسلاح لإسرائيل، وعلى اقناع الأمريكيين بأن إسرائيل لها الحق في كل القدس وكل فلسطين»[75]، من أجل تغيير قلوب وعقول أعضاء الكونغرس لمصلحة إسرائيل. وقد نجحت في تغيير موقف عضو مجلس الشيوخ جيسي هيلمز (Jesse Helms) رأساً على عقب. وكان هيلمز حتى عام ١٩٨٥، على تحالف وثيق مع جيري فولويل في المسائل

(٧٢) *Los Angeles Times* (4 March 1981).

(٧٣) المصدر نفسه، ص ١٦٣.

(٧٤) المصدر نفسه، ص ١٦٥.

(٧٥) المصدر نفسه، ص ١٦٧.

المحلية، مثل الاجهاض والصلاة في المدارس. وكان يدعم كنيسة جيري فولويل، لكنه كان ناقداً للعلاقة الخاصة بين الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل، وقد عارض المبالغ الضخمة التي يقدمها دافع الضرائب الأمريكي إلى إسرائيل[76]. فاعتبره اليهود أكثر أعضاء مجلس الشيوخ رجعية طوال العقود الثلاثة الماضية[77]. كما عارض غزو إسرائيل للبنان في صيف عام ١٩٨٢، وطالب الولايات المتحدة الأمريكية بقطع علاقاتها مع إسرائيل بسبب هذا الغزو[78].

ولكن موقف هيلمز تغيّر تماماً وصار من أشد مؤيدي إسرائيل. إذ وقّع على رسالة إلى الرئيس رونالد ريغان، اعتبر فيها إسرائيل «أفضل حليف للولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأوسط ـ ودعا الرئيس الأمريكي ـ إلى مساعدة إسرائيل لضم كل الأراضي العربية المحتلة اليها»[79].

١ ـ التوسع وضم المزيد من الأراضي العربية

لا يتوجه المسيحيون الأصوليون في صلواتهم إلى كل الناس في أي مكان. ولا يدعون إلى السلام على الأرض أو إلى الفقراء والمحرومين، بل يصلون دائماً للأرض الفلسطينية، التي يريدونها ان «تؤول إلى أيادي يهود إسرائيل»[80].

وقد لوحظ أن الرحلات السياحية التي ينظّمها قادة الحركة المسيحية الأصولية إلى فلسطين المحتلة، لا يدخل في برامجها زيارة المدينة التي وُلد فيها المسيح. وإنما يتحدثون خلالها عن «مدى حاجة إسرائيل إلى الدعم والسلاح الأمريكيين... ويزورون المزارع والمستوطنات الإسرائيلية، ويستمعون إلى أحاديث عسكريين وسياسيين إسرائيليين»[81].

وقد تحدّث فولويل إلى جريدة في مدينة تايلر في ولاية تكساس فقال إنه «يحبّذ أن يستولي الإسرائيليون على أجزاء من جمهوريات العراق ولبنان ومصر والسودان وسوريا وتركيا والمملكة العربية السعودية والمملكة الأردنية الهاشمية ودولة الكويت»[82].

(٧٦) Findley, *They Dare to Speak Out: People and Institutions Confront Israel's Lobby*, p. 165.

(٧٧) *Village Voice* (28 August 1984).

(٧٨) *Washington Post* (8 June 1982).

(٧٩) Halsell, *Prophecy and Politics: Militant Evangelists on the Road to Nuclear War*, p. 167.

(٨٠) المصدر نفسه، ص ١٧٠.

(٨١) المصدر نفسه، ص ١٢٦.

(٨٢) *Courier Times Telegram* (6 February 1983).

ولا تجد الحركة الصهيونية اليهودية وإسرائيل أفضل من هذه الدعوات التي تدعم سياساتها التهويدية والتوسعية. وبالتالي فإنها تعمل على تحقيق مزيد من التعاون والتحالف مع أصحابها.

٢ ـ الدعم الشعبي المسيحي لأهداف إسرائيل السياسية

تمارس أكثر من ٢٥٠ منظمة مسيحية أصولية، أنشطة متنوعة تأييداً لإسرائيل. فقد تخصص بعضها في تنظيم المسيرات التضامنية، وبعضها الآخر تخصص في تنظيم السياحة والنشر والدعم اللاهوتي. وأخرى تباشر العمل السياسي على تشكيل جماعات ضغط أو بواسطة الحملات الدعائية والاعلانية والإعلامية المختلفة، وهي أبرز النشاطات والبرامج التي تحظى باهتمام إسرائيل، وتدعم من أواصر التحالف بينها وبين الحركة الخاصة بنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس، واكتساب اعتراف الشرعية الدولية بها كعاصمة لإسرائيل.

وقد بثّت طوال عامي ١٩٨٤ و١٩٨٥ المحطات التلفزيونية الكنسية، عبر الأقمار الصناعية، العديد من البرامج حول «القدس كعاصمة داود». وسمحت إسرائيل لأول مرة لرجل دين مسيحي هو مايك ايفانز (Mike Evans)، وهو أحد قادة الحركة المسيحية الأصولية، بالظهور على التلفزيون الإسرائيلي لبث برنامجه المتعلق بالقدس[٨٣].

وللتدليل على أهمية وقيمة العلاقات التحالفية العميقة بين قادة إسرائيل وقادة الحركة المسيحية الأصولية، قام رئيس وزراء إسرائيل الأسبق (مناحيم بيغن)، بإعلام مايك ايفانز بموعد غزو إسرائيل للبنان عام ١٩٨٢ قبل حدوثه بيومين[٨٤].

ويقول أحد مساعدي مناحيم بيغن، عن المسيحية الأصولية «إنها أحد أعمدة إسرائيل الرئيسية في الولايات المتحدة الأمريكية، وإن عدد أفرادها عشرة اضعاف عدد اليهود الأمريكيين»[٨٥].

(٨٣) Halsell, Ibid., p. 191.
(٨٤) المصدر نفسه.
(٨٥) *Washington Post* (6 March 1981).

ثانياً: مستقبل الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية وعلاقاتها المستقبلية بالحركة الصهيونية اليهودية وإسرائيل

رغم دستورية فصل الدين عن الدولة، فإن الجدار كان واهياً بينهما. ولم يمنع هذا الفصل رجال الدين من ممارسة الأمور السياسية والشؤون العامة. فمنذ قرن من الزمان فاز الجمهوريون بانتخابات عام ١٨٨٤، حينما وصف أحد القساوسة البروتستانت الحزب الديمقراطي بأنه يضم «الخمر والكاثوليك والعصاة»[٨٦].

وفي الثلاثينات من هذا القرن، برز القس الكاثوليكي تشارلز كوفلين مستخدماً الاذاعة في تعبئة واثارة قطاعات واسعة من الشعب الأمريكي. وفي وقت أقرب كان الرئيس كارتر أول مرشح للرئاسة يركز على مسألة «الولادة ثانية كمسيحي»، فكسب الكنيسة السوداء، وضمن الى جانبه البروتستانت في الجنوب. لكن الحركة المسيحية الأصولية لم تقف في غالبيتها معه عام ١٩٨٠ وأعطى أعضاؤها ٦١ بالمائة من أصواتهم إلى الرئيس ريغان الجمهوري المحافظ[٨٧].

ولقد أتاح انتصار الرئيس ريغان الفرصة الذهبية للنمو السريع لجماعات ومنظمات اليمين الأمريكي المحافظ، بما فيه الحركة المسيحية الأصولية، ولصعود نجوم الكنائس المسيحية مثل «الأغلبية الأخلاقية»، اضافة الى الكنائس السوداء التي تفرز باستمرار القيادات السياسية. ويؤكد على ذلك المطران بروكنز من كنائس الأسقفية المنهجية الافريقية (African Methodist Episcopal) في لوس انجلس حينما يقول: «لا يستطيع سياسي أمريكي أسود منتخب أن يقول إن انتخابه قد تم من دون الكنيسة السوداء»[٨٨].

كما أن زعيم حملة الحقوق المدنية في الستينات مارتن لوثر كنغ، والزعيم جيسي جاكسون، المرشح الديمقراطي لرئاسة الجمهورية في عام ١٩٨٤، لم يكونا الا قسيسين ولا يتحدثان في السياسة إلا بنغمة وتعابير دينية.

وتحدث الرئيس الحالي جورج بوش في عام ١٩٨٣، بعد حضوره حفلاً تكريمياً في جامعة الحرية التابعة لجيري فولويل ـ وكان بوش نائباً لرئيس الجمهورية في ذلك الوقت ـ في الاحتفال المقام في واشنطن العاصمة، في ذكرى ما يسمّى ضحايا الابادة الجماعية لليهود (المحرقة)، وأمام مئات من القيادات اليهودية ورجال الاعلام والكونغرس ـ تحدث عما يعتقد أنه ضمانة لعدم تكرار عمليات اضطهاد لليهود، فقال:

(٨٦) *Newsweek* (17 September 1984).
(٨٧) المصدر نفسه.
(٨٨) المصدر نفسه.

«أعتقد بكل أمانة أننا برجال من أمثال جيري فولويل، فإن شيئاً قطعياً كالابادة الجماعية لليهود، لن يحدث ثانية»[89].

ونشرت بعد ذلك جريدة جيروسالم بوست في طبعتها الدولية، حديثاً دار بين الرئيس الأمريكي رونالد ريغان، والمدير التنفيذي للوبي الإسرائيلي (الايباك). ولا يوضح هذا الحديث مجرد الزواج المدهش ما بين الأصولية المسيحية والصهيونية السياسية الحديثة، بل يشير أيضاً إلى كيفية معالجة أكبر رئيس دولة في العالم، أزمة الصراع العربي ـ الصهيوني. فالعلاج عنده توراتي وأسطوري. ولنقرأ ما قاله الرئيس ريغان: «حينما اتطلع الى نبوءاتكم القديمة في «العهد القديم»، وإلى العلاقات المنبئة بهرمجدّون، أجد نفسي متسائلاً عما إذا كنا نحن الجيل الذي سيرى ذلك واقعاً. ولا أدري إذا كنت قد لاحظت مؤخراً أياً من هذه النبوءات، لكن صدّقني، أنها قطعاً، تنطبق على زماننا الذي نعيش فيه»[90]. ولو كان هذا الحديث صادراً عن أحد رجال الكنيسة أو حاخامات اليهود، لكان مقبولاً مناقشته. وقد يستخدمانه للكسب الديني ودعوة الناس إلى أفكارهم. لكنه صادر عن رئيس أقوى وأغنى دولة في العالم، وأكبرها مخزوناً لأسلحة الدمار البشري. ويطرح فيه الرئيس تخيّلاً لعلاج القضية الفلسطينية نابعاً من تفسيرات سياسية لأفكار توراتية.

تقول هذه الخرافة اللاهوتية المسمّاة هرمجدّون (Armageddon) التي يؤمن بها رئيس أقوى وأغنى دولة في العالم، مثلما تؤمن بها الحركة المسيحية الأصولية: «إن العصر الحالي محكوم بالشيطان. وإن الوقت قد اقترب عند نهاية العالم حينما تغزو جيوش السوفيات وايران والعرب والأفارقة والصين دولة إسرائيل. وستباد جيوش الغزاة بواسطة قنبلة ذرية. وسيموت الملايين من الإسرائيليين. أما المتبقي منهم فإنه سيتم انقاذه لكي يقبل يسوع كمسيح له»[91].

وطبقاً لهذه النظرية، «فإن المؤمنين بالمسيحية والمتنصرين من اليهود، سوف يتم رفعهم جسدياً من على الأرض، ليتوحدوا في السماء مع المسيح. ثم سيعود المسيح إلى الأرض بجيش من القديسين لمعاقبة غير المؤمنين، وتحطيم القوى المعادية له في معركة الخير والشر المسمّاة هرمجدّون، والواقعة في سهل المجدل في فلسطين. وستنتهي هذه المحنة بقبول اليهود للمسيح كمنقذ لهم، وبزوغ فجر عصر الألف عام السعيد تحت حكم المسيح»[92].

يقول اتباع هذه النظرية، إن تفاصيلها موجودة في التوراة... وإنها على وشك الحدوث... بسبب تصاعد ونمو القوة السوفياتية، وإعادة ميلاد إسرائيل في عام ١٩٤٨، وإعادة توحيد القدس في عام ١٩٦٧[93]. ومن هؤلاء السناتور الديمقراطي

(٨٩) *Washington Post* (27 September 1984).
(٩٠) *Jerusalem Post* (28 October 1983).
(٩١) *Washington Post* (21 October 1984).
(٩٢) المصدر نفسه.
(٩٣) المصدر نفسه.

من ولاية الاباما هوارد هيلفن، الذي قال: «إن حديث هرمجدّون قد ورد في محادثة للرئيس ريغان معه في ٢٨ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨١»[94]. وأضاف: «ان الرئيس ريغان يعتقد بأن السوفيات سوف يتورطون في مسألة هرمجدّون»[95].

وقد كرر الرئيس ريغان هذا الموقف في مقابلة له مع مجلة «الناس» (People) الأمريكية، الصادرة في السادس من كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٣. وأعيد نشر هذه المقابلة في وثائق البيت الأبيض ونشرته الأسبوعية. وقد كرر الرئيس، في العام الأخير لانتخابات اعادته للرئاسة، هذه المقولة. وأعلن أن نهاية العالم قادمة، وقادمة حالاً. وقد أدى ترديده لهذه النظرية المخيفة إلى قيام البيت الأبيض باصدار بيان في تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨٤ يشير فيه «إلى أنه رغم اعتقاد الرئيس ريغان بـ «هرمجدّون»، فذلك لن يعيق اقتناعه الجازم بالسلام، ورغبته في البحث عن اتفاق للتحكم في الأسلحة النووية»[96].

لقد أثار الحديث عن هرمجدّون الذريّة حفيظة مجموعات دينية كاثوليكية. وتبنّت هذه المجموعات، بالتعاون مع «المعهد المسيحي» (Christic Institute)، بياناً واعلاناً تلفزيونياً واذاعياً واسع النشر والبث، ينتقد موقف الرئيس ريغان في هذه المسألة. ويطالب المرشحين للرئاسة بـ «التنكر للنظرية اللاهوتية» هرمجدّون، التي يدعو لها الرئيس ريغان والقس جيري فولويل، والتي تقود إلى الاعتقاد بأن الحرب النووية لا مهرب منها[97]. ويقول الاعلان أيضاً: «لقد قال الرئيس ريغان إن نهاية العالم باتت وشيكة، وكررها في أكثر من ١١ مناسبة، سواء حينما كان حاكماً لكاليفورنيا، أو رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية. وقالها في منزله، وفي البيت الأبيض، وعلى العشاء، وعند الغداء، وعلى الهواء، ومن خلال اسلاك التلفون، ولرجال الدين والسياسة وقيادات وجماعات الضغط. وقالها لرجال مكتبه وللشيوخ... وحتى لمجلة «الناس»»[98].

وحينما سئل الرئيس ريغان عن هذه المسألة أثناء المناظرة التلفزيونية الثانية مع منافسه المرشح الديمقراطي للرئاسة مونديل، والتي شاهدتها في ١٨ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨٤، أجاب مؤكداً ايمانه الفلسفي بهذه النظرية. ودافع عن نفسه قائلاً: «إنني لم أحذّر جدياً، ولم أقل بأننا يجب أن نخطط وفقاً لـ «هرمجدّون»، فهي قد تكون بعد ألف عام أو بعد غد». لكن الرئيس ناقش في مقابلة تلفزيونية مذاعة له من محطة «مجدّوا الرب» (PTL)، التي يملكها القس الأصولي المسيحي جيم بيكر في عام ١٩٨٠، هذه

(٩٤) المصدر نفسه.
(٩٥) المصدر نفسه
(٩٦) المصدر نفسه.
(٩٧) المصدر نفسه.
(٩٨) *New York Times* (24 October 1984).

النظرية وقال «ربما يكون جيلنا الحالي هو الذي سيشهد معركة هرمجدّون»[٩٩].

ويقول الصحافي الصهيوني وليام سفاير في مقال له: «إن الرئيس تحدّث أمام مجموعة من القيادات اليهودية في مدينة نيويورك قائلاً: إن إسرائيل هي الديمقراطية المستقرة الوحيدة التي نستطيع الاعتماد عليها في البقعة التي يمكن أن تحدث فيها هرمجدّون»[١٠٠].

ويبدو أن معلم الرئيس ريغان، في هذا المجال، هو القس الصهيوني جيري فولويل. فقد ذكر الأخير في مقابلة له مع جريدة «لوس انجلس تايمز»: «نحن نعتقد أن روسيا، وبسبب حاجتها إلى النفط والتي تعاني من نقص فيه الآن، سوف تتحرك نحو الشرق الأوسط وبخاصة ضد إسرائيل، بسبب حقد السوفيات على اليهود. وفي هذا الوقت فإن أبواب الجحيم سوف تُفتح. وانني أؤمن بأنه في هذا الزمن سيحدث بعض من محرقة ذريّة على الأرض»[١٠١].

إن السؤال الذي يُطرح أمام هذا الفكر الذي يؤمن به المسيحيون الأصوليون والرئيس الأمريكي السابق ريغان، هو في كيفية الاقتناع بجدية مسعى هذه القوة العظمى نحو السلام العالمي أو حتى الجزئي في الشرق الأوسط طالما أنها تؤمن بأن الله جلّ جلاله نفسه يخطط لهذه النهاية النووية لهذا العالم حسب نظرية هرمجدّون. ومن المعروف أن نصوص نبوءة هرمجدّون المزعومة، لا تشير إلى أي دور للأمريكيين في هذه المعركة. ويعترف بذلك أصحاب هذه النظرية وأتباعها، لكنهم يقولون إن «الولايات المتحدة الأمريكية ستبقى حصن الأمان للمسيحيين بعد انتهاء المحنة»[١٠٢].

. . . وإذا ما تركنا الرئيس الأمريكي وتياره المحافظ اليميني السياسي والحركة المسيحية الأصولية المؤمنة بأسطورة هرمجدّون، وتساءلنا عما إذا كان هذا الفكر اللاهوتي قد تسرّب إلى عقول العسكرية الأمريكية، ورجال حربها ممن يقبض بأصابعه على مفاتيح وأزرار أضخم مخزون ذرّي وأسلحة الكترونية، وأسلحة أعصاب، وأسلحة جرثومية عرفها التاريخ، سنكتشف أن أحد كبار المؤمنين والمبشرين بهرمجدّون منذ أكثر من عقدين، يدعى إلى البنتاغون (وزارة الدفاع الأمريكية)، بين حين وآخر ليلقي محاضرات على كبار قادة الجيش الأمريكي[١٠٣]. والمحاضر معروف في وسط الحركة المسيحية الأصولية، وهو هيل لندسي، صاحب الكتاب الشهير **كوكب الأرض العظيم الراحل** الصادر في عام ١٩٧٠، الذي طبع منه حتى الآن ١٥ مليون نسخة، والذي يقول: «نحن الجيل الذي سيرى هرمجدّون. . . وإن أهم علامات المجيء الثاني للمسيح

(٩٩) المصدر نفسه.
(١٠٠) المصدر نفسه.
(١٠١) *Los Angeles Times* (4 March 1981).
(١٠٢) *Newsweek* (5 November 1984), p. 51.
(١٠٣) المصدر نفسه.

ومعركة هرمجدّون التي تحدد معظم التفسيرات مكانها في «جبل المجدل» في فلسطين ـ هي قيام إسرائيل واحتلالها القدس»[١٠٤].

ولإزالة المخاوف لدى الجمهور الأمريكي من هذه النظرية، فإن البعض ينفيها، ويعتقد معظم الدارسين أن هرمجدّون الواردة في سفر الرؤيا، ليست إلا أحداثاً خاصة بـ«موت» المسيح وبعث وتدمير معبد القدس في عام ٧٠ قبل الميلاد[١٠٥]. كما يرى آخرون في هرمجدّون أنها مثال تصويري للصراع الروحي بين الخير والشر[١٠٦].

وقد كانت تلك المعتقدات، وما شابهها، حية ما بين القرنين السادس عشر والثامن عشر، وبخاصة في مسائل الانشغال العام بالشيطان، وبالمسيح الدجال، وبنهاية العالم. وكانت الحركات الألفية (Millennial)، التي تعبّر عن إيمان رسولي بمخلّص يقيم حياة سعيدة في عالم دون شر، منتشرة أيضاً في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين نفسه[١٠٧].

ومع اقتراب هذا القرن من نهايته، يبدو أن دعوات الحركة المسيحية الأصولية المتعلقة باقتراب عودة المسيح سوف تزداد حماسة وانتشاراً. ولا عجب في ذلك، فبعد الحروب، وفي نهاية كل قرن، يعتقد هؤلاء مثلما اعتقد أسلافهم من «الألفيين»، أن نهاية العالم قد اقتربت. وتزداد قناعتهم تأكيداً بعد عودة اليهود إلى أرضهم الموعودة، وقيام إسرائيل واستعادة المعبد، وهي كلها خطوات ضرورية لاهوتية لتنصير اليهود وعودة المسيح لإقامة الألفية السعيدة.

ومن ناحية أخرى، تشير استطلاعات الرأي العام الأمريكي، إلى أن أكثر من ٧٥ مليون أمريكي يعتبرون أنفسهم أنهم «ولدوا ثانية كمسيحيين»، وهو اصطلاح يُطلق على أفراد مرتبطين بالمجموعات المسيحية الأصولية بشكل خاص. ويركزون على قبولهم للمسيح كمخلّص شخصي لهم. لكن هؤلاء «ليسوا في معظمهم مع «الأغلبية الأخلاقية»، التي يجب أن تحسب حسابها كقوة من بين القوى السياسية العديدة التي دخلت اللعبة السياسية والاجتماعية في الساحة الأمريكية»[١٠٨].

لقد واجهت «الأغلبية الأخلاقية» بشكل خاص، حركات أمريكية معادية لها مثل «منظمة أناس على الطريقة الأمريكية» (People For The American Way) التي

(١٠٤) Hal Lindsey, *The Late Great Planet Earth* (New York: Bantam Books, 1970), pp. 50-59.
(١٠٥) *Time* (15 November 1984), p. 73.
(١٠٦) المصدر نفسه.
(١٠٧) نديم البيطار، جذور الهوية القومية (بيروت: دار الوحدة، ١٩٨٢)، ص ١٢٤.
(١٠٨) *Washington Post* (27 September 1984).

أسسها المنتج التلفزيوني نورمان لير في عام ١٩٨٠، والتي يرئسها الآن النائب السابق الجمهوري عن ولاية الاباما، وهو القس جون لوشنان، الذي يعتبر أن جماعات فولويل «مكارثية أخلاقية». وقد أسقطته الجماعات الدينية في الانتخابات النيابية بعد أن أمضى فيها ثماني دورات كاملة.

ومن بين قيادات هذه المجموعة النائية باربارا غوردن، من تكساس، والقس الدكتور تشارلز بيرغستروم، من مجلس اللوثريين في الولايات المتحدة الأمريكية، والممثلة السابقة للولايات المتحدة الأمريكية في منظمة اليونيسيف السيدة مارجوري كريغ بنتون، وكذلك اندرو هيسكيل، رئيس المكتبة العامة في نيويورك.

تتخذ هذه المجموعة من واشنطن العاصمة مقراً لها، وتدّعي أنها تضم مائة ألف عضو. وتستخدم هذه المنظمة مشروعات تربوية ووسائل الاعلام لنشر ما تسمّيه «قيم الديمقراطية» والحريات الدينية، وتطالب بفصل الدين عن الدولة. وقد لعبت دوراً مهماً في تعبئة حملة واسعة ضد مسألة الصلاة في المدارس في صيف عام ١٩٨٤. كما بث برنامجاً تلفزيونياً تجارياً من خلال عدد من المحطات التلفزيونية الرئيسية قدّمه الممثل الشهير بيرت لانكستر، لمناهضة الحركة المسيحية الأصولية خلال الأسابيع الأخيرة من تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨٤، وقبيل الانتخابات. وأصدرت كتاباً اسمه **حرية وعدل للبعض** للدفاع عن المجتمع الحر، ومناهضة ما سمته «حرب المسيحية الأصولية ضد الديمقراطية».

ولا تخلو هذه المنظمة من العناصر اليهودية، من أمثال ديفيد كوهن، الرئيس السابق لمنظمة «قضية مشتركة» (Common Cause)، وكذلك هاريس جلبرت، رئيس لجنة العمل الاجتماعي في اتحاد المعابد العبرية الأمريكية، وماريان رايت اديلمان، رئيسة «صندوق الدفاع عن الأطفال» وغيرهم. كما يقف في مواجهة منظمات الأصولية المسيحية العديد من المنظمات النسائية وأشهرها المنظمة المعروفة باسم (NOW - المنظمة القومية للنساء)، وكذلك الرابطة القومية للاجهاض، إضافة إلى «رابطة التعليم القومية».

لكن الحركة المسيحية الأصولية نجحت، حتى الآن، في تنظيم نفسها وملكت ثروات طائلة، واستخدمت في طرح أفكارها وتجنيد أتباعها أحدث ما أنتجته ثورة الاتصالات من علوم وتقانة... فوصلت دعواها إلى شرائح واسعة من المجتمع، وخاطبت القوى الراشدة فيه، والثرية أيضاً. وهي قوى مستقلة يتسابق المرشحون عادة إلى اكتسابها. وقد شاهدت برنامجاً دينياً تلفزيونياً بثته المحطة الحكومية (قناة ٢٦) يوم ١٨ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٤. وقد جاء في هذا البرنامج أن «ثلثي مشاهدي

برامج المسيحية الأصولية المرئية هم من النساء ومن البالغين... وليست كل الكنائس المسيحية ثرية، لكن الكنائس الأصولية المسيحية هي الأكثر ثراء وموارد ومؤسسات وشبكة اتصالات. كما يساهم في تمويلها ممولون كبار من مجموعة «الصناعات التعدينية والمعدنية» الأمريكية في جنوب أفريقيا»[١٠٩].

وفي الوقت الذي نجد فيه جامعة فسك (Fisk)، وهي أول جامعة للسود أُسست عام ١٨٦٦، عاجزة عن تسديد مبلغ ١٧٠ ألف دولار ثمن فاتورة الغاز، ومهددة بالاغلاق في وجه المتبقي من طلابها البالغ عددهم عام ١٩٨٤ ٦٥٠ طالباً، بعد أن كان عدد طلابها عام ١٩٧٣، ١٦٠٠[١١٠]. في هذا الوقت نجد أن جامعة الحرية التابعة لمنظمة «الأغلبية الأخلاقية»، والتي أسسها فولويل في مقاطعة رينشبرغ، في فرجينيا، تستقبل في عام ١٩٨٣ أكثر من ستة آلاف طالب، وتبلغ الموازنة السنوية لكنيسته وحدها أكثر من ١٢ مليون دولار[١١١].

وفي مخطط جيري فولويل المستقبلي، كما تقول نشرات منظمته وكنيسته: بناء خمسة آلاف كنيسة في الولايات المتحدة الأمريكية، وخمسة آلاف مدرسة مسيحية، وتوسيع جامعة الحرية، التابعة لمنظمته، لتتسع لخمسين ألف طالب في نهاية هذا القرن، واستخدام وسائل الاعلام للوصول إلى أكبر عدد ممكن من الناس في العالم، وفي «الأوقات المناسبة» الملائمة لتوصيل رسالتنا... ومطلوب تعبئة ٢٥ مليون أمريكي ليصبحوا نشطين للانخراط في العمل اليومي[١١٢]. وسيؤدي هذا الاتجاه نحو التوسع في التعليم الخاص، والمسيحي الصبغة والأصولي الطابع، إلى الغاء التعليم العام، أو تقليصه في أحسن الأحوال. وسيضع المدارس بأيدي مسيحيين حقيقيين، كما يقول. وتتفق هذه العقيدة مع توجه ادارة الرئيس ريغان، بخفض دعم الحكومة الإتحادية للتعليم العام. ولتشجيع ذلك عملت الادارة على تقديم اعفاءات ضريبية للأسر التي ترسل أبناءها إلى المدارس الخاصة[١١٣].

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا المجال هو، هل وحدها المسائل الصهيونية المسيحية هي عناصر الجذب الجماهيري لمنظمات المسيحية الأصولية؟

والاجابة بالنفي رغم أهمية هذه الناحية: فمنظمات الحركة المسيحية الأصولية تركز نشاطها على الناس الذين يعيشون خارج المدن الرئيسية، وبخاصة من أبناء الجنوب والغرب، مما يشير إلى أن دعواتها لا تنبت كثيراً في أوساط المثقفين الموجودين

(١٠٩) برنامج تلفزيوني بثته محطة التلفزيون العامة (القناة ٢٦) بتاريخ ١٨/١١/١٩٨٤.
(١١٠) *Newsweek* (27 August 1984).
(١١١) *Washington Post* (27 September 1984).
(١١٢) المصدر نفسه.
(١١٣) مصطفى الحسيني، «الصهيونية المسيحية،» السفير، ١٩/١١/١٩٨٥.

داخل المدن الكبيرة. بل تنمو في البيئة التي يحسب أعضاؤها أنهم ضحايا الظلم، وعدم المساواة في الفرص، والذين يتطلعون إلى مجتمع لا يعرف الطبقات ويمنحهم بعضاً من القوة والايمان.

يقول القس والمؤرخ جون كاتر (J. Kater): «تتوجه الحركة المسيحية الأصولية في دعوتها إلى هؤلاء الذين يعتبرون أنفسهم مبعدين من قبل الذين يتحكمون في الولايات المتحدة الأمريكية، والذين لا تشملهم «ثقافة الطبقة الحاكمة»، وتخاطب هذه الجماعات جماهيرها بلغة «الايمان» كسبيل للخلاص من هذه الأزمنة السيئة... والايمان الذي تنشره بين اتباعها ومشاهدي برامجها، هو الايمان بانتظار العودة الثانية للمسيح، الواعد بتحسين أحوالهم وتخليصهم من الشر والظلم»(١١٤).

وقد وجدت دعوة منظمات وجماعات الحركة المسيحية الأصولية لها صدى أيضاً، في أوساط طبقات عاملة لا ترى في مهنها أو أعمالها ما يمنحها الرضا والاكتفاء. كما لا ترى في دورها أكثر من تروس في آلة الصناعة المذهلة، ووجدت أن استمرارها مرتبط بمدى تحقيقها للربح بالنسبة إلى ربّ العمل. فعاشت هذه الطبقات تفتقد الأمان، والقوة، والسعادة، والسلام. وتنظر حولها فترى عرى أُسرها تتفكك، وينشأ أطفالها بعيدين عن أُطر الأسرة وتقاليدها، ويشربون الكحول ويتعاطون المخدرات، فتمتلىء هذه الطبقات بالخوف والفزع والاحساس بالغربة عن المجتمع والسلطة. وحينما تطرح المنظمات الأصولية دعوتها الروحية الملونة بالسياسة وشؤون المجتمع على شاشات التلفزة، مبشرة بالخلاص من هذه «الأزمنة الرديئة»، والعودة إلى «أيام زمان السعيدة» فإنها بذلك تمنحهم قوة خفية لتشكيل حياتهم وتحسين مصيرهم.

وكما قلنا في السابق، فإن دعوات المسيحية الأصولية قد تجاوزت حدود الكنيسة مكاناً وزماناً وتعاليم، إلى حيث مخاطبة الملايين، من خلال محطات التلفزة وأمواج الأثير. وصار الإنسان الأمريكي قادراً على الصلاة الروحية من خلال الكنيسة المرئية، والمشاركة في أنشطتها وتلبية رغباتها معنوياً ومادياً، حتى وهو مستلقٍ على كرسي مريح في منزله بعد عودته مرهقاً من العمل. فلا داعٍ، إذاً، لذهابه إلى الكنيسة. ويتلقى منشوراتها بلهفة، لأنها لا تكتفي بالأحاديث الدينية، بل تفسر له الموقف السياسي والاجتماعي الحالي وتعده بالخلاص وتذكّره بأخطار الشيوعية، والحرب النووية، وبتأخر التعليم، وتفكّك الأسرة، وبحاجة إسرائيل إلى الدعم كجزء من ارضاء الله... إلخ.

لكن، هل تحقق هذه الدعوات حاجات هؤلاء الناس وتخلّصهم من

(١١٤) John L. Kater, *Christian on the Right* (New York: Seabury Press, 1982), p. 118.

الظلم؟... هذه مسألة أخرى لا مجال لبحثها هنا. ومن الواضح أن الدعوات نفسها تخدم أصحاب هذا التيار مادياً ومعنوياً. ولا يرى هذا التيار في إسرائيل مجرد حليف استراتيجي، بل تحقيقاً لحلم عمره أكثر من ألفي عام، بحسب ما يقوله ويؤمن به الرئيس ريغان. ففي رسالة وجّهها رئيس الولايات المتحدة الأمريكية في نهاية تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨٤، إلى المؤتمر السنوي للمنظمة الصهيونية الأمريكية، ما يؤكد الاتجاهات الصهيونية في المسيحية الأصولية ويعبّر عن ايمانه كمسيحي أصولي، فقد قال: «إنني دائماً اتطلع إلى الصهيونية كطموح جوهري لليهود. وإنني أدين أولئك الذين يساوون بين جمال الصهيونية وقبح العنصرية»(١١٥). وأضاف أيضاً: «وبإقامة دولة إسرائيل، تمكّن اليهود من إعادة حكم أنفسهم بأنفسهم في وطنهم التاريخي، ليحققوا بذلك حلماً عمره ألفا عام»(١١٦).

يتضح مما سبق، أن الحركة المسيحية الأصولية هي حركة صاعدة تخلط الدين بالسياسة، بالاجتماع، بالتاريخ. وتهدف إلى الحصول على القوة بواسطة السيطرة على الطبقة التي تشكّل المجتمع المؤسسي المدني وتصوغ ثقافته... ولا تخفي هدفها هذا بقول قادتها، إن حركتهم تعني: «الاستيلاء على الولايات المتحدة الأمريكية ومؤسساتها، وقول أحد زعمائها: نحن ثوريون، نعمل على قلب التركيبة الحالية في الولايات المتحدة الأمريكية... نحن نتحدث عن «مسحنة الولايات المتحدة الأمريكية»(١١٧).

ولتحقيق هذه الأهداف، فإن المنظمات المسيحية الأصولية، بما تحمله من صهيونية، عقدت العديد من التحالفات مع منظمات اجتماعية ودينية وجماعات سياسية محافظة. صحيح أن أهداف هذا الكم الهائل من الحركات والتيارات المحافظة تتقاطع في بعض الأحيان، وتتصادم فوق بعض المسائل السياسية الخارجية أحياناً أخرى، لكنها في مجملها تشكّل قوة جديدة خطرة في العقود المقبلة وتقف الآن وسط المسرح السياسي الأمريكي، وتمد أذرعتها إلى خارج حدود الولايات المتحدة الأمريكية الجغرافية والسياسية. ومعروف تاريخياً دور المبشرين في فترة الاستعمار وبخاصة في العالم الثالث. وتتجاوز ممارساتهم المعاصرة عمليات التبشير، الى تقديم العون العسكري إلى القوى المرتبطة بالامبريالية والاستعمار الجديد والدكتاتوريات وبخاصة في أمريكا اللاتينية.

لا تكتفي المنظمات المسيحية الأصولية بتدعيم إسرائيل وسياساتها في المنطقة العربية والعالم الثالث، بل يمتد دعمها أيضاً إلى القوى التي تؤيدها إسرائيل في أمريكا

(١١٥) *Washington Post* (30 October 1984).

(١١٦) المصدر نفسه.

(١١٧) Kater, Ibid., p. 133.

اللاتينية. وقد نشرت الصحف في ١٥ تموز/يوليو ١٩٨٤، تقريراً حول ما تقدمه هذه الجمعيات والمنظمات الدينية من مساعدات مالية وعسكرية وطبية الى القوى المتمردة على حكومة نيكاراغوا الشرعية. وقالت «إن قيمة المساعدات في عام ١٩٨٤ بلغت ١٧ مليون دولار»(١١٨). وكان من بين هذه المنظمات الأمريكية منظمة شبكة الاذاعات المسيحية، ولجنة بقاء كونغرس حر. وقد قامت الأجهزة الحكومية الأمريكية، مثل القوات الجوية والبحرية، بنقل المساعدات إلى المتمردين مجاناً(١١٩).

وتأتي هذه المساعدات من قبل منظمات أصولية مسيحية، وسياسية يمينة محافظة، بالتنسيق مع أجهزة الاستخبارات المركزية الأمريكية، وتعاون البيت الأبيض التفافاً حول الكونغرس، الذي استمر في عملية معارضة أو انقاص حجم المساعدات الأمريكية للمتمردين في نيكاراغوا طوال عام ١٩٨٤(١٢٠). ولا يقتصر تعاون الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية مع إسرائيل على أمريكا الوسطى، بل امتد هذا التعاون إلى فضيحة الأسلحة الأمريكية إلى ايران، المسمّاة «ايران غيت» في عام ١٩٨٨. وعلى الرغم من تعتيم تقارير الكونغرس الأمريكي على دور الحركة المسيحية الأصولية في هذه الفضيحة، فقد سارع القس جيري فولويل زعيم منظمة «الأغلبية الأخلاقية» بالطلب من «جامعة الحرية» (Liberty University) التابعة لمنظمته بمنح شهادة الدكتوراه الفخرية للكولونيل اوليفر نورث، المساعد الأسبق لمستشار الأمن القومي في البيت الأبيض، والمتهم الرئيسي في هذه الفضيحة. وقد اعتبرت الجامعة أثناء تسليم نورث شهادة الدكتوراه الفخرية ان «دوره في قضية «ايران غيت» هو «وسام شرف على صدره»»(١٢١).

ومن ناحية أخرى قام القس بات روبرتسون الذي انسحب من انتخابات الرئاسة الأمريكية في عام ١٩٨٨ قبل الأشواط الأخيرة، بمرافقة جورج بوش، نائب الرئيس الأمريكي إلى السودان في عام ١٩٨٥ لاتمام صفقة تهريب يهود الفلاشا إلى إسرائيل، وهو الذي سلّم بنفسه مبلغاً بقيمة ثلاثة ملايين ونصف مليون دولار إلى الرئيس السوداني الأسبق جعفر النميري باسم «الوكالة الدولية للتنمية»(١٢٢).

وقد تعرضت الحركة المسيحية الأصولية لهزة عنيفة في عامي ١٩٨٧ و١٩٨٨، حينما كُشف النقاب عن تورط بعض قادتها من نجوم الكنيسة المرئية في فضائح مالية

(١١٨) New York Times (15 July 1984).
(١١٩) المصدر نفسه.
(١٢٠) المصدر نفسه.
(١٢١) International Herald Tribune, 3/5/1988.
(١٢٢) الدستور (باريس)، ١٩٨٨/٣/٢١.

وأخلاقية. فقد طردت الكنيسة القس جيم بيكر وزوجته بسبب انغماسهما في فضائح مالية وجنسية، وقد اعترف بيكر بإرغامه فتاة تدعى جيسكا هاهن (J. Hahn)، تعمل في الكنيسة، على ممارسة الجنس معه ومع مساعده، كما اعترفت زوجته بتعاطيها حبوب هلوسة، وبرّر خطيئته بقوله «إنه كان يريد استثارة غيرة زوجته واستعادة حبها المفقود». أما الفضيحة الثانية فقد أصابت القس سواغيرت في شباط/فبراير ١٩٨٨ الذي وصل الدخل السنوي لامبراطوريته الكنسية المرئية ومؤسساتها إلى أكثر من ١٥٠ مليون دولار في عام ١٩٨٧. ويقدّر عدد اتباعه بحوالى مليوني أمريكي، اضافة إلى مليون شخص في أكثر من ١٤٠ دولة(١٢٣). وقد جاء في اعترافه بخطيئته «أنه منذ صباه كان يحب الصور الجنسية، وحاول التحرر من ذلك دون جدوى، وأن الغانية قد جاءت لتؤدي أمامه أدواراً خليعة، فحسب. وليس بينه وبينها أية علاقة جنسية»(١٢٤). وعلى أثر هذا الاعتراف الذي قدّمه أمام أكثر من سبعة آلاف من المصلين من اتباعه، قرّر المجلس التنفيذي لكنيسة «الله» في لويزيانا، تطبيق عدة عقوبات بحقه، ومن بينها خضوعه لعملية اعادة تأهيل لمدة سنتين، ومنعه من الوعظ لمدة لا تقل عن ثلاثة أشهر.

وقد كشفت هذه الفضائح الأخلاقية أن هناك منافسة قوية بين امبراطوريات الكنائس المرئية، وظهر قادتها كأنهم رجال أعمال يتنافسون في سباق محموم لجمع المال والفوز بالصفقات. فالدخل السنوي للقس جيم بيكر تجاوز ١٧٠ مليون دولار في عام ١٩٨٦، وتصل موازنة شبكة تلفزيون بات روبرتسون في العام نفسه إلى أكثر من ٢٢٢ مليوناً من الدولارات. وقد لحقت أيضاً بالقس روبرتسون بعض الفضائح حينما اعترف بأنه زوّر تاريخ زواجه في سجلات الكنيسة ليخفي حقيقة أن زوجته كانت حاملاً في شهرها السابع عندما تزوجها. وقد اعترف بصحة الاتهام وطلب المغفرة من الله ومن اتباعه.

ويبدو أن اتباع الحركة المسيحية الأصولية يغفرون لقادتها خطاياهم، ويؤمنون بقدرة هؤلاء على شفاء أمراضهم وعلى التنبؤ والقيام بمعجزات كثيرة.

في الوقت نفسه، إن معاناة المجتمع الأمريكي من ادمان المخدرات ومن موجات الانحلال والخوف من الايدز واستشراء العنف الدموي، جعله يهرول بأعداد متعاظمة عائداً إلى «المبادىء والقيم التقليدية والأصولية». كل ذلك كان من بين العوامل التي أدت إلى قبول عودة الخاطئين لممارسة أدوارهم القيادية في الحركة المسيحية الأصولية.

(١٢٣) Newsweek (7 March 1988).
(١٢٤) International Herald Tribune, 23/2/1988.

فبعد غياب سنتين تقريباً، عاد القس جيم بيكر وزوجته تـامي في ١٩٨٩/١/٢ إلى شبكة التلفزة وبرنامجه الشهير «مجّدوا الرب» (PTL) الـذي يُبث من مدينـة بنفيل، في ولاية كارولينا الشمالية، وقد بكى في مطلع برنامجه متهماً الشيطان بـإغرائـه ومحاولـة تحطيمه(١٢٥)، كما عاد القس سواغيرت إلى كنيسته واعظاً ونجماً استعراضيـاً. لكن هذه الفضائح أثّرت كثيراً على حملة بات روبرتسون الانتخابية. فانسحب من حلبة المنافسة قبـل نهايتها، بعـد أن فشل في الحصـول على الأمـوال والأصوات الانتخـابيـة الأوليـة اللازمة لمواصلة الحملة في عام ١٩٨٨.

وفي تقديري أن فكر هذه الحـركة المسيحيـة الأصوليـة مستقر في نسيـج المجتمع الأمـريكي، ويتنامى بفعـل عوامـل عديـدة، من بينها المنـاخ السياسي العـام الملائم، ومأسسة (Institutionize) هذا الفكر في أُطر منظمـة تملك وتديـر أجهزة متـطورة في الاتصال الجماهيري. مما يوصله إلى عقول الملايين من الأمريكيين وجيوبهم. ويزيـد في دعمه وتقوية ممارساته ما تقدمه إليه الحركة الصهيونية اليهودية من تأييد وتـدعيم، لأنه في المحصلة يخـدم أهداف الصهيـونيـة السيـاسيـة، بـدعمـه غـير المشروط لإسرائيـل وسياساتها، المبني على أسس توراتية عميقة.

(١٢٥) *The Independent* (London), 3/1/1989.

خاتمة

نتائج الدراسة وخطة عمل لمواجهة الصهيونية في الحركة المسيحية الأصولية المعاصرة

أولاً: نتائج الدراسة

قامت هذه الدراسة على فرضية أساسية دارت حول وجود اتجاهات صهيونية في الحركة المسيحية الأصولية في الولايات المتحدة الأمريكية، مما جعل هذه الحركة أحد الأعمدة الأساسية للحركة الصهيونية اليهودية في الولايات المتحدة الأمريكية ولإسرائيل.

وقد تركزت تلك الفرضية الرئيسية للدراسة، في أن نفوذ اليهود الكبير، وقوة تنظيم المنظمات الصهيونية اليهودية، وجماعات الضغط الإسرائيلية، لا يفسر وحده شدة التزام الولايات المتحدة الأمريكية رسمياً وشعبياً بدعم إسرائيل معنوياً ومادياً، ولا يوضح عمق واتساع هذا الالتزام، وشعور الانحياز إلى الصهيونية وإسرائيل لدى الساسة الأمريكيين والرأي العام الأمريكي. وإنما تلعب الاتجاهات الصهيونية المسيحية بأسسها اللاهوتية ـ الحضارية، دوراً رئيسياً في توفير المناخ الملائم لهذا الالتزام والتحيز، مما أثّر في توجيه السياسة الأمريكية نحو نزعة عامة متحيزة تجاه الصراع العربي ـ الإسرائيلي.

وقد سعت هذه الدراسة إلى معالجة الاتجاهات الصهيونية في الحركة المسيحية الأصولية. وافترضت أن هذه النزعة الصهيونية هي، مبدئياً، نتيجة لعقيدة دينية عميقة غير قائمة على أسس علمية أو سياسية أو اقتصادية أو على معرفة بملابسات السياسة الخارجية ومداخلاتها.

كما افترضت هذه الدراسة أن الدين في الولايات المتحدة الأمريكية في أكثر

اعتباراته دين توراتي، وُضعت شروحه في قوالب عبرانية. وان الفرضية الأساسية للصهيونية المترسخة في النظرة المسيحية الأصولية، تقوم على قانون لاهوتي توراتي يتلخص في النقاط الثلاث التالية:

١ ـ كل مسيحي مخلص يجب أن يؤمن بالعودة الثانية للمسيح.

٢ ـ إن قيام دولة إسرائيل، واستيلاءها على مدينة القدس، هما اشارة إلّهية تشير إلى أن العودة الثانية للمسيح على وشك الحدوث.

٣ ـ وعلى ذلك، فإن كل دعم مادي أو معنوي لإسرائيل، ليس أمراً اختيارياً أو مبنياً على أسس انسانية أو أخلاقية أو استراتيجية، وإنما هو قضاء إلهي لأنه يؤيد ويسرّع قدوم المسيح، وبالتالي فإن كل من يقف ضد إسرائيل هو ضد المسيحية وضد الله بالذات.

ومن هنا، فإن الدراسة تفترض أساساً، أن الاتجاهات الصهيونية في الحركة المسيحية الأصولية هي التي تفسر استعمال الولايات المتحدة الأمريكية الاصطلاح «الالتزام الأخلاقي ـ الأدبي» بدعم إسرائيل. وهو الاصطلاح الذي لم يُستعمل، أمريكياً، مع أية دول صديقة أخرى غير إسرائيل.

وحتى يمكن اختبار تلك الفرضية بطريقة علمية، كان من الضروري البدء في تحليل جذور الاتجاهات الصهيونية في الكنائس الأوروبية، ومن ثم الأمريكية. ولقد اتضـ من هذا التحليل أن تلك الاتجاهات قد تبلورت إثر حركة الاصلاح الديني في ـادس عشر. حيث سادت عقيدة العودة الثانية للمسيح في الكنائس ـروستانتية. وصار الاعتقاد بأن عودة اليهود إلى فلسطين هي تحقيق للنبوءات التوراتية، وتمهيد للمجيء الثاني للمسيح. عندما يقيم مملكته ويتحول فيها كل اليهود إلى المسيحية.

وبعرض هذه الاتجاهات وتحليلها اتضح تزاوج المعتقدات الدينية بضرورة عودة اليهود إلى فلسطين وإقامة وطن قومي لهم فيها، بالأهداف السياسية والاستراتيجية للدول الاستعمارية في تلك الفترة مما مهد المناخ لولادة الحركة الصهيونية السياسية لليهود، والهادفة إلى تحقيق المشروع الصهيوني بتجميع يهود العالم في وطن قومي لهم في فلسطين، واكتساب المشروعية والدعم الدوليين لهذا المشروع.

ولقد تم التوصل إلى تلك النتيجة من طريق تحليل الفكر الصهيوني في العقيدة البروتستانتية، التي ما كانت لتنمو دون معرفة العهد القديم، وهو في مجمله سجل لتاريخ اليهود. وبذلك صارت اليهودية تاريخاً وعاداتٍ وقوانين جزءاً من الثقافة

الإنكليزية على مدى القرون الثلاثة التالية. ودون هذه الخلفية التوراتية لدى ساسة انكلترا والرأي العام فيها، فإنه كان من المشكوك فيه أن يصدر وعد بلفور في عام ١٩١٧ باسم الحكومة الانكليزية، رغم وجود عوامل سياسية وتجارية وعسكرية واستراتيجية أخرى كانت قد برزت على المسرح السياسي في تلك المرحلة.

ولقد اتضح من الدراسة أن رموزاً دينية وسياسية وأدبية واقتصادية أوروبية كثيرة، قد تأثرت بحماسة كبيرة بالفكرِ البروتستانتي النابع من العهد القديم، والداعي إلى عودة اليهود إلى فلسطين، فضلاً عما ستوفره هذه العودة من فوائد استعمارية وخدمة لمصالح القوى الامبريالية الحاكمة. وقد جُسِّدت هذه الحماسة عملياً بالمساعدة على هجرة اليهود إلى فلسطين، ودعم انشاء المستوطنات اليهودية فيها، اضافة إلى تأسيس الجمعيات واللجان والحركات المسيحية الصهيونية، بهدف المساعدة في إعادة اليهود إلى فلسطين، باعتبار أن هذه العودة هي مفتاح الخطة الالهية لعودة المسيح الثانية.

وقد استنتجت الدراسة ان مقولة «أرض بغير شعب لشعب بلا أرض»، هي مشروع مسيحي صهيوني قُدِّم إلى مؤتمر لندن عام ١٨٤٠. وإن أول جماعة ضغط (Lobby) صهيونية قامت في الولايات المتحدة الأمريكية، قد أسسها رجل دين بروتستانتي هو بلاكستون (Blackston) عام ١٨٨٧، لصالح اقامة دولة يهودية في فلسطين.

وبتحليل النزعات الصهيونية وتأثيرها الثقافي والفكري في معتقدات البروتستانتية، توصلت الدراسة إلى أن هذا التأثير قد أدى إلى تهويد البروتستانتية، مما كان له الأثر الكبير على الموقف السياسي لانكلترا نحو تدعيم اقامة الدولة اليهودية، وعلى الموقف السياسي للولايات المتحدة الأمريكية نحو الالتزام بدعم الدولة اليهودية وتأييد سياساتها الاستيطانية والتوسعية.

واتضح من الدراسة ان قناعات لورد بلفور الدينية، والمعتقدات التوراتية للويد جورج، رئيس الوزراء، وتأثرهما بالفلسفة اليهودية وخلفيتها الفكرية المؤمنة بقصص العهد القديم وتفسيراته العبرية، كانت وراء بلورة مواقفهما السياسية تجاه المشروع الصهيوني السياسي، وصدور وعد بلفور، والذي كان أول اعتراف دولي بالصهيونية السياسية، وبمشروعها اقامة دولة لليهود في فلسطين.

وفي مجال اختبار الفرضية الرئيسية للدراسة، تمّ أيضاً تحليل الجذور التاريخية للاتجاهات الصهيونية غير اليهودية في التاريخ الأمريكي، وفي الكنائس البروتستانتية، والكاثوليكية في الولايات المتحدة الأمريكية. وتوصلت الدراسة إلى أن هذه الاتجاهات

قد شكّلت عنصراً بارزاً في الحياة الثقافية والسياسية الأمريكية منذ البداية الأولى لتأسيس الولايات المتحدة الأمريكية. وكان المهاجرون الأوائل من البيوريتانيين الذين حملوا معهم التقاليد والقناعات التوراتية، وتفسيرات العهد القديم، التي انتشرت في انكلترا بعد القرن السادس عشر.

وتبيّن من الدراسة ان المهاجرين الأوائل قد سمّوا أبناءهم بأسماء يهودية من قصص التوراة. كما تم تسمية مدن أمريكية كثيرة بأسماء عبرية قديمة. كما كانت المواعظ الدينية خلال الحرب الأهلية الأمريكية، تشبّه الشعب الأمريكي بالشعب اليهودي الذي يسعى إلى دخول الأرض الموعودة. ومن خلال هذه العبرنة أمكن تفسير دوافع الاقتراح الذي تقدم به الرئيس الأمريكي جيفرسون، المتعلق بالرمز الخاص بالولايات المتحدة الأمريكية، ليكون على شكل أبناء إسرائيل، إذ تقودهم في النهار غيمة وفي الليل عمودان من النار بدلاً من النسر.

وبعرض تأثير الاتجاهات الصهيونية في الكنائس البروتستانتية الأمريكية، اتضح أن هذه الاتجاهات قد تبلورت على شكل مؤسسات ومنظمات كنسية صهيونية، تستخدم المسيحية وفلسطين، وتهدف إلى تعبئة الرأي العام، وممارسة الضغط على الجهات الرسمية في الحكومة والكونغرس لصالح الصهيونية السياسية، وتقديم الدعم المادي والمعنوي لهجرة اليهود إلى فلسطين وإقامة دولة يهودية فيها.

كما اتضح أن هذه المؤسسات والمنظمات المسيحية الصهيونية قد تلقت الدعم العلني والسري من الحركة الصهيونية. وبقيام إسرائيل تدعمت معتقدات المسيحية الأصولية اللاهوتية، باعتباره حدثاً وإشارة على صحة هذه النبوءات. وصارت مسألة دعم وتقوية وتأييد إسرائيل بهدف تعجيل يوم الخلاص بالعودة الثانية للمسيح قضية رئيسية لدى الحركة المسيحية الأصولية، تحقيقاً لرضاء الله واعتبار أن معارضة إسرائيل هي معارضة للرب.

ومن طريق تحليل أهمية الكنيسة في المجتمع الأمريكي وعلاقتها الدستورية والعملية بالدولة، ومناقشة أهم العوامل التي أدت إلى نهوض الحركة المسيحية الأصولية في العقدين الأخيرين والتعرف على منظمات وجماعات ضغط، وقيادات، ومنشورات وبرامج هذه الحركة، وعلاقاتها مع الجماعة اليهودية وحركتها الصهيونية في الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل، تمَّ التوصل إلى النتائج التالية:

أ ـ على الرغم من دستورية فصل الدين عن الدولة، فإن الجدار بينهما كان واهياً. وإن الفصل كان مقصوداً به حماية الدين من تدخّل الدولة في شؤونه. وان تنفيذه عملياً ظل عرضة للتغير تبعاً لموازين القوة داخل المجتمع، ولأطماع الدولة

والكنيسة، وقدرة احداهما على أن تسود على الأخرى، فتتجاوز حدود المستوى النظري لعملية الفصل.

وقد تبيّن أن الكنيسة الأمريكية نظام شمولي في أغراضه وأنشطته وعلاقاته. وتمزج الدين بالتعليم وبالخدمات الاجتماعية وبالطب وبالسياسة وبالفن والحرب والسلم... إلخ ولا يفلت من شباكها شيء يتعلق بالحياة اليومية للإنسان.

وقد استنتجت الدراسة أن البروتستانتية هي التي تمثل الأكثرية الغالبة للشعب الأمريكي وتكمن فيها مصادر النفوذ السياسي، ليس بسبب كثرة عددها فحسب، بل لكونها كنيسة الطبقة العليا أو ما يسمّى كنيسة الانكلوسكسون البيض التي تختصر عادة بكلمة «واسب» (WASP). وقد استخدمت الكنيسة الوسائل والأساليب نفسها التي تستخدمها المنظمات والمؤسسات المدنية، من حيث التأثير في السياسات العامة للمجتمع، وخاصة ممارسة أساليب الضغط المنظم المسمى اللوبي، ووسائل استطلاع الرأي العام، وأجهزة الإعلام الحديثة، وأدوات الاتصال الجماهيري. كما ملكت وأدارت جامعات، ومؤسسات تربوية وتعليمية وإعلامية واستشارية، مما وفّر لها امكانات مالية ضخمة وملكت بذلك عقول الملايين من الأمريكيين وجيوبهم. وقد وجدت الدراسة ان العقدين الأخيرين شهدا توسعاً في التعليم الديني في الولايات المتحدة الأمريكية، سواء من حيث عدد المؤسسات التعليمية أو في عدد التلاميذ. فضلاً عن انتخاب رئيسين للجمهورية يؤمنان بأهمية الدين وبدوره الجوهري في المجتمع. فالرئيس السابق جيمي كارتر أعلن عن شعاره وايمانه بعقيدة «الولادة ثانية» كمسيحي أصولي، وجسّد ما في هذه العقيدة من اتجاهات صهيونية نظرياً وعملياً. كما عبّر عن ذلك ومارسه الرئيس رونالد ريغان، واعتبر أن للدين دوراً أساسياً في الحياة السياسية للولايات المتحدة الأمريكية. وفي النتيجة فإن حركة المسيحية الأصولية، التي هي في غالبيتها بروتستانتية، هي أهم ظاهرة سياسية في العقدين الأخيرين من هذا القرن.

وقد مثلت إسرائيل في هذه الظاهرة، محوراً مميزاً. وكثر استعمال الرموز الخطابية التوراتية في العمل السياسي الأمريكي نتيجة تأثير المسيحية في المجتمع المدني، وبخاصة في ثقافته العامة، بحيث صُوِّر الصراع العربي ـ الإسرائيلي في الخيال العام الأمريكي وثقافته على أنه امتداد للصراع التوراتي بين اليهود وغير اليهود، وأن إسرائيل القرن العشرين هي إسرائيل التوراة نفسها، التي يبشر قيامها باقتراب المجيء الثاني للمسيح، فضلاً عن جعل العلاقة بين الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل علاقة خاصة ومميزة وقائمة على فهم توراتي تراثي مشترك.

ب ـ إن انتصار إسرائيل العسكري في حرب حزيران/يونيو ١٩٦٧، واحتلالها

مدينة القدس، كان لها أثر أساسي في بعث الحركة المسيحية الأصولية في الولايات المتحدة الأمريكية، التي قدمت هذه الحرب على أنها معركة بين قوى الشر والخير.

وقد تبيّن أن عدة عوامل أمريكية وإسرائيلية ساهمت في نهوض الحركة المسيحية الأصولية من بينها:

(١) ظهور نزوع في الرأي العام الأمريكي نحو الكنيسة، وما تطرحه من قيم، وتقاليد، ومثل في مواجهة ما عاناه المجتمع الأمريكي من هزائم عسكرية في فيتنام، وفضيحة التسجيلات المسمّاة «فضيحة ووترغيت»، والتي أسقطت الرئيس نيكسون في عام ١٩٧٤، الأمر الذي أدّى إلى ولادة عديد من المؤسسات والتنظيمات والبرامج الكنسية، واعتبار عام ١٩٧٦ عام المسيحيين الأصوليين.

(٢) وصول الرئيس جيمي كارتر إلى البيت الأبيض كرئيس للولايات المتحدة الأمريكية، معلناً عن ولادته من جديد كمسيحي، ومؤمناً بأن تأسيس إسرائيل هو تحقيق للنبوءات التوراتية، وأن العلاقات الخاصة مع إسرائيل تقع ضمن التراث الأخلاقي المشترك، والمصالح الاستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية.

(٣) تولي مناحيم بيغن رئاسة الوزارة في إسرائيل في عام ١٩٧٧، إذ أعطى مجيئه الحكم مشروعية للتطرف الديني اليهودي، ولاستخدام الاشارات والتعابير التوراتية لتبرير الاستراتيجية الصهيونية، وكان حريصاً على اقامة علاقات متينة مع قادة الحركة المسيحية الأصولية.

(٤) تنبُّه المنظمات الصهيونية اليهودية إلى أهمية تأثير تنامي المجتمع المسيحي الأصولي، ومسارعتها إلى إقامة تحالف متين معه، ودعم اتجاهاته الصهيونية وأنشطته، باعتباره أسرع وأضخم كتلة مؤيدة لإسرائيل نمت في الولايات المتحدة الأمريكية.

(٥) بروز وانتشار شبكة واسعة من «الكنيسة المرئية» ببرامجها الاستعراضية الدينية المسيحية، وبقادتها من نجوم التلفزة، وبما تملكه من المحطات المسموعة والمرئية، والمؤسسات الاعلامية، والاستشارية، والتربوية، وبما تستخدمه من أجهزة تقانية حديثة في الاتصالات والادارة والحركة.

(٦) صعود اليمين السياسي المحافظ لحكم الولايات المتحدة الأمريكية مع وصول الرئيس رونالد ريغان في عام ١٩٨٠ إلى البيت الأبيض، فقد أسس هذا اليمين الجديد برامجه السياسية والاقتصادية والثقافية على تحالفات مع حركة المسيحية الأصولية، وعلى مبادىء دينية محافظة ولقاء على أرضية مشتركة في دعم غير مشروط لإسرائيل.

وقد تبيّن من الدراسة أن هذه الصحوة المسيحية الأصولية تجسدت في تيار جماهيري واسع، ومؤسسات متعددة الأغراض وامكانات مالية ضخمة، ونفوذ سياسي ليس من السهل مقاومته. وقد بدا ذلك واضحاً في قدرة هذه الحركة على تعبئة عدة ملايين للانخراط في العملية السياسية الانتخابية.

ج - إن المسيحية الأصولية قد جسدت حركتها وفكرها في مؤسسات اعلامية، ومنظمات وجماعات وتحالفات متعددة. ومدت ذراعيها إلى خارج حدود الولايات المتحدة الأمريكية. وتعاونت مع إسرائيل في تأسيس منظمة مسيحية أصولية في القدس، وأقامت محطتين للبث المرئي والمسموع في جنوب لبنان لخدمة سياسات إسرائيل. وتبيّنت الدراسة أن الحركة المسيحية الأصولية ملكت وادارت شبكة واسعة، وعلى درجة عالية من التقانة الحديثة، من وسائل البث والاتصال الجماهيري، التي تعرف بالكنيسة المرئية. فجذبت اهتمام قطاعات واسعة من المجتمع الأمريكي تقدر بحوالى ٤٠ بالمائة من مشاهدي محطات التلفزة. وقد استنتجت الدراسة أن أغلبية مشاهدي برامج الكنيسة المرئية هم من البالغين، وبخاصة في سن الخمسين فما فوق، وأن هذه السن تمثّل أضخم كتلة انتخابية وأكثرها ثراء، مما يعني بالتالي أنها محل اهتمام السياسيين والطامحين للترشيح للمراكز التنفيذية والتشريعية.

ووجدت الدراسة أن الكنيسة المرئية هي صناعة ثرية وتستخدم برامجها الاستعراضية لجمع أموال التبرعات، ولا تكتفي بمسائل الوعظ الديني، بل تهتم بالمسائل الاجتماعية والسياسية والعسكرية والاقتصادية والترفيهية، وتهتم باكتساب القوة والنفوذ السياسيين أكثر من اهتمامها بالدين. وتقدّم رؤيتها السياسية لقضية الصراع العربي - الإسرائيلي من خلال تفسيراتها التوراتية لإسرائيل واليهود، وتحيزها ضد العرب المسلمين.

ومن أجل جذب أكبر حجم من المشاهدين، فإن هذه الكنائس لم تكتفِ ببث برامجها من خلال ما تملكه من شبكات بث مسموعة ومرئية، بل قامت بشراء أوقات ملائمة في أوسع الشبكات انتشاراً، مما أدى إلى أن يكون لبرامجها الكنسية تأثير أساسي في فكر الأمريكيين وسلوكهم، ويقدّر عدد مشاهدي برامجها أسبوعياً بحوالى ٢٥ مليون شخص.

وخلصت الدراسة إلى أن قدرة قادة الكنيسة المرئية ونجومها، على التأثير، لا تعود لدرايتهم في علم اللاهوت فحسب، بل لأنهم في غالبيتهم من المتخصصين في مجال الإعلام أيضاً، مما زاد من قوة تأثير برامجها على المشاهدين والمستمعين، لاسيما أن هذه البرامج تتجاوز مسائل الوعظ والإرشاد والتعليم الديني إلى القضايا اليومية، والاستشارات، والعلاقات الشخصية، والشفاء الروحي والجسدي.

وقدرت الدراسة ان ٨٥ بالمائة من مستمعي أو مشاهدي هذه البرامج قد تحولوا إلى متدينين، وأن أكثر من ربعهم قدّم أكثر من ١٠ بالمائة من دخله لدعم برامج الكنيسة المرئية والمسموعة، مما أدى إلى توافر ما يقارب من ملياري دولار سنوياً كمورد لهذه الكنائس.

وتبيّن من الدراسة، ان منظمات الكنيسة المرئية مثل «الأغلبية الأخلاقية» وزعيمها القس جيري فولويل، ومؤسسات بات روبرتسون المرشح لرئاسة الجمهورية في انتخابات عام ١٩٨٨، و«رعوية المغامرة الكبرى» و«رعوية مايك ايفانز» وغيرها من المنظمات، إضافةً إلى جماعات الضغط المسيحية الأصولية التي تستخدم في ممارسة نشاطها وسيلة الضغط، بقصد التأثير على صانعي القرارات في النظام السياسي، من أجل تحقيق غرضها ووفق مصالحها، قد حققت فعالية في حركتها، ونشر أفكارها وتأثيرها، وذلك بسبب وحدة جماعاتها وتنظيمها، وكبر حجم وانتشار أعضاء جماعات ضغطها، وتميُّز قياداتها بمهارات وكفاءات قيادية وجماهيرية. وقد دأبت على استخدام أحدث ما توصلت إليه أجهزة الاتصال الاعلامي، وإقامة علاقات مع الفعاليات السياسية والتشريعية، واتباع أساليب عصرية في التمويل وفي التكتيك لخدمة استراتيجيتها.

واستنتجت الدراسة أن دعم إسرائيل والدفاع عن سياساتها من دون شروط، وتأييد الحركة الصهيونية اليهودية، هي المحور الأساسي في فكر وسلوك هذا الكم الهائل من المؤسسات والقيادات وجماعات الضغط المسيحية الأصولية. وقد جسّدته بأشكال وصيغ وأعمال ومواقف مختلفة، سواء على المستوى الأمريكي، أو في داخل إسرائيل، أو في الساحة الدولية، ومن بينها الاعلانات الصحفية، والأفلام، والكتب والمنشورات، والبرامج التلفزيونية والاذاعية، ومناهج التربية والتعليم، والمسيرات، والندوات، والمؤتمرات، والتظاهرات، والتبرعات، وإقامة صلوات إفطار من أجل إسرائيل، وغير ذلك من وسائل الضغط والتأثير لمصلحة الأهداف الصهيونية السياسية، ودعم وتأييد إسرائيل، وسياساتها التوسعية التهويدية والعنصرية.

د ـ ان أبرز الاتجاهات الصهيونية لدى الحركة المسيحية الأصولية المعاصرة في الولايات المتحدة الأمريكية، تتمحور حول التبشير الانجيلي بإسرائيل ودعمها نظرياً وعملياً. وتستخدم إسرائيل توراتية الحركة المسيحية الأصولية لغاياتها وأهدافها الخاصة. وقد خلصت الدراسة الى أن أهم الاتجاهات الصهيونية لدى الحركة المسيحية الأصولية المعاصرة تتبلور في الخطوط العريضة التالية:

(١) ان دعم إسرائيل وتأييدها ليس قضية أخلاقية أو انسانية، أو أمراً اختيارياً

أو هو عائد إلى اعتبارات سياسية أو عسكرية، بل انه قضاء إلهي. وبالتالي فإن معارضة إسرائيل خطيئة دينية، وإن دعمها وتأييدها هو في سبيل الخير وارضاء الله.

(٢) ان مدينة القدس، تحت السيطرة اليهودية، هي محور عودة المسيح الثانية جغرافياً وتاريخياً. وان المعبد اليهودي لا بد ان يقام قبل هذه العودة الثانية، وعلى أرض المسجد الأقصى الذي لا بد له من الزوال. وما محاولة المسيحي الأصولي مايكل روهان، من استراليا، حرق المسجد الأقصى عام ١٩٦٩، الا تنفيذاً لهذه الاتجاهات الصهيونية المسيحية المؤمنة بوجوب المساعدة في استعجال عودة المسيح.

(٣) ان الالتزام بتدعيم أمن إسرائيل، وبتقويتها عسكرياً واقتصادياً، وإقامة تحالف استراتيجي شامل معها، ومساعدتها بالتبرعات وشراء وتسويق منتجاتها وسنداتها، وانشاء صناديق الاستثمار الدولية لمصلحتها وتشجيع الاستثمار الأمريكي الخاص داخلها، واستصلاح الأراضي، وبناء المستوطنات فيها وفي الضفة الغربية وغزة والجولان، والرحلات السياحية اليها، وتوفير فرص التدريب للإسرائيليين داخل مؤسسات تقانية أمريكية، هو التزام مسيحي مبني على اعتبارات روحية وتاريخية وأمنية.

(٤) اعتبار كل أراضي الضفة الغربية وغزة والجولان، ملكاً للشعب اليهودي، وتبرير حروب إسرائيل التوسعية، والدفاع عن غزواتها، وعملياتها العسكرية الخارجية، وحث الولايات المتحدة الأمريكية على دعم هذه الحروب والسياسات باعتبار أن الله هو الذي عيّن حدود إسرائيل وأيد مطالبها في الأرض. وقد وجدت الدراسة ان دعم وتأييد الحركة المسيحية الأصولية لإسرائيل، في معظم الأحيان، هو أكثر تشدداً وتطرفاً من مواقف وآراء بعض اليهود في الولايات المتحدة الأمريكية وفي إسرائيل.

(٥) وصم العرب بعامة، والفلسطينيين بخاصة بالارهاب وممارسة الضغوط المنظمة على صانعي القرارات السياسية والتشريعية لمنع بيع الأسلحة الأمريكية إلى البلدان العربية ونبذ منظمة التحرير الفلسطينية وعدم الاعتراف بها، تنفيذاً لما ورد في التوراة حول مباركة الله من يبارك اليهود ولعن من يلعنهم.

وكذلك المطالبة بتوطين الفلسطينيين في البلدان التي نزحوا إليها، والدعوة إلى الاعتراف الدولي بإسرائيل، ومطالبة الولايات المتحدة الأمريكية بالانسحاب من أية منظمة دولية أو اقليمية أو خاصة ترفض عضوية إسرائيل أو الإسرائيليين فيها.

(٦) وتأتي هذه الاتجاهات الصهيونية، ودعم وتأييد إسرائيل من خلال المواعظ

في الكنائس، والتدريس في مدارس الأحد والجامعات الكنسية، والبرامج الاستعراضية في الكنيسة المرئية والمسموعة، والكتب والأفلام والمجلات الدينية والنشرات التي توزع مجاناً، والاعلانات الباهظة الكلفة في الصحف الأمريكية الواسعة الانتشار، وبرامج الرحلات السياحية لإسرائيل - إذ دعت الحركة المسيحية الأصولية لأن يجعل كل مسيحي زيارة إسرائيل من أهداف حياته الشخصية - وتنظيم الندوات والصلوات الدينية والمؤتمرات والدورات التدريبية لتطوير وتعميق قواعد فهم أفضل لاحتياجات وأهداف إسرائيل والصهيونية السياسية، وانشاء التحالفات والمنظمات المسيحية من أجل توحيد الطوائف المسيحية المختلفة للتضامن مع إسرائيل، وخدمة ما تسميه أمن الوطن القومي اليهودي، وممارسة الضغوط المنظمة لصالح دعم إسرائيل، وتحسين صورة إسرائيل وقادتها في الولايات المتحدة الأمريكية.

هـ - إن النشاط المسيحي الأصولي المؤيد والداعم للصهيونية وإسرائيل والمبني على مبادىء ومعتقدات دينية وسياسية، والذي تدعمه المنظمات الصهيونية وإسرائيل مالياً ومعنوياً، لم يحلْ دون قيام خلافات بين الحركة المسيحية الأصولية من جهة وبين يهود الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل من جهة أخرى.

فيهود الولايات المتحدة الأمريكية، وبعض اليهود المتعصبين في إسرائيل، يخشون من عمليات تبشيرية وتنصيرية قد تمارسها بعض الكنائس والمنظمات المسيحية الأصولية بين اليهود. كما يعتبر بعضهم أن الحركة المسيحية الأصولية ساهمت بتأجيج المناخ الديني المسيحي داخل الولايات المتحدة الأمريكية. ورأى البعض الآخر أن تحالف الجماعات اليهودية مع هذه الحركة قد يؤثّر سلباً على تأييد الكاثوليك والبروتستانت الليبراليين لإسرائيل وللحركة الصهيونية داخل الولايات المتحدة الأمريكية. فضلاً عن قلق يهودي من تنامي وانتشار الحركة المسيحية الأصولية لتصبح قوة سياسية مؤثّرة قد يصعب السيطرة على حركتها دينياً، تجاه مسائل اجتماعية وتربوية وسياسية داخلية، مما قد يؤثر على النفوذ اليهودي ويزاحمه داخل الولايات المتحدة الأمريكية. واستنتجت الدراسة أن رؤية يهود الولايات المتحدة الأمريكية الحركة المسيحية الأصولية تتجاوز أحياناً مسألة الاتجاهات الصهيونية لدى هذه الحركة الى مواقف وفكر هذه الحركة تجاه القضايا الأمريكية الداخلية، مثل الصلاة في المدارس الحكومية والاجهاض والمرأة... إلخ. لكن هذه الرؤية تتركز باستمرار حول ضرورة تطوير الاتجاهات الصهيونية وتنميتها لدى منظمات الحركة المسيحية الأصولية الداعمة لإسرائيل، والعمل على توحد الموقف المسيحي الأصولي واليهودي الصهيوني تجاه إسرائيل.

أما إسرائيل فهي أقل حساسية تجاه المواقف والآراء الخلافية مع المسيحيين

الأصوليين، والمتعلقة بقضايا اجتماعية وثقافية وسياسية أمريكية داخلية. وتقدر إسرائيل مواقفهم وتثمّن دعمهم لأمنها ولاقتصادها ولسياساتها. ولا تبدي اهتماماً لنقاط الخلاف اللاهوتي النابع من حكم «جيوسياسي» وليس من نظرة لاهوتية لدى المسيحيين الأصوليين ما دام هؤلاء يؤيدون إسرائيل بنشاط وفعالية. ورأت إسرائيل أنها في وضع لا يسمح لها بانتقاء الأصدقاء، ورفض اليد الممدودة لدعمها وتأييدها من أية جهة كانت.

وفي هذا المجال استخلصت الدراسة ان الخلافات بينهما هامشية. وان رؤيتهما الدينية الغيبية لإسرائيل وللأرض الموعودة لليهود في فلسطين، اضافة إلى ما تتحلى به إسرائيل وحركتها الصهيونية السياسية من ذرائعية كفيل دوماً بتذليل أو تجميد الخلافات، لمصلحة تقوية وتمتين النزعة الصهيونية ضمن الحركة المسيحية الأصولية. وقد استنتجت الدراسة أن مجمل العلاقات بين الحركة المسيحية الأصولية والحركة الصهيونية اليهودية وإسرائيل مرشحة لمزيد من التعاون والتحالف لعدة اعتبارات:

(١) اعتقاد صهيوني يهودي، وبخاصة في أوساط المثقفين، أن المسائل الاجتماعية التي تطرحها الحركة المسيحية الأصولية لن يُكتب لها النجاح في مجتمع متحرر علماني مثل المجتمع الأمريكي، وبالتالي فإن الحركة الصهيونية اليهودية لم تجعل من هذه المسائل قضية خلافية مع الحركة المسيحية الأصولية.

(٢) تواجه مسألة تنصير اليهود مقاومة يهودية شعبية، فضلاً عن التحريم الرسمي الإسرائيلي لها. أما مسألة التنصير المستقبلي لليهود بعد العودة الثانية للمسيح، فهي مؤجلة ولا تستدعي الخوض فيها الآن، مما يبطل مفعول دعاوى بعض اليهود المتعصبين ويزيل قلقهم.

(٣) طالما تعتبر الحركة الصهيونية اليهودية وإسرائيل أن الدعم المالي والسياسي والعسكري والمعنوي الذي تقدمه الولايات المتحدة الأمريكية لإسرائيل وسياساتها، هو عنصر أساسي في حفظ أمنها واستمرار بقائها، فإنه من الضروري توفير رأي عام أمريكي مناصر وضاغط بشكل مؤثر ومتواصل على صانع القرار الأمريكي. وبالتالي يصبح اهتمام الصهيونية وإسرائيل بالقوة الصاعدة والمتنامية للمسيحية الأصولية أكثر من مجرد اهتمام لاهوتي أو أكاديمي، ليتعداه إلى مسألة حالة من التكالب لكسب الأصدقاء والحلفاء في الولايات المتحدة الأمريكية عند إسرائيل وحركتها الصهيونية. وهكذا فإنها تجد من غير الممكن استمرار ضمان التأييد الأمريكي الشعبي والرسمي لأهدافها من غير الاستخدام المنظم لتعاطف الأمريكيين من خلال ما توفره الحركة المسيحية الأصولية من مناخ مناسب ومؤيد للوطن القومي لليهود ولرؤيتها النبوئية التوراتية لإسرائيل.

(٤) نظراً لما تبديه الحركة المسيحية الأصولية من فكر ونشاط عملي، يبدو غالباً أكثر تشدداً من صهيونية قطاع غير قليل من يهود الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل، فإن إسرائيل لن تبعد اليد التي تمتد لدعم قضاياها فضلاً عن أنها لا تستطيع أن تتحمل مسألة التدقيق في قبول الدعم، بل ستأخذه من أي مكان تستطيع الحصول عليه. ولعل الموقف المتشدد لقادة الحركة المسيحية الأصولية المجتمعين في مؤتمر لهم عقدوه في آب/أغسطس ١٩٨٥ في القاعة نفسها التي عقد فيها أول مؤتمر صهيوني يهودي عام ١٨٩٧ في مدينة بال، في سويسرا، من مسألة تسوية الصراع العربي ـ الإسرائيلي عن طريق مشروع يقضي باستبدال الأرض المحتلة في عام ١٩٦٧ بالسلام، لهو نموذج لمدى تطرف الصهيونية عند الحركة المسيحية الأصولية. فعندما اعترض أحد الإسرائيليين المشاركين في المؤتمر على قرار بضم الضفة الغربية وقطاع غزة إلى إسرائيل، مقترحاً تخفيفه بسبب استطلاعات الرأي في إسرائيل التي تشير إلى أن ثلث الإسرائيليين يرغبون في استبدال الأرض بالسلام، أجابه المتحدث باسم منظمة السفارة المسيحية الدولية ـ القدس، وهو الهولندي المسيحي الأصولي فإن هوفين قائلاً: «لا يهمنا تصويت الإسرائيليين، ما يهمنا هو ما يقوله الله، والله أعطى هذه الأرض لليهود»[١] عند ذلك تم التصويت على الاقتراح بالاجماع.

(٥) يوجد قاسم مشترك ما بين الفكر المسيحي الأصولي والفكر الصهيوني اليهودي من حيث الاعتقاد بالقوة والسلام طريقاً لتحقيق الأهداف السياسية. فحينما دمرت إسرائيل المُفاعل الذري العراقي في حزيران/يونيو ١٩٨١، هنأت الحركة المسيحية الأصولية قادة إسرائيل بهذا الانجاز وأعلنت عن افتخارها لأن الطائرات التي قامت بالقصف أمريكية الصنع.

(٦) تحقق إسرائيل وحركتها الصهيونية فوائد عديدة من تحالفها مع الحركة المسيحية الأصولية ذات الثقل المادي والشعبي والإعلامي والروحي، والضاغط بشكل منظم وفاعل على صانع القرار السياسي والتشريعي لتحقيق الأهداف الإسرائيلية والصهيونية داخل الولايات المتحدة الأمريكية. وتشمل الفوائد تحقيق الدعم المالي والعسكري والسياسي المتواصل والمتصاعد والمؤسسي، وكذلك دعم وتأييد السياسة التوسعية والتهويدية في الأراضي العربية المحتلة.

و ـ ان مخاطر وجود الاتجاهات الصهيونية لدى الحركة المسيحية الأصولية تتعدى المسائل الأكاديمية والفكرية، وتتجاوز حدود الكنائس الى تطبيق فلسفتها الدينية،

(١) Grace Halsell, *Prophecy and Politics: Militant Evangelists on the Road to Nuclear War* (Westport, Conn.: Lawrence Hill and Co., 1985), p. 162.

ومعتقداتها النبوئية التوراتية على الأحداث السياسية الجارية المتعلقة بالصراع العربي ـ الإسرائيلي، وأن مثل هذه الاتجاهات الصهيونية، التي هي وليدة التفسيرات الحرفية للعهد القديم الذي تؤكد فلسفته على اخضاع كل القيم الانسانية لامتيازات خاصة بجماعة قبلية عنصرية هي «اليهودية». وبالتالي، فإن هذه الاتجاهات هي انكار لمُثُل العدل ومحبة الفرد الانساني الواردة في تعاليم المسيح عليه السلام، في العهد الجديد.

وقد وجدت الدراسة أن النشاطات والاتجاهات الصهيونية لدى الكنيسة الأصولية ومؤسساتها وبرامجها وأدبياتها المختلفة، قد تُرجمت في الولايات المتحدة الأمريكية إلى تأييد عملي لإسرائيل ولسياساتها. كما وجدت أن الحركة المسيحية الأصولية في ازدياد سواء من حيث العدد أو النفوذ، أو الأنشطة أو الامكانات. كما يتعمق تأييدها النظري والعملي لإسرائيل.

وتبيّنت الدراسة أن الاتجاهات الصهيونية دفعت بالكنيسة الأصولية إلى الانخراط السياسي الفعلي في الصراع العربي ـ الإسرائيلي. فعلى ساحة الصراع نفسه، أنشأت منظمات ومكاتب ومحطات تلفزة واذاعة، واشترت أراضي في فلسطين المحتلة، وموّلت بناء المستوطنات، ودعمت الاقتصاد الإسرائيلي تمويلاً وتسويقاً وسياحة واستثماراً، وخططت ونظمت أنشطة، وجمعت أموالاً لبناء معبد يهودي يقوم على أرض المسجد الأقصى بعد هدمه. وقد حاول أحد المتعصبين المسيحيين الأصوليين حرقه، ونظمت المسيحية الأصولية حملة مالية للدفاع عن اليهود المتعصبين الذين حاولوا اقتحام المسجد الأقصى وتخريبه. وحينما نسفت المقاومة الوطنية اللبنانية منشآت محطتي التلفزة والراديو المسيحيتين الأصوليتين الأمريكيتين في جنوب لبنان، تأكدت حقيقة كون الحركة المسيحية الأصولية جزءاً من الطرف الإسرائيلي في الصراع العربي ـ الإسرائيلي.

وفي الساحة الأمريكية، استنتجت الدراسة ان دور الحركة المسيحية الأصولية، باتجاهاتها الصهيونية وبإمكاناتها المادية والبشرية، وبنفوذها الروحي والسياسي، وبقدراتها المنظمة، قد أثّرت بشكل أساسي في الموقف الأمريكي الرسمي والشعبي المتحيز لإسرائيل، ودفعت بالعلاقة الأمريكية الإسرائيلية لتكون علاقة خاصة مميزة قائمة على التزام أدبي أو أخلاقي لا مثيل له بين الولايات المتحدة الأمريكية وأية دولة أخرى صديقة لها.

ثانياً: خطة عمل عربية لمواجهة صهيونية الحركة المسيحية الأصولية

في ضوء هذه الدراسة وما أثبتناه من صحة فرضيتها، نقترح خطة مواجهة مبرمجة تشمل العناصر التالية:

١ ـ إعداد دراسة جادة ومفصّلة حول مواد التعليم في مدارس الأحد والمدارس الدينية، وهي مواد غالباً ما تكون أكثر اهتماماً بالمسائل الاجتماعية والسياسية من المواعظ التقليدية التي تُتلى في الكنائس أيام الآحاد، كما تهتم بقراءة وتفسير المواد التوراتية وبخاصة العهد القديم بما فيه من إسرائيليات.

وتهدف هذه الدراسة لاستكشاف العناصر الخفية والظاهرة للاتجاهات الصهيونية والمؤيدة لإسرائيل.

وبعد ذلك، تقدَّم هذه الدراسة الى قادة مسيحيين ممن يتعاطفون مع وجهة النظر العربية مثل المجلس الوطني للكنائس، وذلك بهدف تشجيعهم على المطالبة باصلاح برامج التعليم في المدارس الدينية وبخاصة مدارس الأحد.

وقد لاحظت أن ثلاث دور نشر دينية متخصصة أو أربع، تتحكم بشكل مطلق في انتاج ونشر المواد التعليمية لمدارس الأحد، مثل مؤسسة (Moody Bible Publication). ويمكن أن تُعد الدراسة المطلوبة بإحدى الطرق الآتية:

أ ـ بواسطة منظمة عربية أمريكية مثل الرابطة الوطنية للعرب الأمريكيين (NAAA) أو لجنة مناهضة التمييز العنصري (ADC) أو الخريجين العرب الأمريكيين (AAUG) أو منظمة «حملة حقوق انسان فلسطين» في شيكاغو.

ب ـ اطروحات ماجستير أو دكتوراه لطلبة عرب في جامعات أمريكية.

ج ـ تمويل فردي أو منحة دراسية مقدمة إلى المجلس القومي للكنائس لإعداد مثل هذه الدراسة.

٢ ـ دعم وتشجيع عقد مؤتمرات دينية مسيحية في الولايات المتحدة الأمريكية، وبشكل دوري تناقش فيها مسائل العلاقات بين الدين وحقوق الإنسان، بهدف استكشاف وكشف استخدام الصهيونية السياسية للتوراة.

وقد عقدت مثل هذه المؤتمرات في السنوات السبع الماضية، مثل مؤتمر لاغرانج في ولاية إلينوي في أيار/مايو ١٩٧٩. وشارك فيه عدد من الجماعات المسيحية من

كاثوليك وبروتستانت وأرثوذكس وأكاديميين لاهوتيين. وصدر عن المؤتمر اعلان لا غرانج (La Grange Declaration). وقد وقّعه ٥٠٠ شخص كما شاركت شخصياً في مؤتمر مسيحي نظمته «حملة حقوق إنسان فلسطين» ومقرّها في شيكاغو في كانون الثاني/يناير ١٩٨٤. وقد أدى نقص التمويل الكافي لمثل هذه المؤتمرات إلى قلة عدد المشاركين فيها، كما أدى إلى صعوبات في طباعة ونشر وتوزيع دراسات وقرارات هذه المؤتمرات بشكل مرضٍ وكافٍ. ومن بين أهداف المؤتمرات المقترحة:

أ ـ فحص الأسس اللاهوتية لإقامة السلام والعدل في الأرض المقدسة.

ب ـ البحث في أبعاد مصطلحات توراتية مثل الأرض المقدسة والشعب المختار، والسلام والأمن، والقدس في ضوء الوقائع السياسية الحاضرة.

٣ ـ دعم وتشجيع عقد مؤتمرات دينية مسيحية في الوطن العربي وبشكل دوري ومنتظم، وفي أماكن قريبة جغرافياً من فلسطين المحتلة مثل المملكة الأردنية الهاشمية وجمهورية مصر العربية والجمهورية اللبنانية والجمهورية العربية السورية، ودعوة عدد من القيادات الدينية الأمريكية للمشاركة فيها.

ويمكن أن تشمل موضوعات هذه المؤتمرات الدورية مسائل الدين، وحقوق الانسان والسلام والعدل، وحق تقرير المصير للفلسطينيين، اضافة الى قضايا لاهوتية لها علاقة بالأوضاع الراهنة. وبقدر ما تكون هذه المؤتمرات جيدة في تنظيمها وإعدادها، بقدر ما تعطي ثماراً ايجابية، سواء في تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة المبنية على أفكار صهيونية لدى كنائس أمريكية، أو بغرض اثارة الاهتمام ونشر الوعي بهذه المسائل.

٤ ـ تنظيم برامج زيارات دورية متبادلة لقادة مسيحيين أمريكيين للدول العربية، ولقادة مسيحيين عرب من مثقفين، ورجال دين إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

ويمكن من خلال هذا الجسر الدائم والمتواصل، تأسيس حوار انساني وديني، وتوفير مناخ لفهم وتفهّم مشترك. كما أن زيارات رجال دين أمريكيين، وكتّاب وصحفيين مختصين بالشؤون الدينية، وممثلين لجامعات لاهوتية، ومنظمات كنسية واغاثة لأماكن دينية مقدسة في فلسطين المحتلة ودول عربية أخرى، وعقد لقاءات لهم مع مسؤولين حكوميين، وقادة، ومؤسسات، وجمعيات ومنظمات شعبية عربية سيوفر تواصلاً انسانياً وحواراً صحياً، قد ينجح على المدى البعيد في هز الصورة الوحيدة العالقة في أذهان قيادات مسيحية أمريكية، وهي صورة إسرائيل، وما تطرحه الحركة الصهيونية اليهودية من دعاوى بحقوق تاريخية ودينية لليهود في فلسطين.

٥ ـ تنظيم حملة واعية ومستمرة في الصحافة ومحطات الراديو والتلفزة في الولايات المتحدة الأمريكية، مستخدمة اللغة الكنسية نفسها لتفنيد عدم صحة مقولات الصهيونية المسيحية مثل أطروحة شعب الله المختار ووضع مدينة القدس.

واقترح أن تتركز هذه الحملة في مراحلها الأولى في القرى والمقاطعات البعيدة عن المدن الرئيسية، بحيث تهدف في البداية إلى دفع القارىء أو المشاهد إلى ملاحظة ان ما يقرأه ويشاهده يختلف عما اعتاد سماعه من نجوم الكنيسة المرئية وصحافتها، مما يدفعه إلى التساؤل والتردد في تقديم تبرعاته.

وقد أدى تنامي عدد الكنائس، وما يتطلبه إنشاؤها من أموال التبرعات المتواصلة الى خسارة الكنائس المرئية لبعض المصادر المالية بخاصة من المتبرعين في الولايات النفطية مثل تكساس وأوكلاهوما التي واجهت ضغطاً في النفقات والتبرعات، بسبب انخفاض أسعار النفط في السنوات الأخيرة. وبذلك يمكن استثمار مثل هذه الظروف للتقدم نحو استخدام محطات مرئية ومسموعة وصحافة عديدة من تلك التي تحتاج إلى مال على أسس تجارية بحتة.

٦ ـ دعم وتشجيع نشر معلومات معدة بشكل علمي وميسر حول الاسلام ومعالجاته القضايا الاجتماعية والسياسية، ونظرته إلى الأديان الأخرى، بما في ذلك الدور العربي والإسلامي في نقل وتطوير وحفظ الحضارة الإنسانية، وذلك في محاولة للرد على أطروحات الأصولية المسيحية التي تركز على وحدانية التراث المسيحي ـ اليهودي للإنسانية.

ويشمل هذا الدعم والتشجيع المساعدة على انشاء مراكز للدراسات الإسلامية في الكليات والجامعات الأمريكية.

٧ ـ إيجاد صلات عملية بين الكنائس العربية والكنائس الأمريكية، وبخاصة الكنيسة الكاثوليكية ومؤسساتها المختلفة. ويمكن اقتراح مشاركة الكنائس العربية في مؤتمرات الكنائس الأمريكية بعضوية مراقبة، وغالباً ما يلعب العضو المراقب دوراً في التأثير على مجرى ومحتوى صيغة قرارات المؤتمرات المتعلقة بمنطقته أو بشؤون تمتّ بصلة إلى أتباع طائفته.

٨ ـ وضع أسس حوار دائم بين الاسلام والمسيحية واليهودية، واستحداث أقسام داخل المنظمات والمعاهد والمراكز والمؤسسات الاسلامية في الوطن العربي مختصة بهذا الحوار وتنظيمه ونشر أبحاثه وقراراته.

ويمكن اقتراح مشاركة منظمة المؤتمر الإسلامي في جدة ـ على سبيل المثال ـ في

مؤتمرات مجلس الكنائس العالمي، والمجلس القومي للكنائس في الولايات المتحدة الأمريكية بعضوية مراقبة، مثلما تتبع ذلك منظمات يهودية أمريكية.

٩ ـ إعداد أفلام وثائقية وسينمائية متنوعة، موجهة إلى الجمهور الأمريكي، تروي قصة العرب ودورهم في الحضارة الانسانية، وكذلك البعد الديني لاحتلال إسرائيل لفلسطين وأراض عربية أخرى، إضافة إلى مسائل اليهود في التاريخ العربي، وغير ذلك من القضايا التي يمكن أن تشكّل رداً على السينما الصهيونية المسيحية. ومن أفلامها فيلم «أرض الرب» (His Land) الذي اعتبرته إسرائيل «قصيدة حب لها»[2]. ويمكن الاستعانة بكتّاب وسينمائيين عرب أمريكيين وبمختصين لاهوتيين عرب وأمريكيين.

١٠ ـ دعم وتشجيع اقامة «صلاة إفطار» (Breakfast Prayer) دورية من أجل القدس والسلام والعدل في فلسطين، يدعى اليها رجال دين مسيحيون عرب وقيادات من الكونغرس ورجال دين من مختلف الطوائف المسيحية الأمريكية، ويصدر عنها قرارات أو بيانات. كما يمكن ترتيب لقاءات للمشاركين فيها مع مسؤولين في الحكومة الأمريكية والكونغرس.

١١ ـ دعم وتشجيع نشر و«زرع» مقالات وأخبار حول مسائل تتعلق بحقوق الانسان الفلسطيني في الأراضي العربية المحتلة، والقدس كمدينة للسلام، وإثارة أسئلة توراتية حول معتقدات المسيحيين في العهد القديم، والتشكيك بالملكية غير المشروطة لليهود في فلسطين، حسب بعض الاعتقادات، وغير ذلك من المسائل.

ويمكن توجيه هذه المقالات نحو مجلات مسيحية رئيسية مثل: مجلة «المقيمون موقتاً» (Sojourners)، وهي أكثر المجلات نفوذاً وسط المسيحيين التقدميين، و«مجلة الرب» (His Magazine) الأكثر توزيعاً، ومجلة «المسيحية اليوم» (Christianity Today)، وهي الأكثر انتشاراً وتأثيراً وسط الصحافة البروتستانتية.

١٢ ـ دعم وتشجيع «تعيين ضباط اتصال» لروابط ومنظمات مسيحية أمريكية في الأقطار العربية، لتسهيل وسائل الاتصال وتوفير التحليل والفهم والتفهم الموضوعيين للقضايا المشتركة والخلافية.

وقد علمت أنه تم تعيين أول ضابط اتصال في كانون الثاني/يناير ١٩٨٥، وهو القس دان سيمونز (Dan Simmons). وقامت منظمات اغاثة انسانية وبعض الكنائس الانجيلية بتمويل نفقاته[3].

(٢) *Christianity Today* (18 November 1977), p. 49.

(٣) ورد ذلك في رسالة شخصية بعثها للباحث د. القس دونالد واغنر، رئيس حملة حقوق إنسان فلسطين بشيكاغو.

وفي تقديري أن ذلك غير كافٍ، وأرى أن تتولى منظمة المؤتمر الإسلامي أو إحدى مؤسساتها مهمة تنظيم وترتيب هذا الموضوع.

١٣ ـ دعم وتشجيع إيفاد واستقبال «بعثات لتقصّي الحقائق» (Fact-Finding Missions) في ما يتعلق بفلسطين، تضم رجال دين وعلماء لاهوت وصحفيين مختصين بهذه الشؤون.

١٤ ـ لأول مرة في التاريخ، أصبح لدى الأصولية المسيحية تقانة الأقمار الصناعية للاتصال عبرها مع العالم، «ولنشر الكتاب المقدس في كل أنحاء الكرة الأرضية»(٤). وأي خطة للمواجهة لا بد أن تشمل عناصرها استخدام هذه الوسائل التقانية المعاصرة.

وفي هذا المجال يمكن شراء فترات في عدد من المحطات المرئية والاذاعية الدينية التي تبث برامجها عبر الأقمار الصناعية. وأما مادة هذه البرامج فلا بد من اعدادها بشكل ملائم ومتطور حسب القضايا والمسائل المثارة في الساحة الكنسية.

وعلى سبيل المثال، فإن كشف حقائق المعاناة التي يواجهها مسيحيو فلسطين المحتلة تحت الاحتلال الإسرائيلي يمكن أن تشكّل صدمة لأعضاء الكنائس الأمريكية. كما أن اذاعة بعض الاحصاءات عن تراجع عدد المسيحيين في فلسطين المحتلة يشكّل أيضاً نوعاً من التساؤل عند هذه الكنائس. فمثلاً إن عدد المسيحيين في بيت لحم لا يزيد الآن عن ٢٠ بالمائة، بعد أن كان ٩٠ بالمائة قبل عام ١٩٦٧. كما أن نسبة المسيحيين في فلسطين قبل عام ١٩٤٨ كانت ١٥ بالمائة، لكنها انخفضت في أوائل عام ١٩٨٦ لتصل إلى ٨ بالمائة. وإذا ما استمر هذا النزوح فإنه لن يبقى مسيحي واحد في أرض المسيح»(٥).

وقد أجريت اتصالاً مع «معهد اللاهوت» في مدينة دالاس، الذي يبث برامج دينية من ٢٣ محطة تلفزيونية على مدى خمسة أيام في الأسبوع ولمدة عشرة دقائق في اليوم، وذلك بهدف التعرف على التكلفة المادية لبرامجه. فوجدت أن فاتورته الشهرية لا تزيد عن خمسة آلاف دولار، مما يدفعني إلى اقتراح شراء فترة في عدد من محطات الاذاعة والتلفزيون المسيحية التي يزيد عددها عن ١٥٠٠ محطة، وذلك لبث برامج دينية من وجهة نظر عربية، وبتكلفة قليلة. ويمكن أن تتولى جامعة الدول العربية ـ صندوق الدعوة العربية ـ أمر تمويل هذه الحملة، التي يمكن أن يشارك في التخطيط والاعداد لها رجال دين عرب وأمريكيون.

---

(٤) John L. Kater, *Christian on the Right* (New York: Seabury Press, 1982), p. 104.

(٥) Halsell, *Prophecy and Politics: Militant Evangelists on the Road to Nuclear War,* p. 128.

١٥ ـ إصدار «مجلة متخصصة» توزّع على مستوى الولايات المتحدة الأمريكية، إما بشكل أسبوعي أو شهري، حسب الامكانات البشرية والمالية المتوفرة، وموجّهة الى المجتمع الكنسي، لمعالجة المسائل الدينية والقضايا السياسية والاجتماعية من منظور مسيحي يخدم وجهة النظر العربية المشتركة.

ولعل تأسيس مركز نشر وأبحاث ديني مسيحي في عاصمة الولايات المتحدة الأمريكية، على غرار مراكز الأبحاث الأمريكية (Think Tanks) التي تقام لغير أغراض الربح وتُموَّل من التبرعات، هو أفضل إطار لإصدار مثل هذه المجلة المتخصصة، فضلاً عن قيام المركز بنشر الكتب والأبحاث وإقامة الندوات وعقد المؤتمرات بشكل مبرمج ومؤسسي ومتواصل.

١٦ ـ تشجيع ودعم نشاطات مسيحية غير صهيونية في اطار العمل التشريعي للجان الكونغرس، وبخاصة في مجال تقديم شهادات الاستماع (Testimony) في المسائل الدينية المسيحية. وتتأتى أهمية هذه الشهادات ممّا تحدثه من تأثير على مواقف وآراء أعضاء لجان الكونغرس، ولأنها تنشر على نطاق واسع ضمن تقارير هذه اللجان.

١٧ ـ حملة من أجل القدس: ستظل مدينة القدس ومستقبلها في السنوات القادمة محور مناقشات واسعة داخل أروقة واجتماعات الكونغرس الأمريكي، وفي صحافة ومؤسسات الكنائس المسيحية، فضلاً عن منظمات الحركة الصهيونية اليهودية.

ومن أبرز محاور هذه المسألة، المشروع المطروح في الكونغرس منذ أيار/مايو ١٩٨٤، لنقل سفارة الولايات المتحدة الأمريكية من تل أبيب الى القدس، وما سيترتب على ذلك من تأثير على اعتراف الولايات المتحدة الأمريكية القانوني بضم القدس والاعتراف بها كعاصمة لإسرائيل.

وفي هذا المجال اقترح العمل باتجاه تشكيل موقف مسيحي يقوم أولاً، على أساس مواجهة انتهاكات إسرائيل لحقوق الانسان في هذه المدينة المقدسة، وثانياً، على أسس تاريخية وتوراتية باعتبار أن «التوراة» ليست كتاباً مختصاً في شؤون العقارات والأراضي (Real Estate Book)، فضلاً عن تبيان خطورة تجاهل مواقف وحساسيات أكثر من مليار من المسلمين. وثالثاً، على أسس انجيلية، بتبيان تصاعد أعداد هجرة وتهجير مسيحيي القدس بسبب سياسات إسرائيل العنصرية والتهويدية والطائفية. فقد بلغ عدد المسيحيين في هذه المدينة في عام ١٩٦٧ حوالى تسعة وعشرين ألفاً، وقد توقّع القس ريموند باك (Raymond Bakke)، في شهادة استماع له امام لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ الأمريكي في ١٦ أيار/مايو ١٩٨٤، أن تخلو أرض المسيح

عليه السلام، خلال العشرين عاماً المقبلة ولأول مرة، من المسيحيين. ورابعاً، على أسس إنسانية وروحية بتبيان مخاطر استمرار التعصب اليهودي، والتطرف المسيحي الأصولي بشأن هدم مسجد الصخرة المشرّفة، وإقامة المعبد اليهودي مكانه، وإزالة الصفة الروحية المقدسة لدى الأديان السماوية لهذه المدينة.

١٨ ـ أن تشمل خطة العمل البعيدة المدى، المقترحات التالية:

أ ـ تدريس الديانتين المسيحية واليهودية في المعاهد والكليات الإسلامية ومعاهد ودور العلوم، في البلدان العربية والاسلامية. ويهدف ذلك إلى تنمية فهم أفضل لهاتين الديانتين، وتوفير مناخ صحي موضوعي لحوار بين الأديان السماوية وبخاصة بين المسلمين والمسيحيين.

ب ـ انشاء ادارات أو لجان دائمة في المؤسسات الدينية العربية، بحيث تختص في شؤون الديانتين المسيحية واليهودية، ومؤسساتها في الساحة الدولية.

وقد درجت المنظمات الكنسية الرئيسية على تشكيل لجان دائمة للاهتمام بشؤون الأديان السماوية والعقائد الأخرى.

ج ـ تأسيس قنوات اتصال وحوار دائمة ومنظمة، مع الكنائس الكاثوليكية ممثلة في الفاتيكان. ويمكن أن تلعب الكنائس الكاثوليكية العربية دوراً ايجابياً في هذا المجال، وبخاصة في العمل في اتجاه تمتين موقف الفاتيكان السياسي والديني في ما يتعلق بقضية فلسطين. وينعكس هذا الموقف، في أغلب الأحيان، على مواقف أعضاء الكنيسة الكاثوليكية ومؤسساتها في الولايات المتحدة الأمريكية.

د ـ بناء جسور منظمة بين المؤسسات الدينية العربية، وبخاصة مجلس كنائس الشرق الأوسط، وبين المجلس القومي للكنائس في الولايات المتحدة الأمريكية، بهدف التأثير في صياغة مواقفه وسياساته تجاه القضايا العربية، ودعم خطّه العام المعتدل تجاه الصراع العربي ـ الإسرائيلي. وقد واجه المجلس القومي للكنائس، خلال العقدين الأخيرين، هجوماً شديداً من الجماعة اليهودية ومنظمات الحركة الصهيونية اليهودية في الولايات المتحدة الأمريكية، بسبب عدم الرضا عن «سياسته الشرق أوسطية والاشتباه في كونه مؤيداً للعرب»[٦].

ومن بين الجسور المقترح اقامتها، تبادل المعلومات والبيانات والزيارات وتبنّي مشروعات مشتركة في أنحاء متفرقة من العالم، مثل مشروعات الاغاثة الانسانية.

(٦) لي أوبراين، المنظمات اليهودية الأمريكية ونشاطاتها في دعم إسرائيل، ترجمة محمود زايد (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٦)، ص ٢٧٢.

هـ ـ تأسيس قنوات اتصال وحوار مع المجلس العالمي للكنائس، ومقرّه في جنيف.

ويضم هذا المجلس حوالى ثلاثمائة كنيسة رئيسية تشمل الطوائف المسيحية كافة، ما عدا الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، وتشترك في عضوية المجلس اتحادات كنسية من جميع القارات. ومن بينها مجلس الكنائس الصيني في بكين والكنيسة الأرثوذكسية السوفياتية والكنيسة القبطية في جمهورية مصر العربية، وهي ممثلة في عضوية اللجنة التنفيذية للمجلس. كما يضم في عضويته كنائس أرمنية وبروتستانتية في الجمهورية العربية السورية وفي الجمهورية اللبنانية، وفي مدينة القدس.

وتعقد الجمعية العامة للمجلس اجتماعها الدوري كل ثماني سنوات لوضع سياساته واختيار قياداته. وكان آخر اجتماع لها في مدينة فانكوفر في كندا في تموز/يوليو وآب/أغسطس ١٩٨٣. وفي هذا المجال، فإن تأسيس قنوات اتصال وحوار اسلامي ومسيحي عربي مع المجلس العالمي للكنائس، يوفّر أرضية صلبة لمواجهة انحياز الكنائس الأصولية في الولايات المتحدة الأمريكية، سواء بتقليل هذا الانحياز أو بايجاد توازن في مواقف هذه الكنائس.

وأقترح أن تشارك مؤسسات وهيئات اسلامية في المؤتمر العام لمجلس الكنائس العالمي المتوقع عقده في عام ١٩٩١. ويمكن أن تتم هذه المشاركة بصيغة العضوية المراقبة.

كما أقترح أن يتم تنسيق مواقف الكنائس العربية مع كنائس أخرى في الدول الاسلامية كباكستان واندونيسيا ودول افريقية، وبخاصة حول قضايا العالم الثالث، كحقوق الانسان وحق تقرير المصير للشعوب وسباق التسلح والسلام العالمي ومواجهة الأنظمة العنصرية في إسرائيل وجنوب افريقيا. كما أرى وضع برامج مشتركة بين مؤسسات وهيئات اسلامية والمجلس العالمي للكنائس مثل مشروعات الاغاثة الانسانية ومحاربة الفقر والاضطهاد والتمييز العنصري... إلخ.

وفي تقديري أن مثل هذه الأعمال المشتركة توفر أرضية صلبة ومناخاً ملائماً لحوار أعمق وتفهّماً أفضل لقضايا اقليمية محددة مثل قضية فلسطين.

ولعل أبرز الأخطاء الذي تقع فيه مؤسسات سياسية ودينية عربية في اتصالها مع الهيئات الدولية المماثلة، هو تركيزها على قضية أُحادية تخصّ الجانب العربي. لكن النظرة المتعددة والشمولية في التعاون والحوار تؤدي في أغلب الأحيان إلى تقدير أفضل للقضايا ذات الاهتمام الخاص.

المراجع

١ - العربية

كتب

أوبراين، لي. **المنظمات اليهودية الأميركية ونشاطاتها في دعم إسرائيل**. ترجمة جماعة من الأساتذة بإشراف محمود زايد. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٦.

بلاو، روث. **يهود.. لا صهاينة**. ترجمة زكي حسن نسيبة. بيروت: دار الكلمة للنشر، ١٩٨١.

بوكاي، موريس. **القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم**. ترجمة دار المعارف. القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٢.

البيطار، نديم. **جذور الهوية القومية**. بيروت: دار الوحدة، ١٩٨٢.

بيغون، فلاديمير. **غزو بلا سلاح**. ترجمة عبد الرحمن الخميسي. بيروت: دار الفارابي، [د.ت.].

جوليان، كلود. **الامبراطورية الأميركية**. ترجمة زهير الحكيم. بيروت: دار الحقيقة، [د.ت.].

الحسن، يوسف. **إندماج: دراسة في العلاقة الخاصة بين الولايات المتحدة الأميركية وإسرائيل**. القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٦٨.

ـــــ. **من أوراق واشنطن**. القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٨٧.

درويش، إبراهيم. **النظام السياسي**. ط ٤. القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٧٨.

ديمر، آلن. **الحلف الآثم**. ترجمة اللجنة العربية الأميركية لمناهضة التمييز. واشنطن، دي سي: اللجنة، ١٩٨٤.

رزوق، أسعد. **إسرائيل الكبرى: دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني**. بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية. مركز الأبحاث، ١٩٦٨.

سيف الدولة، عصمت. **عن العروبة والإسلام**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٦. (سلسلة الثقافة القومية؛ ٢)

شلبي، أحمد. **مقارنة الأديان**. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٤.

شـالي، نصر. **إفلاس النظرية الصهيونية**. بيروت: منشورات فلسطين المحتلة، ١٩٨١.

طاهر، عبد الحكيم. **كارتر والتسوية في الشرق الأوسط**. بيروت: دار إبن خلدون، ١٩٧٧.

عباس، محمود. **العلاقات السرّية بين النازية والصهيونية**. عمان: دار إبن رشد، ١٩٨٤.

عبد العزيز، مصطفى. **الأقلّية اليهودية في الولايات المتحدة الأميركية**. بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية. مركز الأبحاث، ١٩٨٦. (سلسلة دراسات فلسطينية؛ ٣٥)

قاسمية، خيرية. **النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه، ١٩٠٨ - ١٩١٨**. بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية. مركز الأبحاث، ١٩٧٣. (سلسلة كتب فلسطينية؛ ٤١)

محمود، أمين عبد الله. **مشاريع الإستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى**. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٤. (سلسلة عالم المعرفة؛ ٧٤)

دوريات

الإتحاد (أبو ظبي): ١٩٨٩/٣/١٨.

جحا، مصطفى. «البروتستانتية الشرقية تصحح ما أفسدته البروتستانتية الغربية.» **النهار العربي والدولي**: ٢٦ كانون الثاني/يناير ١٩٨٦.

حداد، حسن. «العامل الديني في سياسة أميركا الشرق أوسطية.» **شؤون فلسطينية**: العدد ٩٣، آب/أغسطس ١٩٧٩.

الحسيني، مصطفى. «الصهيونية المسيحية.» **السفير** (بيروت): ١٩٨٥/١١/١٩.

الخليج (الإمارات العربية المتحدة): ١٩٨٤/٩/١٩.

الدستور (الأردن): ١٩٨٤/١١/٤.

الشرق الأوسط: ١٩٨٤/٢/٦.

ـــــــــــ. ١٩٨٤/١١/٣٠.

قاسمية، خيرية. «نشاطات صندوق إستكشاف فلسطين، ١٨٦٥ - ١٩١٥.» **شؤون فلسطينية**: العدد ١٠٤، تموز/يوليو ١٩٨٠.

مؤتمرات وندوات

المؤتمر السنوي للجنة العربية - الأمريكية لمكافحة التميز العنصري ضد العرب في الولايات المتحدة الأمريكية لعام ١٩٨٥. من وثائق اللجنة والمنشورة في المؤتمر السنوي في عام ١٩٨٥.

٢ - الأجنبية

Books

Ahlstrom, Sydney E. *A Religious History of the American People.* New York: Image Books, 1975.

American Association of Fund-Raising Council. *Giving U.S.A.: 1983 Annual Report.* New York: The Association, [n.d.].

Barr, James. *Fundamentalism.* Philadelphia: Westminster Press, 1977.

Blackstone, William E. *Jesus Is Coming.* 2nd ed. New York: [n.pb.], 1886.

Blitzer, Wolf. *Between Washington and Jerusalem: A Reporter's Notebook.* New York: Oxford University Press, 1985.

Casper, Louis. *The Fundamentalist Movement.* New York: Hague Mouton and Co., 1963.

Chatney, Leon H. *Special Council.* New York: Philosophical Library, 1984.

The Constitution of the U.S.A.: Analysis and Interpretation. Prepared by the Congressional Research Service. Washington, D.C.: Library of Congress, U.S. Government Printing Office, 1973.

Crawford, Alan. *Thunder on the Right.* New York: Pantheon Press, 1981.

Curtis, Richard H. *A Changing Image: American Perceptions of the Arab-Israeli Dispute.* New York: American Educational Trust, 1982.

Decaro, Lewis A. *For All the Falwells.* New York: American Jewish Alternatives to Zionism, 1985. (Report no. 49)

Drinan, Robert F. *Honor the Promise: America's Commitment to Israel.* New York: Doubleday, 1977.

Falwell, Jerry. *The Fundamentalist Phenomenon: The Resurgence of Conservative Christianity.* New York: Doubleday, 1981.

——. *Listen America.* New York: Doubleday, 1980.

Feingold, Henry L. *Zion in America: The Jewish Experience from Colonial Times to the Present.* New York: Hippocrene Book, 1974.

Feldbeum, Esther Y. *The American Catholic Press and the Jewish State, 1917-1959.* New York: Ktav Publishing House, 1977.

Feldstein, Marning. *American Zionism, 1884-1902.* New York: Herzl Press, 1955.

Findley, Paul. *They Dare to Speak Out: People and Institutions Confront Israel's Lobby.* Westport, Conn.: Lawrence Hill and Co., 1985.

Fink, Reuben. *America and Palestine.* New York: Herald Square Press, 1944.
The Gallup Report. Princeton, N.J.: Gallup Organization and Princeton Religious Research Center, [1981].
Garaudy, Roger. *The Case of Israel: A Study of Political Zionism.* London: Shorouk International, 1983.
Graber, Doris A. *Mass Media and American Politics.* Washington, D.C.: Congressional Quarterly Press, 1980.
Granberg, Wesley. *The Evangelical Right and Israel.* Washington, D.C.: American-Arab Anti - Discrimination Committee, 1982.
Grose, Petter. *Israel in the Mind of America.* New York: Alfred Knopf, 1983.
Halsell, Grace. *Prophecy and Politics: Militant Evangelists on the Road to Nuclear War.* Westport, Conn.: Lawrence Hill and Co., 1986.
Hart, Roderick P. *The Political Pulpit.* Lafayette, Ind.: Purdue University Press, 1977.
Herzl, Theodor. *The Complete Diaries of Theodor Herzl.* Translated by Harry John. Edited by Raphael Patai. 5 vols. New York: Dial Press, 1960.
Hollar, George. *A History of Fundamentalism in America.* [n.p.]: Bob Jones University Press, 1973.
House, Stan Ritten. *For Fear of the Jews.* Va.: The Exhorters Inc., 1982.
Kater, John L. *Christian on the Right.* New York: Seabury Press, 1982.
Kenen, L.L. *Israel's Defence Line.* New York: Prometheus Books, 1981.
Koestler, Arthur. *The Thirteenth Tribe: The Khazar Empire and its Heritage.* New York: Random House, 1970.
Lewis, David. *Magog 1982 Cancelled.* Arkansas: New Leaf Press, 1982.
Lilienthal, Alfred M. *What Price Israel.* Chicago, Ill.: Henry Regrery Co., 1953.
Lindsey, Hall. *The Late Great Planet Earth.* New York: Bantam Books, 1970.
Madrid, Robin (ed.). *Statements and Position Papers of Major American Organizations on Middle East Peace.* Washington, D.C.: Middle East Associates, 1985.
Mouw, Richard J. *Political Evangelism.* Michigan: William Erdmans Publishing Co., 1973.
Nijim, Basheer K. (ed.). *American Church Politics and the Middle East.* Massachusetts: Association of Arab-American University Graduates, Inc., 1982.
Rifkin, Jeremy and Ted Howard. *The Emerging Order: God in the Age of Scarcity.* New York: Putnams Sons, 1977.
Roberts, Oral. *The Drama of the End-Time.* New York: Oral Press, 1973.
Roth, Cecil. *Essays and Portraits in Anglo-Jewish History.* Philadelphia: Jewish Publications Society of America, 1962.
Rucher, William A. *The Rise of the Right.* New York: William Morrow and Co., 1984.
Sandeen, Ernest R. *The Origins of Fundamentalism: Toward a Historical Interpretation.* Philadelphia: Fortress Press, 1968.
——. *The Roots of Fundamentalism: British and American Millenarism.* Chicago, Ill.: University of Chicago Press, 1970.
Sayegh, Fayez. *Zionist Propaganda in the U.S.A.* New York: The Sayegh Foundation, 1983.
Schneider, Herbert N. *Religion in Twentieth Century America.* Cambridge, Mass.:

Harvard University Press, 1952.
Sharif, Regina S. *Non-Jewish Zionism: Its Roots in Western History.* London: Zed Press, 1983.
Simon, Merill. *Jerry Falwell and the Jews.* New York: Jonathan David Publishers, 1984.
Strover, Gerald S. *American Jews: Community in Crisis.* New York: Doubleday, 1974.
Susman, Warren. *Culture as History.* New York: Pantheon Books, 1984.
Tuchman, Barbara W. *Bible and Sword: England and Palestine from the Bronze Age to Balfour.* New York: New York University Press, 1956.
U.S. Statutes at Large. Washington, D.C.: [n.pb.], 1923.
Wagner, Donald E. and Hassan Haddad (eds.). *All in the Name of the Bible.* Chicago, Ill.: Palestine Human Rights Campaign, 1985.
Wiley, Thomas. *American Christianity: The Jewish State and the Arab-Israeli Conflict.* Washington, D.C.: Georgetown University, Center for Contemporary Arab Studies, 1983.
Willson, Evan M. *Decision on Palestine: How the U.S. Came to Recognize Israel.* Stanford, Calif.: Hoover Institution Press, 1979.
Winthrop, Hudson. *Religion in America.* 2nd ed. New York: Charles Scribner's Sons, 1973.
Yasseen, Leonard C. *The Jesus Connection.* New York: Crossroad Publications, 1985.
Yearbook of American and Canadian Churches. Nashville: Adingdon Press, 1984.
Young, Perry D. *God's Bullies.* New York: Reinhart and Winston, 1982.

Periodicals

American - Israel Bulletin: vol. 4, no. 1, October 1965.
American - Israel Friendship League News: July 1982.
Bellah, Robert N. «Civil Religion in America.» *Daedalus:* Winter 1967.
Briggs, Edward. «Notion Put at Pinnacle of God's Plan.» *Richmond Times Dispatch:* 2 May 1979.
Catholic Review: 12 December 1969.
Chicago Tribune: 20 February 1984.
Christian Century: 26 July 1967, and 19 December 1984.
Christian Science Monitor: 24 September 1981; 12 September 1984; 30 October 1984; 6 November 1984, and 19 March 1986.
Christianity Today: 21 July 1967; 18 November 1977; 19 September 1980; 12 December 1980; 4 September 1981; October 1981, and 17 January 1986.
Cleveland Jewish News: 19 February 1982.
Cogly, John. «Shift in Policy.» *Commonweal:* 14 December 1956.
Commentary: March 1980; March 1981, and July 1984.
Congressional Record: 30 June 1922.
Courier Times Telegram: 6 Februry 1983.
Evangelical Christian Zionism in America (Chicago): April 1985.
Hearst, William R. «David and Juliath.» *Los Angeles Herald- Examiner:* 24 March 1971.

International Herald Tribune: 23/2/1988, and 3/5/1988.
The Independent (London): 3 January 1989.
Jerusalem Post: 8 July 1976, and 28 October 1983.
Jewish Press (New York): 16 March 1984.
Kelly, Ingram O. «Christian Zionism.» *The Link:* vol. 16, no. 4, November 1983.
Lodge, Henry Cabot. *New Palestine:* vol. 2, 26 May 1922.
Los Angeles Times: 4 March 1981, and 18 March 1984.
Middle East News Alert: vol. 1, no. 4, Spring 1984, and vol. 2, no. 4, October 1984.
Mouly, Routh W. «Israel: Darling of the Religious Right.» *Humanist Magazine:* May 1982.
——. «Zionism in American Premillenarian Fundamentalism.» *American Journal of Theology:* September 1983.
New Republic: 18 June 1983, and 3 December 1984.
New York Times: 26 May 1971; 1 July 1976; 1 and 15 November 1977; 11 December 1977; 24 February 1982; August 1982; 11 November 1982; 18 December 1983; 15 January 1984; 6 February 1984; 15 July 1984; 19 August 1984; 24 October 1984; 26 November 1984; 30 November 1984; 20 December 1984; 1 March 1985, and 10 November 1985.
Newsweek: 27 August 1984; 17 September 1984; 5 November 1984; 17 December 1984; 3 March 1986, and 7 March 1988.
Otis, George. *High Adventure Broadcasting Network* (California): Summer 1982.
Palestine Human Rights Campaign (Chicago): 15 May 1985.
Parade Magazine: 19 July 1981.
Religious Broadcasting Magazine: June 1984; December 1985, and February 1986.
Religious News Service: 4 October 1976; 2 February 1978, and 23 April 1982.
Robertson, Pat. «Pat's Perspective.» *Religious Broadcasting Magazine:* April 1982.
——. «Pat's Perspective.» *Sojourners:* September 1979.
Smith, W.M. «Signs of the Times.» *Moody Monthly:* August 1966.
Time: 15 November 1984, and 2 September 1985.
Times Sunday Telegraph: 6 February 1983.
Village Voice: 28 August 1984.
Wall Street Journal: 18 September 1984.
Washington Jewish Week: 9 Febuary 1984; 23 February 1984; 1 November 1984; 15 November 1984; 2 Ferbruary 1986, and 13 February 1986.
Washington Post: 19 July 1971; 11 November 1975; 24 January 1976; 6 March 1981; 23 March 1981; 23 August 1981; 26 October 1981; 18 June 1982; 16 July 1983; 21 April 1984; 24 August 1984; 30 August 1984; 17 September 1984; 27 September 1984; 13 October 1984; 21 October 1984; 30 October 1984; 11 November 1984; 21 November 1984; 2 December 1984; 6 April 1985; 31 August 1985; 26 September 1985, and 3 February 1986.
Washington Star: 22 November 1980; 6 July 1981, and 22 November 1986.
Washington Times: 12 December 1984; 4 March 1985; 15 November 1985, and 11 February 1986.

Papers, Reports

Clark, David W. «Religious Television Audience.» Paper Presented at: The Society for the Scientific Study of Religion, Savannah, Georgia, 25 October 1985.

Evans, Mike. «Israel: America's Key to Survival.» Texas, 1984.
——. «Ministries Fund Raising Letter.» Fall 1983.
International Christian Embassy, Jerusalem, U.S. Branch. «A Brochure to Friends of the I.C.E., Israel: You Are not Alone.» April 1982.
«Near East Report.» Washington, D.C., 23 February 1966.
Wagner, Donald E. «A Ministry of Advocacy for Palestinian Justice within Evangelical Christian Zionism.» (Ph. D. Dissertation, University of Chicago, 1984).

Symposuims, Conferences

«Evangelical Christian and Jewish Leadership Encounters.» National Christian Leadership Conference for Israel, Washington, D.C., 11 November 1982.
International Christian and Jewish Leadership Conference.» Basel (Switzerland), 27-29 August 1985.

فهرس

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

الدكتور يوسف الحسن

■ حصل على دبلوم الدراسات العليا في إدارة الأفراد من كلية التجارة في جامعة عين شمس، وعلى الماجستير في العلاقات الدولية من الجامعة الاميركية في واشنطن

■ نال شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية في جامعة القاهرة

■ يعمل في السلك الدبلوماسي لدولة الامارات العربية المتحدة منذ عام ١٩٧٢

■ له العديد من المؤلفات، أهمها: **دراسات في الادارة والحكم المحلي ؛ التعاون العربي ـ الافريقي: الامارات العربية ـ نموذج للتضامن والتنمية ؛ اندماج: دراسة في العلاقة الخاصة بين اميركا واسرائيل في ضوء اتفاقيات التعاون الاستراتيجي بينهما ؛ من اوراق واشنطن: اوراق في الدبلوماسية والاعلام والمجتمع**. إضافة الى عدد من المقالات والابحاث المنشورة في بعض الدوريات العربية والدولية.



مركز دراسات الوحدة العربية

بناية «سادات تاور» شارع ليون
ص. ب: ٦٠٠١ ـ ١١٣ ـ بيروت ـ لبنان
تلفون: ٨٠١٥٨٢ ـ ٨٠١٥٨٧ ـ ٨٦٩١٦٤
برقياً: «مرعربي»
تلكس: ٢٣١١٤ مارابي. فاكسيميلي: ٨٠٢٢٣٣